

بجود مؤلفه الشَّيْخ مُحَمَّدُ رِضَا السَّيَّادِي
الكتاب ١

الدَّفْعُ عَنِ الشَّعَائِرِ الْحُسَيْنِيَّةِ

بِقَلَمِ

الشَّيْخِ مُحَمَّدِ رِضَا السَّيَّادِي

مؤسسة

نور الشعيرة



الإِفْكَاعُ

عَنْ الشَّعَاءِ الْحُسَيْنِيِّ

حقوق الطبع محفوظة

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

الطبعة الثانية مزيّدة ومنقحة

مؤسسة نور الشريعة

الأفـسـاح

عن الشَّعَاءِ الحُسَيْنِيَّةِ

تأليف

سَمَاجَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِدِي

من إصدار

مؤسسة نور الشريعة

الدفاعُ عن الشعائر الحسينية

تأليف: سماحة الشيخ محمد رضا الساعدي

إصدار: مؤسسة نور الشريعة

المطبعة: مؤسسة الصادق (ع)

الطبعة: الطبعة الثانية مزيّدة ومنقّحة

سنة الطبع: ٢٠٢٠م - ١٤٤٢هـ

قطع الورق: ٢٤ × ١٧ و٢٤ و٢٤

الإخراج الفني: أحمد الهاشمي

المقدمة:

كانت وما زالت الشعائر الحسينية المقدسة تمثل الاسلوب الناجع للتفاعل مع قضية السبط الشهيد الحسين عليه السلام خصوصا وقضايا مظلومية ال البيت عليهم السلام واحقيتهم بالخلافة والامامة الالهية عموما، وبذلك التفاعل تتصل الجماهير الحسينية بثورة الحسين عليه السلام وتجدد الولاء له والانتهاج بنهج ثورته لتحقيق ما رامه عليه السلام من حركته وجهاده وتضحياته في كل زمان ومكان، ويتحقق التواصل مع مذهب ال البيت والإسلام الأصيل - فالإسلام حسيني البقاء - وبذلك التواصل تحقق اهداف الشريعة لان اهداف الحسين هي اهداف الشريعة وثورة الحسين هي ثورة الله ورسوله ضد الظالمين والمفسدين في كل زمان ومكان، اذ انه اسس بدمه الطاهر منهجا للثائرين لأجل الله، فلذا استحق ان يكون ثار الله لأنه ثار لله ولدين الله ولإصلاح ما فسد من امة سيد الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وللسير بسيرة جده وابيه عليه السلام.

وهذه الممارسات الشعيرية تأثرت بزمكانيات وبيئات اجتماعية وثقافات مختلفة واعراف متنوعة، فكانت هناك تساؤلات واستفهامات واحيانا تشكيكات - تصدر من دينيين تارة ولا دينيين تارة اخرى - حول تلك الممارسات وما يكتنفها من احكام تدخل بعضها في باب الفقه الاسلامي ومعاصرة حوادث الحياة وبعضها في أبواب العقيدة وبعضها في أبواب

الاخلاق او الرجال او غيرها، فتولدت بذلك احكاما خاصة بالشعائر الحسينية تعالج التنظير الفقهي والعقائدي والاخلاقي للشعائر وتدافع عنها وتهذب تلك الممارسات وتقومها وتدعم بعضها وتنتهى عن بعض وفقا لقواعد ومقررات الشريعة السمحاء، وهذا الاحكام يمكن ان يطلق عليه (فقه الشعائر الحسينية) مع كون المراد في الفقه ليس الفقه الخاص وهو فقه الفروع بل عموم فهم الشريعة عقيدة واخلاقا وفقها وغيرها من المعارف الدينية.

ولا يخفى ان بعض مسائله مطروحة في التراث الفقهي ولكن بصورة مقتضبة ومجملة او احيانا بشكل فتاوى فحسب، مما يستدعي طرحها باسلوب جديد وتفصيلي يعالج مسائل الواقع.

من هنا اقترح بعض الاخوة الاعزاء الكتابة بهذا الموضوع للإجابة عن بعض التساؤلات والاشكالات والخروج بنتائج واضحة.

وهذه النتائج تلقي بظلالها على الواقع المعاصر لمسائل الشعائر وتعطي وضوحا لبعض ما التبس من موضوعاتها، كما ويدحض كلام المشككين ويجيب على التساؤلات والاستفهامات التي تكتنفها.

هذه البحوث لم تستوعب مفاصل البحث في كل مسائل الشعائر المعاصرة بل كانت موضوعات مختارة احتمل انها اكثر حساسية وواقعية من باقي المسائل، فكان هذا الكتاب عبارة عن باقة من البحوث المتنوعة جامعها هو الشعائر المعاصرة.

وهي كما يلي:

البحث الاول: موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية.

البحث الثاني: مشروعية وضوابط التعبير بلسان الحال في أدب الطّف.

البحث الثالث: مشروعية توسعة الحرم الحسيني بهدم الأملاك الخاصة.

- البحث الرابع: حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء.
- البحث الخامس: دور زيارة الأربعين في الإصلاح.
- البحث السادس: الامام العباس مدرسة الايثار.
- البحث السابع: دور زيارة الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية.
- البحث الثامن: اشكالية اخذ الثأر من ذراري قتلة الحسين.
- البحث التاسع: حضور السيدة الزهراء في مجالس سيد الشهداء.
- البحث العاشر: أثر النشأة الصالحة في بناء الفرد - أم البنين نموذجاً -
- البحث الحادي عشر: نظرات في مباني الاصلاح واحكامه
- البحث الثاني عشر: مقارنة بين الشعيرة والشريعة
- البحث الثالث عشر: مشروعية يا ليتنا كنا معكم في المجالس الحسينية
- البحث الرابع عشر: عموم عنوان الشعائر للشعائر الحسينية

والله ولي التوفيق

محمد رضا الساعدي / النجف الاشرف

١٥ شعبان ١٤٣٨ هـ

البحث الاول:

موازن التعامل مع روايات الشعائر الحسينية

موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية

مدخل

دأب بنو الإنسان منذ بدء الخليقة على التواصل بين الأجيال المتعاقبة والأقوام المختلفة في الأزمنة السالفة، ومعرفة أخبار هذه الأمم وما حصل فيها من وقائع وأحداث، بدافع حبّ الاطلاع المغروس في فطرة الإنسان، وكان هذا التواصل عادةً ما يحصل عبر رواية أخبار الماضين وتناقلها جيلاً عن جيل، أو مشاهدة آثارهم وما تركوه من وثائق ومستندات.

لقد كان لأدوات هذا الارتباط أهمية بالغة في ربط الماضي - بكل ما يحمل من قيمة معرفية كبيرة - بالحاضر والتأثير فيه من أجل صنع مستقبل أفضل؛ وذلك من خلال استيعاب دروس الماضي وتحليلها واستخلاص العبر منها، وكذلك فهم رسالات السماء التي جاء بها الأنبياء وأبلغوها للبشرية على مرّ التاريخ، وأمروا بالالتزام بما جاء بها من تعاليم وتوصيات.

مضافاً إلى أنّ الماضي كثيراً ما يضمّ في طياته وقائع وأحداث تاريخية مهمّة تحمل دلالات اجتماعية وإصلاحية قام بأعبائها أشخاص ثوريون ومصلحون أرادوا إنقاذ أممهم ومجتمعاتهم من خطر الانحراف عن جادة الصواب، ولا نكون مجانبين للصواب إذا ما قلنا:

إنَّ النهضة الاجتماعية الإصلاحية التي قادها سبط النبي الخاتم ﷺ الإمام الحسين ﷺ تقف في مقدِّمة النهضات والثورات، بل لا تمتلك أيَّ حركة اجتماعية - لإصلاح المجتمع وإعادته إلى المسار الصحيح - ما تمتلكه النهضة الحسينيَّة، بأبعادها ومعطياتها المختلفة، التي لم تستطع البشرية حتى اليوم إدراكها وفهمها؛ فلكي تصل عاشوراء الحسين ﷺ إلى الأجيال لتنهل منها لا بد من نقل أحداثها ووقائعها ورسائلها بطرق وقنوات ممنهجة ومدروسة، تخضع للميزان العلمي والعقلاني والشرعي؛ من هنا انبثقت فكرة التعرُّف على الميزان العلمي الذي يلزم الباحث معرفته في قضية عاشوراء، الذي بموجبه يتم قبول أو طرح روايات وأخبار النهضة الحسينيَّة.

إنَّ معرفة الميزان الصحيح الذي توزن به المادة والحدث العاشورائي، أمر يحوز أهميَّة فائقة على صعيد عرض أحداث عاشوراء الإمام الحسين ﷺ، وله أثر كبير في إثبات بعض ما يُنقل ويُروى من تاريخ عاشوراء وأحداثها، والذي سيمتثل مادة أولية للنثر أو الشعر أو القصة أو الإنتاج السينمائي أو المسرحي أو غير ذلك، وأيضاً إثبات ما يمارس من مصاديق الشعائر الحسينيَّة ودفع الإشكال عنها.

فإذا أردنا ذكر حدثٍ من أحداث ملحمة عاشوراء، فما هو الميزان الذي يبيح لنا - كخطباء أو شعراء أو أدباء - أن ننقل ذلك الحدث أو ننسبه إلى فاعله ؟ بحيث لا ينطبق على ناقله عنوان الكذب في النقل، الذي حرّمته الشريعة المقدّسة بصورة مطلقة، وتشدّد الحرمة فيما لو كان النقل عن المعصوم؛ وذلك لخصوصية العصمة والقداسة الموجودة في بعض أشخاص ملحمة عاشوراء؛ إذ لا يجوز نسبة أي شيء إليهم ما لم يكن هناك دليل وحقّة على ذلك، كما في شخص قائد الملحمة الإمام الحسين وابنه الإمام زين العابدين ﷺ؛ إذ إنَّ عنوان الإمامة والعصمة يضافي عليهما أحكاماً خاصّة، من حيث نسبة قول أو فعل أو تقرير إليهم، كما هو مقرر في علمي الفقه والكلام.

موازين ومناهج القبول والرد في العلوم

تفرض طبيعة كل علم - وخاصيته وما له من غاية ووظيفة - أن يكون له منهج وميزان خاص تخضع له عملية الاستدلال في ذلك العلم، وتحكم قوانينه وموازنه في القبول والرد. وإن هذه الموازين والمناهج العلمية يختلف بعضها عن البعض الآخر - بطبيعة الحال - من حيث التشدد أو التساهل، فبعضها يتشدد كثيراً، كما في المنهج العقدي والكلامي، وبعضها يتساهل قليلاً في قبوله للخبر أو الرواية كالمنهج الفقهي، وبعضها أكثر اتساعاً في تعامله مع الأخبار والروايات، كما هو الحال في ميزان المنهج التاريخي، وستأتي الإشارة إلى ضوابط وموازن كل واحد من هذه المناهج، وكيفية تطبيقها على أحداث عاشوراء؛ لمعرفة ما هو المعيار والميزان في نسبة فعل أو قول أو أي شيء آخر لذوات ملحمة كربلاء.

وبعبارة أوضح: ما هو ميزان التعامل في نقل روايات وأحداث عاشوراء ؟ فهل نتعامل مع النقل للوقائع معاملة القضايا أو المسائل العقائدية ؟ أو نتعامل معها معاملة المسائل الفقهية أو التاريخية ؟ أو ماذا ؟

الخلط بين المناهج في التعامل مع أحداث عاشوراء

بعد أن عرفنا أن لكل علم منهجه الخاص وضوابطه المحددة، فإن حصول أي خلط بينها سوف يؤدي إلى انحرافات وعواقب وخيمة، تلقى بظلالها على كثير من الأحكام والموضوعات الشرعية من جهة، وتؤدي إلى نزاعات علمية من جهة أخرى، وهو ما يسمى بـ (الخلط في المنهج) حسب الاصطلاح المعاصر.

وبسبب الخلط بين المناهج الثلاثة - العقدي والفقهي والتاريخي - وضوابطها أصبح عندنا اتجاهان غير معتدلين في القبول والرفض لوقائع كربلاء ورواياتها:

الأول: المنهج المتشدد

وهو ما ذهب إليه بعض الباحثين من تنفيذ أكثر أحداث عاشوراء؛ وذلك بعد أن قاسمها بمقياس لم يوضع لأجلها، ووزنها بغير ميزانها؛ إذ إنه عامل كل الأحداث معاملة الرواية في باب العقائد أو الفقه، واشترط ضوابط العلمين في كل الروايات العاشورائية، ولعلنا نجد هذا المنهج متبعاً في كتاب الملحمة الحسينية للشهيد مطهري رحمته الله، وكذا لدى بعض الكتاب المعاصرين.

الثاني: المنهج المتساهل

وهو ما انتهجه بعض آخر من الباحثين، كبعض الخطباء والكتاب وأرباب المقاتل وبعض المحدثين، الذين توسعوا في تلقي ما نُقل في كتب السير والتأريخ حول واقعة الطف بالقبول، ولم يعيروا أهمية واضحة للتفريق بين المناهج المتقدمة في تقبلهم لتلك الأحداث، فأرسلوها إرسال المسلّمات من خلال الاعتماد في كل المنقولات العاشورائية على ميزان التاريخ فقط، فوزنوا كل الأحداث بالميزان الأسهل، وأخذوا كل ما ذكره التاريخ؛ وبذلك وقع الفريقان بين إفراط بالقبول أو إفراط بالرفض، والحال أنّ الطريقة المثلى هي الوسطية التي سنتعرّف عليها من خلال البحث؛ حيث إنّنا سنتبنّى التفصيل في روايات عاشوراء.

موازين العلوم والرواية العاشورائية

قبل أن نعطي نتيجة حول الميزان في قبول الروايات العاشورائية لا بدّ أن نستعرض المناهج والموازين في قبول النقل في العلوم الثلاثة: (الكلام والفقه والتاريخ) ونحدّد الميزان الذي يمكن أن نحاكم تلك الروايات العاشورائية على أساسه:

أولاً: المنهج أو الميزان في البحث العقدي (الكلامي)

إنّ المنهج في نقل الرواية في باب الأمور الاعتقادية المتعلقة بالبحث عن أصول

الدين الإسلامي (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد) وتفرعاتها - مما يمكن إثباتها عن طريق النقل - يختلف عن مناهج نقل الرواية في فروع الدين والمسائل الفقهية، كما ويختلف عنه في نقل الرواية التاريخية، فهو المنهج الأكثر تشدداً بالنقل؛ إذ إنّ الرواية في باب العقائد التي تثبت بها أمور عقائدية، لا بدّ أن تكون بدرجة القطع والعلم بصورها عن المعصومين؛ لأنّ الأمور العقائدية لا تبنى على الظنّ والتخوّص، فإنّهما لا يغنيان عن الحقّ شيئاً.

وبعبارة أخرى: إنّ الذي يُطالب به المكلف في باب العقائد هو عقد القلب القطعي على الاعتقاد بالأصول الخمسة وتفرعاتها، ومن دون أيّ ريب أو شك، وهذا لا يحصل من الظنّ.

وهذا الرأي ذهب إليه مشهور علماء الإمامية، فقالوا: إنّ مطلق الأمور العقائدية لا تثبت إلّا باليقين، واليقين لا يحصل بالخبر الظنّي، كخبر الواحد، وإنّما يحصل بالخبر القطعي كالخبر المتواتر، أو المحفوف بقرائن قطعية^(١).

وخالف بعض الأعلام، ففصلوا بين إثبات العقائد الأساسية والرئيسة وبين إثبات العقائد الثانوية الفرعية، فقالوا: إنّ العقائد الأساسية لا تثبت إلّا بالخبر القطعي واليقيني، وأمّا العقائد الفرعية والتفصيلية فيمكن إثباتها بالخبر الظنّي الحجة، وهو خبر الثقة أو الخبر الموثوق بصوره.

وذهب إلى هذا القول جملة من المحققين، منهم: المحقق الطوسي^(٢)، والعلامة المجلسي^(٣)، والشيخ البهائي^(٤)، وغيرهم^(٥)، وتبنّاه من المعاصرين أستاذنا أساتذتنا

(١) الهاشمي، محمود، بحوث في علم الأصول (تقاريرات بحث السيد محمد باقر الصدر^(٦)): ج ٤، ص ٣٢٧.

(٢) أنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد (محاضرات آية الله الشيخ محمد السند):

ج ١، ص ٢٣٩.

السيد المحقق الخوئي رحمته الله في كتابه مصباح الأصول، في بحثه حول حجّة الظنّ في غير الأحكام^(١).

وتبنّاه أيضاً بعض مشايخنا المعاصرين، كالشيخ الأستاذ محمد السند في بحثه الأصولي، وفي كتابه الشعائر الحسينية^(٢). وهذا الميزان لا يجري في نقل كلّ الروايات التي تنقل إلينا واقعة كربلاء؛ إذ إنّ تلك الروايات تنقل لنا أحداثاً تاريخية في غالبها.

نعم، إذا كانت تلك الروايات تنقل لنا ما يتعلّق بالعتيدة والاعتقاد، كالحديث عمّا يتعلق بعصمة الإمام الحسين عليه السلام، أو العدل الإلهي، وما جرى من محن وابتلاءات على آل البيت عليهم السلام، وربطه بواقعة وأحداث كربلاء، أو ما يخصّ الشفاعة، أو رجعة الإمام الحسين عليه السلام^(٣) أو غيرها، فإنّ كل ذلك يوزن بوزان المنهج العقائدي؛ وعليه يكون الميزان العقائدي جارياً في بعض أحداث ووقائع عاشوراء المحتوية على ما يرتبط بالعتيدة والاعتقاد فقط، دون النقول الأخرى.

واليك جملة من التطبيقات الكلية التي لا بدّ من أن توزن بالميزان العقدي:

الأول: كل ما يُنقل عن الإمام الحسين عليه السلام فيما يخصّ العتيدة والاعتقاد، كقضية

(١) الحسيني، محمد سرور، مصباح الأصول (تقارير بحث المحقق السيد الخوئي رحمته الله): ج ٢، ص ٢٣٨.

(٢) أنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد (محاضرات الشيخ الاستاذية الله محمد السند): ج ١ ص ٢٤٠.

(٣) فقد وردت مجموعة من الروايات التي تنصّ على رجعة الإمام الحسين عليه السلام، كما أخرج الكليني في الكافي، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ - قال: «خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهب، لكل بيضة وجهان، المؤدّون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج، حتى لا يشك المؤمنون فيه، وآتة ليس بدجال ولا شيطان، والحجّة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنّه الحسين عليه السلام، جاء الحجّة الموت، فيكون الذي يغسله ويكفّنه ويحطّطه ويُلحده في حفرته الحسين بن علي عليه السلام، ولا يلي الوصي إلّا الوصي». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٠٦.

الإمامة والوصية، كما في قوله ﷺ: «فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عنده؟!»^(١).

أو أن الخروج عليه كفر؛ باعتباره إمام مفترض الطاعة، كما في قوله ﷺ: «ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان؛ فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبأ لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين»^(٢).

أو أن من قاتله خالد في النار، كقوله ﷺ: «ولبس ما قدمت لهم أنفسهم في العذاب وهم خالدون»^(٣).

أو وجوب نصرته ﷺ حين طلب النصرة، كما في الرواية التي يروونها كثير من المؤرخين عن النبي الأعظم ﷺ: «إنَّ ابني هذا يُقتل بأرض يُقال لها: كربلاء. فمن شهد ذلك منكم فلينصره»^(٤).

الثاني: كل ما يُنقل عن الإمام السجاد ﷺ من روايات أو مواقف تندرج تحت القضايا العقديّة، ومن أمثلة ذلك: ما نقله صاحب البحار من خطبة الإمام السجاد ﷺ في مجلس يزيد: «فإن زعمتَ أنه جدُّك؛ فقد كذبتَ وكفرت، وإن زعمتَ أنه جدِّي؛ فلمَ قتلتَ عترته»^(٥).

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦.

(٣) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص ٤٠.

(٤) أنظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٤. والعسقلاني ابن حجر، أسد الغابة: ج ١، ص ١٢٣.

(٥) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٩.

الثالث: كل ما ينقله الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه من روايات تُبين مواقف عقدية عن النبي صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين أو الحسن عليهما السلام، ومن أمثلة ذلك: ما استشهد به الإمام الحسين عليه السلام من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟ ! فإن صدّقتُموني بما أقول وهو الحقّ، والله، ما تعمّدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضّرّ به من اختلقه، وإن كذبتُموني؛ فإنّ فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ !»^(١).

الرابع: كل ما صدر عن السيدة زينب عليها السلام من نقول أو أفعال تنقلهما عن الإمامين الحسين والسجاد عليهما السلام، ومن أمثلة ذلك: ما نقلته السيدة زينب عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال لها: «اسكتي يا عمّة، فأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهِمّةٌ غير مفهّمة»^(٢).

ومن أمثلة ذلك أيضاً: ما روي عن السيدة زينب من أنّ الإمامة للإمام السجاد بعد أبيه عليه السلام، وأنّ الإمام زين العابدين عليه السلام طلب من عمته سيفاً ليقاتل مع أبيه الحسين عليه السلام، فقال الحسين عليه السلام لأخته: «يا أمّ كلثوم، خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله»^(٣).

الخامس: كل ما يُنقل من روايات تمسّ أو تنافي عصمة الإمام الحسين والإمام السجاد عليهما السلام؛ باعتبار دخول مسألة العصمة في مبحث الإمامة.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج: ص ١٦٦ (ط النجف).

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦.

السادس: ما يُنقل عن السيدة زينب عليها السلام أو بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من أمور عقديّة، بمراً ومسمع من المعصوم عليه السلام، كما في قولها عليها السلام لشخص أراد أن يأخذ إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام في مجلس يزيد، بعد أن أقرّ بصحة السبي: «ما جعل الله لك ذلك، إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا...»^(١).

فهذه التطبيقات الكلية - التي يجدها الباحث والمتتبع والسامع لوقائع عاشوراء - وما يندرج تحتها من أمثلة كثيرة لا بدّ أن توزن بمعايير وضوابط البحث العقائدي، ولا يصح النقل بشكل قطعي ما لم تخضع لذلك الميزان.

ثانياً: المنهج أو الميزان في البحث الفقهي

وهذا المنهج يُعنى بنقل الرواية في باب الأحكام الشرعيّة الفرعيّة - المسطور في كتب الفقه الإسلامي - وهو المنهج الأقلّ تشدداً في النقل من المنهج العقائدي؛ لأنّه يقبل الخبر الظنّي المعتبر، كخبر الواحد الثقة، أو الخبر الموثوق بصدوره من خلال مجموعة عوامل تفيد الاطمئنان أو الوثوق بالصدور^(٢).

وبيان ذلك يتوقف على استيضاح مقدمة:

وهي أنّنا نعلم إجمالاً بأن بعض الأخبار الواصلة إلينا مدسوس ومكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ولهذا التزوير والوضع تاريخ طويل لا يسع ذكره هنا، وقد مورس بأيادٍ خبيثة أكثرها خارجية، وكذا من خلال بعض السلطات الحاكمة وبعض المرتزقة، ويعود زمن هذا الوضع والتزوير إلى بداية الدعوة، حتى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد صرّح في غير موطن بذلك، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «... وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى

(١) المصدر نفسه: ص ١٣٦.

(٢) الإيرواني، محمد باقر، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية: ص ٤٩.

عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ؛ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَبْغُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. ثُمَّ كَذَبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ»^(١).

وعليه؛ فإنَّ منهج فقهاء أهل البيت في الاستنباط الفقهي والتشريعي لا يعتمد على كلِّ الروايات الواصلة إليهم؛ لأنَّهم يعلمون إجمالاً أنَّ بعض ما وصل من روايات موضوع ومكذوب عليهم؛ لذا فإنَّ منهج البحث في نقل الرواية المتعلقة بإثبات حكم شرعي فرعي يعتمد على أسس وقوانين مدوَّنة تفصيلاً في علمي (الرجال والحديث)، ونحن نكتفي بذكر ملخَّص من ذلك؛ فنقول: إنَّ الروايات تنقسم على أربعة أقسام:

- ١ - الرواية الصحيحة: وهي الرواية التي يكون جميع رواتها عدولاً إمامية اثني عشرية.
 - ٢ - الرواية الموثَّقة: وهي الرواية التي يكون جميع أو بعض رواتها ثقات، وإن لم يكونوا إمامية اثني عشرية، وكانوا من أبناء العامة الثابتة وثافتهم، أو زيدية، أو إسماعيلية أو غيرهم، إذا كانوا ثقات.
 - ٣ - الرواية الحسنة: وهي الرواية التي في سندها راوٍ إمامي، ولكنه ممدوح ولم يرد فيه توثيق.
 - ٤ - الرواية الضعيفة: وهي الرواية التي يكون راويها منصوباً على ضعفه، أو مجهول الحال؛ فيعامل معاملة الضعيف^(٢).
- والمشهور يرى اعتبار الروايات الثلاث الأولى دون الأخيرة^(٣)، ففي إثبات حكم شرعي لا بدَّ من وصول الرواية إلينا بطريق معتبر وحجَّة؛ لكي نعتدَّ عليها في مقام الاستنباط.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٦٢.

(٢) أنظر: الإيرواني، محمد باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ص ٤٧.

(٣) أنظر: الحسيني، محمد سرور، مصباح الأصول (تقريرات بحث المحقق السيد الخوئي رحمته الله): ج ٢، ص ٢٠٠.

والروايات التي تكون حجة في الأحكام على صنفين:

الصنف الأول: أن يكون الخبر واصلًا إلينا بالعلم والقطع، وهو الخبر المتواتر، ونسبة تلك الأخبار قليلة جداً.

الصنف الثاني: الخبر الواصل إلينا بالظنّ المعتبر الذي جعله الشارع حجة، وتحصيل ذلك بأحد مبنيين:

الأول: مبنى الوثاقة

وهو ما ذهب إليه بعض الأعلام المعاصرين، كالسيد الخوئي رحمته الله وجملة من تلاميذه، وحاصله: أن الخبر المعتبر في الفقه ما كان رواته منصوباً على وثافتهم، إما بالتوثيقات الخاصة، كنص الإمام عليه السلام أو نص أحد الرجالين المتقدمين، كالطوسي أو النجاشي على وثاقة راوٍ معين، أو بالتوثيقات العامة، ككبرى وثاقة كل من ورد في إسناد تفسير القمي، أو في نواذر الحكمة أو غير ذلك، كما هو مفصل في محله من علم الأصول والرجال^(١). أما غير ذلك؛ فلا ثبوت للأحكام الفقهية به.

الثاني: مبنى الوثوق بالصدور

وهو ما ذهب إليه مشهور الفقهاء - كالسيد محسن الحكيم والسيد حسين البروجردي والسيد السيستاني وشيخنا الاستاذ السند وبعض أساتذتنا المعاصرين - وهو الصحيح - من أن الوثوق بالصدور يكفي في اعتبار الرواية، ومعنى الوثوق بالصدور هو: تجميع قرائن من داخل الخبر وخارجه تفيد اطمئناناً بأن الخبر قد صدر عن المعصوم، وإن لم يكن كل رواته في سلسلة السند منصوبي الوثاقة؛ فالحجة هو حصول الاطمئنان والوثوق بأن الخبر صادر عنهم؛

وتكون حينئذ وثيقة الرواة إحدى أمارات تحصيل الوثوق بالصدور^(١).

وعلى كلا المبنيين - خصوصاً الأول منهما - لا يهمل الخبر الضعيف كلياً ويعامل معاملة غير الصادر، بل لعله صادر ولكن لم يثبت لنا طريق لاعتباره. وبعبارة أخرى: كون الخبر ضعيفاً لا يدلّ على نفي صدوره عن المعصوم بشكل قطعي، بل لعله صدر ولا وسيلة لإثباته.

وهذا يستدعي عدم طرح الأحاديث الضعيفة كلياً؛ للقاعدة التي أسسها علماء الأصول من حرمة ردّ الخبر الضعيف^(٢)؛ إذ يمكن الاستفادة منه في إثبات مستحب أو مكروه؛ طبقاً لقاعدة التسامح في أدلة السنن، التي يبنى عليها بعض الأعلام، كما يمكن إثبات حصول التواتر أو الاستفاضة به.

والروايات العاشورائية لا تخضع لهذا الميزان على نحو كلي، وإنما يشملها فيما إذا كانت تلك الروايات تؤسس لحكم شرعي، أو تنسب فعلاً أو قولاً لمعصوم كالإمام الحسين أو الإمام السجاد عليه السلام.

نعم، بعض الروايات الضعيفة التي تنقل أفعال الإمام الحسين عليه السلام لا ينبغي طرحها، بل يُبحث عن قرائن أخرى لإثباتها، خصوصاً على مبنى الوثوق بالصدور، كما أشرنا سابقاً. فمثلاً: إذا نقل ابن عساكر في تاريخه حدثاً عن كربلاء، وتكرر النقل من مؤرّخ آخر للحدث نفسه، كما لو نقل الخوارزمي والرازي نفس الحدث، فلا يقال: إن أخبارهم ضعيفة ولا يؤخذ

(١) أنظر: الهمداني، مصباح الفقيه: ج ١، ص ٣٤. والحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج ٩، ص ٢٤٨. والسبحاني، جعفر، الرسائل الأربع: ج ٣، ص ٦٩ (حيث ينقل رأي السيد البروجردي). والإيرواني، محمد باقر، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ص ٢٠٧.

(٢) أنظر: العاملي، محمد بن مكي (الشهيد الأول)، غاية المراد في شرح نكت الإرشاد: ج ١ ص ١٠٣. والسند، محمد، بحوث في مباني علم الرجال: ج ١، ص ٧٤.

بها؛ لأنّ الخبر الضعيف لا يعني أنّه مدسوس، فلو حصل لنا اطمئنان أو وثوق بالصدور أصبح حجة، وحصول ذلك الوثوق بسبب قرائن من داخل النصّ، كعلو بلاغته، أو إخباره عن المغيّبات وغيرهما، أو من خارج النصّ، كما هو مبحوث في علم الدراية والرجال.

وخلاصة الكلام في موردنا هذا هو: أنّ روايات عاشوراء إنّما توزن بالميزان الفقهي إذا كانت حاوية على مسائل فقهية.

وإليك بعض التطبيقات الكلية التي لا بدّ أن توزن بميزان الفقه:

١- كلّ ما يتعلّق بالمسائل التي تخصّ الحلال والحرام، كالصلاة التي صلاّها الإمام الحسين عليه السلام حال الحرب (صلاة الخوف)، وطلبه الهدنة المؤقتة من القوم حتى يصلّي؛ فقد روي أنّه عندما ذكره أحد أصحابه بالصلاة، قال له الإمام عليه السلام: «... ذكرت الصلاة؛ جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم، هذا أول وقتها. ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلي»^(١).

ومن ذلك أيضاً: مسألة خروجه عليه السلام يوم التروية، كما ذكر المؤرخون^(٢)؛ حيث ذكروا أنّ خروجه كان بسبب الاضطرار، فبيحث في أصل جواز الخروج وعدمه؛ وبناءً على الجواز، هل يجوز الخروج مطلقاً أو بشرط الاضطرار؟ ونحو ذلك.

ومنه: مسألة مشروعية الإذن بترك الجهاد معه عليه السلام والترخيص من قبله بالنجاة - حيث يُبحث في صلاحية ولي الأمر بترك الجهاد والإذن بالانصراف - فروي في ثمرات الأعواد قوله عليه السلام: «يا أصحابي، إنّ هؤلاء يريدوني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢١.

(٢) أنظر: الأمين، محسن، لواجع الأشجان: ص ٧٠. والسيد شرف الدين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص ٢٠٩.

فالنجاة النجاة ! وأنتم في حلٍّ منِّي؛ فإنكم إن أصبحتم معي قُلتُم كلَّكم»^(١).

ومنه: مسألة إصرار الإمام الحسين عليه السلام على عدم بدء الحرب، وإنَّما بدأت من جهة جيش العدو^(٢).

ومنه: قبول التوبة حتى بعد ارتكاب ما هو سبب لقتل الحسين عليه السلام، كما في التوبة التي سألهَا الحرَّ مخاطباً الإمام عليه السلام: هل لي من توبة؟ فقال عليه السلام: «نعم، يتوب الله عليك»^(٣).

٢- كلُّ ما ينسب للإمام الحسين عليه السلام - وإن لم يكن مسألة فقهية - من قول أو فعل أو تقرير؛ وذلك لخصوصية العصمة.

٣- كل ما يرويه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أو أهل بيته أو السيدة زينب عليها السلام، من أقوال أو أفعال عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ للخصوصية نفسها.

٤ - كل ما يروى عن الإمام السجاد عليه السلام من قول أو فعل - سواء كان فقهياً أو غير فقهياً^(٤) - لعدم جواز نسبة شيء إليه بشكل قطعي إلا بحجة شرعية؛ لأن الإسناد له إسناد

(١) أنظر: الهاشمي، علي بن الحسين، ثمرات الأعواد: ج ١ ص ٢٥٨.

(٢) أنظر: الحلبي، ابن نما، مثير الأحرار: ص ٥٦.

(٣) أنظر: المصدر نفسه: ٥٩.

(٤) كما روى أبو مخنف، قال: «حدَّثني الحارث بن كعب وأبو الضحَّاك، عن علي بن الحسين بن علي، قال: إنِّي جالس في تلك العشيَّة التي قُتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرُّضي، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يادهر أفي لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قاتل	والدهر لا يقتنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل	وكلَّ حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفت ما أراد؛ فخنقنني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل...». أبو مخنف، مقتل الحسين: ص ١١١.

للشارع المقدّس^(١)، ومثال ذلك: ما نقل بعض الكتّاب والمؤرخين كالدربندي في أسرار الشهادة والسيد المقرّم في كتابه زين العابدين^(٢): من أنّ الشهداء دفنوا في حفرة واحدة بتقرير من الإمام السجاد عليه السلام، وهذا النقل يستدعي إثبات ذلك برواية مسندة؛ إذ إنّه حكم فقهي من جهة، وإنّ أكثر الفقهاء بين مانع من الدفن الجماعي في قبر واحد، وبين قائل بالكراهة، ويستفاد ذلك من عبارة صاحب الجواهر؛ حيث قال: «و (منها) (أي المكروهات) دفن ميتين ابتداءً في قبر واحد بلا خلاف أجده بين من تعرّض له - من ابن حمزة والفاضلين والشهيد وغيرهم - عدا ابن سعيد في الجامع فنهى، ولعله يريداه للأصل وضعف المرسل عنهم عليه السلام (لا يُدفن في قبر واحد اثنان) عن إفادة غير الكراهة؛ فلا وجه للحرمه حيثنّ، كما لا وجه للتوقف في الكراهة بعد ما عرفت، مع إمكان تأييده زيادة على المسامحة فيه بأولويته من كراهة جمعها في جنازة واحدة المنصوص عليها في الوسيلة والمعتبر، وعن المبسوط والنهاية وغيرهما، المدلول عليها في الجملة بمكاتبة الصّفّار لأبي عليه السلام وباحتفال تأذي أحدهما بالآخر، وافتضاحه عنده»^(٣).

٥- كلّ ما ينقله شهداء الطّف من روايات ينسبونها إلى الرسول الأعظم عليه السلام، أو أمير المؤمنين عليه السلام، كما في نقل بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لأقوال رسول الله عليه السلام.

٦ - كلّ ما تنقله السيدة زينب من أقوال عن النبي عليه السلام، أو أمير المؤمنين أو الزهراء عليه السلام، كما في نقلها لوصية الزهراء عليه السلام عندما ترى الحسين وحيداً؛ فتشّمه في نحره وتقبّله في صدره^(٤).

(١) الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول (الحلقة الثالثة): ص ٦٩.

(٢) أنظر: الدربندي، أسرار الشهادة: ج ٣، ص ١٧٠. وأيضاً: المقرّم، عبد الرزاق، الإمام زين العابدين: ص ٤٠٢.

(٣) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٤، ص ٣٤١.

(٤) أنظر: الهاشمي، عليّ بن الحسين، ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٣١.

فهذه الكليات - وما يندرج تحتها من روايات - تحكي أحكاماً فقهية لا بدّ أن تخضع لموازين قبول الرواية في الفقه، ولا تصحّ نسبتها بشكل قطعي ما لم تتوفر تلك الموازين.

ثالثاً: المنهج أو الميزان في البحث التاريخي

إنّ الميزان في نقل الرواية والحدث التاريخي أقلّ تشدداً منه في المنهجين والميزانين المتقدمين؛ حيث يُقبل النقل فيه حتى بالخبر الضعيف ما دام له مصدر، أو منشأ مذكور في كتب التاريخ والتراجم، ولم يعلم أنّه من وضع الوضّاعين، فهو أوسع من المنهجين السابقين في دائرة القبول وعدم الطرح.

فضابطة النقل في هذا العلم هو: أن يكون الحدث المنقول مكتوباً في مصدر تاريخي، وصل إلينا بطريق مشهور ومعتمد عند فئة من الناس، ولم يعتمد كاتبه تزييف الحقائق.

وعادةً ما تكون الكتب التاريخية - بل الأصل فيها - خالية من طرق الإسناد، والمعمول عندهم هو اعتبار كونها قديمة ومشتهرة، وكاتبها متخصص وموضوعي في النقل^(١).

فالمؤرّخ يصوّر الحدث من خلال روايات ومشاهدات وقرائن وتحليل؛ فيرسم صورة للحدث التاريخي بمنظاره.

وفي الحقيقة هناك أسلوبان أساسيان في النقل التاريخي:

الأسلوب الأول: هو الأسلوب (السردى)، وهو ما يغلب على الكتب التاريخية القديمة، فهي سردية تقليدية فقط، دون أن يكون للمؤرّخ أيّ بصمات غير نقل الأحداث التي شاهدها، أو نقلت إليه؛ فينقلها كما هي بالفاظها وكلماتها، كما في تاريخ الطبري وغيره.

(١) أنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد (محاضرات الشيخ محمد السند): ج ١،

الأسلوب الثاني: وهو الأسلوب (العقلي)، والذي هو عبارة عن المنهج التحليلي والاستنباطي، وهو منهج متبع عند بعض المؤرخين؛ فيربط في هذا الأسلوب بين الأحداث ويرسم أحداثاً وتحليلات لا يراها غيره؛ فيصيغها بصياغات فنية وأدبية مع التحليل والتأويل والربط بين مجمل الأحداث والاعتماد على القرائن^(١).

ورواية الشعائر أكثرها من الأسلوب الأول من المنهج التاريخي وبعضها من الثاني؛ فلذا تُعامل روايات وأحداث الملحمة الحسينية كما تُعامل روايات التاريخ، فكما أننا لا نطلب الأسانيد في نقل حادثة تاريخية ما، كذلك لا نطلب أسانيد لإثبات حادثة عاشوراء ووقائعها. نعم، ما كان متعلقاً بباب الأحكام وأصول الاعتقاد يُحكم بموازين المنهجين العقائدي والفقه.

ولا حاجة لذكر التطبيقات العاشورية في هذا المنهج التاريخي؛ لأنها الأكثر في الروايات والأحداث.

النتيجة:

إنَّ روايات عاشوراء ما دام غالبها روايات داخلية في المنهج التاريخي، فهي تقاس بالمقياس التاريخي لا غير، أما ما كان فيه مساس بالعقيدة أو الفقه فيقاس بمقياس ومنهج علمي الكلام والفقه.

النقل التاريخي بأسلوب أدبي

وهناك أسلوب آخر أقرب للمنهج التاريخي النقلي، وهو منهج التعبير الأدبي والإبداعي - سواء كان بنحو القصة أو الشعر أو غيرهما - الذي شاع كثيراً في التمثيل الدرامي

(١) أنظر: مطهري، مرتضى، المجتمع والتاريخ: ص ٦٥.

والسينمائي والمسرحي والشعري.

والفرق بين هذا الأسلوب والمنهج التاريخي: أنَّ المؤرَّخ ينقل في مقام الإخبار عن واقع ما، أمَّا في المنهج القصصي، فلا يقول القاصُّ: إنِّي أخبر عن الواقع، وإنَّما أريد أن أُصوِّر الحدث التاريخي الواصل إلَيَّ بصورةٍ أكثر تأثيراً، وبأدوات تخيلية وفنيّة ومجازيّة وكنائيّة.

وهذا الأسلوب ليس غريباً أو بعيداً عن الحدث التاريخي، بل هو مرتبط به ارتباطاً ما، وحاكياً عنه بوجه آخر، فهو كالمدلول الالتزامي له.

ومن أهمِّ أمثلته لسان الحال الذي شاع ذكره بين الخطباء والشعراء، ومثاله البارز: ما أنشأه دعبل الخزاعي من شعرٍ بحضرة الإمام الرضا (عليه السلام)، عندما صوِّر حضور الزهراء (عليها السلام) في الطفّ تصويراً قصصياً، على أنّه ليس في مقام الإخبار، وإنَّما هو تصوير لشخصيّة حقيقة بتصوير افتراضي؛ لذا صدّر القصيدة بحرف (لو)، فقال:

أفاطم لو خلتي الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذن للظمّي الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات^(١)
فهو ليس في مقام الإخبار الحقيقي عن الحدث، بل في مقام الشعر والافتراض، ولكن الأشخاص في هذا التصوير أشخاص حقيقيون؛ فلا يقال له: إنَّك كاذب.

ولهذا الفنّ وأمثاله ضوابط وشروط وأحكام، ستكون عنواناً لبحثنا القادم إن شاء الله تعالى.

البحث الثاني:

مشروعية التعبير بلسان الحال في أدب الطفّ وضوابطه

مقدمة:

من الموضوعات المتعلقة بـ (فقه الشعائر الحسينية) الذي شاع كثيراً في أدب الطفّ شعراً ونثراً، وأصبح مادةً إلغائيةً (إنشادية)، أو كتابيّةً هو: موضوع لسان الحال؛ فقد وُظف في كثيرٍ من الموارد المتعلقة بالشعائر الحسينية، كما في كلمات الخطباء، وشعر الشعراء، وتناجات أقلام الكتّاب والباحثين، فلعلّك لا تجد شاعراً أو خطيباً في قصيدته، أو مجلسه إلّا ويصوّر لك بلسان الحال ما حلّ برموز كربلاء ومَن يرتبط بهم، بل ولسان حال السيّدة الزهراء صلوات الله عليها، وسائر الأئمة المعصومين وغيرهم.

ولذلك؛ وقع الكلام في مشروعيّة هذا الأسلوب الأدبي، وتصوير حال أشخاص الطفّ بصورة عامّة، وما يزيد الأمر تعقيداً هو ما يتمتع به بعض اشخاص الطفّ من سمة العصمة، وعلو المقام، ورفعة المنزلة؛ فلذا قد يصعب معرفة حالهم، وإدراك آفاق تفكيرهم، وما يتخذونه من مواقف، أو ما يقولونه من كلمات تجاه الأحداث التي تجري عليهم؛ فمن نَمَّ يصوّر الشاعر أو الناثر لسان حالهم، كتعبير عمّا كانوا سيقولونه بلسان المقال والكلام، أو ما سيفعلونه من تصرفات ومواقف عمليّة تجاه الوقائع، والأحداث التي أحاطت بهم يوم عاشوراء، ومن أهمّها مصرع سيّد الشهداء عليه السلام:

وفي الحقيقة هناك اتّجاهان في أصل جواز لسان الحال في أدب الطفّ، خصوصاً إذا

كان لسان حال المعصومين - كالزُهراء، والحسين، والسجاد صلوات الله عليهم :-

اتَّجَاهَ ذَهَبَ إِلَى الْمَنَعِ مِنْ تَصْوِيرِ لِسَانِ الْحَالِ، وَالْاِقْتِصَارِ عَلَى لِسَانِ الْمَقَالِ.

وَاتَّجَاهَ أَصْرَ عَلَى الْمَشْرُوعِيَّةِ وَالْجَوَازِ، كَرْدِيفِ لِلْسَانَ الْمَقَالِ، بَلْ وَصَفَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ الْحَالِ بِأَنَّهُ أَصْدَقُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ.

وَلِكَلَا الْاِتِّجَاهَيْنِ أَصْحَابُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَأَدْلَتُهُ، وَبَيَانَاتُهُ، وَسَنَقَفَ عَلَى ذَلِكَ مَفْصَلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي طَيِّبَاتِ الْكَلَامِ.

بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مُحَلَّلَ ابْتِلَاءٍ؛ أَصْبَحَ هُنَاكَ سَبَبٌ وَجِيهٌ لِبَحْثِهَا وَتَنْقِيحِهَا، وَالْوُقُوفُ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَبِزَيْدِ الْأَمْرِ أَهْمِيَّةٌ أَنَّهَا مِنَ الْمَسَائِلِ غَيْرِ الْمُبْحُوثَةِ عَلَى مَسْتَوَى التَّنْظِيرِ وَالتَّوْجِيهِ الْفَقْهِيِّ، فَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى كَوْنِهَا مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَحْدَثَةِ، وَأَغْلَبُ مَنْ ذَكَرَهَا لَمْ يُفْصَلْ فِيهَا، وَإِنَّمَا أَجَابَ عَنْهَا عَلَى شَكْلِ فَتْوَى بِالْجَوَازِ أَوْ عَدَمِهِ، وَبَيَّنَّهَا بِالْإِشَارَاتِ الْإِجْمَالِيَةِ بَحِيثٌ لَا يَتِمَكَّنُ الْقَارِئُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَتَبَقِيَ التَّسَاؤُلَاتُ وَالِاسْتَفْسَارَاتُ تَجُولُ فِي ذَهْنِهِ، وَلَا يَجِدُ لَهَا جَوَابًا.

وَفِي هَذَا الْمَقَالِ نَحَاوِلُ الْوُقُوفَ عَلَى أَهَمِّ مَفَاصِلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؛ لَتَكُونَ بَاكُورَةً عَمَلٍ، وَهَيْكَلَةً بَحْثٍ، لِمَنْ يَرِيدُ دِرَاسَتَهَا وَبَلُورَتَهَا تَفْصِيلًا.

معنى لسان الحال

لَا نَجِدُ فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَيْ إِشَارَةً إِلَى تَرْكِيبِ (لِسَانِ الْحَالِ) بِهَذَا الْعَنْوَانِ، وَإِنَّمَا شَاعَ وَانْتَشَرَ فِي التَّعَايِيرِ الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا وَنَثْرًا، بِوَصْفِهِ أَسْلُوبَ بَيَانٍ لِمَا يَقْتَضِيهِ حَالُ الْمُتَكَلِّمِ، مِنْ خِلَالِ الْإِطْلَاعِ عَلَى مَجْمَلِ أَعْمَالِهِ، أَوْ حَرَكَاتِهِ، أَوْ تَقَاسِيمِ وَجْهِهِ، أَوْ أَفْقِ تَفْكِيرِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ غَيْرُ لِسَانِ الْمَقَالِ وَالْكَلَامِ.

فكل ما يصدر من الإنسان من كلام مُصاغ بصياغات لفظية يسمّى ذلك: لسان مقال، وبتعبير آخر: هو لساننا الذي ننطق به، أو مجمل ما تنطق به الشفتان من كلام أمام الناس؛ فيؤخذ حينئذٍ بظهورات لفظ المتكلم سواء كانت له أم عليه، ويُعرف من خلاله مراداته الاستعمالية والجديّة إذا كان في مقام البيان.

وفي قبال ذلك يقع لسان الحال الذي يمكن أن نعرفه بأنّه لسان تصوّرنا في واقع الأمر من حركاتٍ، وسكناتٍ، وإشاراتٍ، ومواقفٍ ممّا نفعله في حياتنا وعلاقاتنا بالآخرين، كنصرفاتنا الشخصية، ومعاشرتنا للناس، ومجمل كلماتنا الأخرى خصوصاً في مواقف مشابهة للموقف المحكي، يقرأها المقابل وبصيغها بصياغاتٍ أدبية، مجازية تحكي لسان مقالنا، أو تُقرّب منه، بأسلوبٍ أدبيّ فنيّ مجازيّ، بلا دعوى كونها لسان مقال.

ولعلّ أقدم النصوص التي عرّفت لسان الحال هي ما ذكره الغزالي، حيث قال: «هو نطق وراء نطق المقال، يُشبه قول القائل حكايةً لكلام الوجد والحائط، قال الجدار للوجد: لم تشقني؟ فقال: سل من يدقني»^(١).

وعرّفه العلامة الطباطبائي، فقال عنه: «انكشاف المعنى عن الشيء لدلالة صفةٍ من صفاته، وحالٍ من أحواله عليه سواء شعر به أم لا»^(٢).

أمّا كمصطلح، فقد وردت لفظة (لسان الحال) في بعض أبيات الشعر العربي، ومن تلك الأبيات قول الشاعر:

قف بالديار وسلهم عن أهاليها عسى ترد جواباً إذ تناديها
واستفهم من لسان الحال ما فعلت أيدي الخطوب وماذا أبرمت فيها^(٣)

(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين: ج ١، ص ١٧٨.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ٣٠٨.

(٣) البحراني، يوسف، كشكول البحراني: ج ١، ص ٤٣٠.

وقال آخر:

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبراً^(١)
وما يصوغه المقابل - كالشاعر، أو الكاتب - من ألفاظ إنما تحكي لسان حال المتكلم
في واقعة ما، فيما لو أراد الكلام في تلك الواقعة، فالتصدي لسان الحال هو غير المتكلم
بطبيعة الحال، ودوره إبراز كلمات يدعي أنها تُعبّر أو تُطابق كلام المتكلم في حال كلامه،
وهذه التعابير نتاج ما يقتضيه حال المتكلم، وتقاسيم وجهه، ومجموع كلماته الأخرى، أو
معرفة المتكلم له، أو من خلال قراءة معرفيّة بشخص المتكلم، ومواقفه الأخر التي نطق
بها؛ فمن مجموع ذلك يستنبط صياغات يدعي تجوّزاً أنها كلمات المتكلم فيما لو كان تكلم
حال حصول الواقعة، ولا يدعي أنها كلمات حقيقة، كي يقال: إنها كذب، بل يقول: هي
تصوير مجازي، وأدبيّ لما يقوله القائل لو أراد القول.

فيكون لسان الحال من باب التعبيرات الأدبية الفنيّة المجازيّة، والكنائيّة التي تحكي
مُرادات وكلمات الشخص الذي لم يتكلم في واقعة ما، بأسلوبٍ فنيّ رائع وجميل، يصوغه
الشاعر أو الأديب.

وهو أسلوب أدبيّ عريق؛ إذ لا نجد شعراً من الأشعار العربية في كلّ العصور الأدبيّة -
ابتداءً من عصر ما قبل الإسلام المسمّى بالعصر الجاهلي في كتب الأدب، ومروراً
بالإسلامي، فالأمويّ، فالعباسيّ، وانتهاءً بالشعر الحديث والمعاصر - إلاّ وقد حوى روائع من
لسان الحال.

ثم إنّ لسان الحال قد ورد في كثير من الروايات التي نقلها بعض المحدثين في كتبهم
ومعاجمهم الروائيّة، كما سنبين لاحقاً.

(١) الألوّسي، محمود، روح المعاني: ج ٩، ص ٥٥.

كما أنّ بعض المفسّرين قديماً وحديثاً، وكذا بعض الباحثين، والمهتمين بالشأن القرآني قالوا بوجود لسان الحال في بعض الآيات القرآنية الكريمة، كتعبير عن لسان حال بعض الأفراد، وما كانوا ليقولوا لو نطقوا بلسان المقال، بل إنّ بعض الباحثين أدخل بعض القصص القرآني، والمثل القرآني في لسان الحال^(١).

لسان الحال في النصوص الشرعية

هناك نماذج من النصوص الشرعية، كآيات الكريمة، والروايات، والأشعار التي وردت عن آل البيت، أو بحضورهم وتقريبهم، والتي استعمل فيها لسان الحال، كأسلوب بياني أدبي، وهذا له فائدة في دعم أصل مشروعية لسان الحال، بوصفه أسلوباً للبيان والتخاطب، وأنه أسلوب مشروع، وليس داخلاً في عنوان الكذب والخيال؛ ولذلك يُسوَّغ من حيث الأصل استخدام هذا الأسلوب في المحاورات بصورة عامّة، وفي الأدب الحسيني - شعراً أو نثراً - بصورة خاصّة. وإنّما يُبحث في موانع الاستعمال أو العناوين الطارئة التي قد تُحرّمه، فيكون عرض ذلك بعنوان مدخل لبيان الحكم في المسألة.

وعليه؛ فتكلّم في محاور ثلاثة:

المحور الأول: لسان الحال في القرآن الكريم

ذهب بعض المفسّرين والباحثين إلى وجود أسلوب لسان الحال في النص القرآني الشريف؛ وذلك في آيات عديدة، إمّا بشكل قطعي، أو بنحو أحد الاحتمالات، أو بنحو الأطروحة. بل وسع بعض الباحثين الأمر فذكر أنّ كثيراً من القصص والأمثال القرآنية قد وردت بهذا الأسلوب البياني، قال شيخنا الأستاذ محمد السند: «... وهذا باب استعمله

(١) استفدنا ذلك من محضر درس سماحة الشيخ الأستاذ السند دامت افادته، في محاضرة خاصة حول عاشوراء.

القرآن، وهو وحيٌ وحياني إلهي؛ فإنَّ ضرب الأمثال في الكتاب العزيز لا حدَّ له وفرةٌ وكثرةٌ مع أنَّ المثل لا يراد الإخبار بمفاده المطابقي، بل المراد الجدِّي منه المعنى المبطن والكنائي الذي يغيّر المعنى المطابقي لسطح المثل، بل قد ضرب القرآن للناس من كلِّ مثل.

نعم، ليس القرآن كلّهُ من قبيل المثل والأمثال، كما توهّم بعضٌ، بل هو أحد الأبواب الثمانية لأسلوب القرآن، والحكمة في هذا الأسلوب والنمط من الاستعمال أمور كثيرة:

منها: إنَّ كثيراً من المعاني ليست حسية مرئية، بل هي من شؤون الرّوح وحالات النفس والخواطر القلبية، وغيرها من الأفعال التي ليست من عالم المادّة المحسوسة المرئية المسموعة الملموسة، بل هي من مشهد نفساني، ومشهد روحي، ومشاهد عقلية، ونفحات قلبية، وهي أوسع شأناً، وأكبر واقعيةً من العالم المرئي المحسوس، ولا بدّ من الإخبار عنه وانعكاسه إلى الآخرين، ولا يتأتى إلّا بأنماطٍ آخر، أحد نماذجها أسلوب المثل والتمثيل، ولسان الحال يلتقي معه في ذلك»^(١).

وهنا نعرض بشكل مجمل بعض الآيات التي قيل بورودها بلسان الحال لا لسان المقال، مع استعراض آراء بعض المفسّرين في هذا المجال:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾^(٢).

ذكر بعض المفسّرين في تفسير هذه الآية أنّها جاءت: «حكاية لما قال لهم نبيهم، أو لسان الحال، أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك»^(٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾^(٤).

(١) استفدنا ذلك من محضر درس سماحته، في محاضرات خاصة حول عاشوراء.

(٢) سبأ: آية ١٥.

(٣) البضاوي، عبد الله بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البضاوي): ج ٤، ص ٣٩٦. وأنظر:

الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٩٥.

(٤) التوبة: آية ٤٦.

أشار المفسرون إلى وجوه عديدة في الآية الكريمة، واحتمل بعضهم أنها وردت بلسان الحال، وبذلك قال الشيخ مغنية: «﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾»، أي: مع النسوة والأطفال والعجزة. ولم يبين سبحانه من الذي قال لهم هذا، هل هي أنفسهم الأمارة، أو لسان الحال، أو بعضهم لبعض ؟ الله العالم^(١).

الآية الثالثة: قوله عز وجل: «﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾»^(٢).

يعتقد بعض المفسرين بوجود احتمال لسان الحال في الآية الكريمة، بل جزم به بعضهم، أو جعله الاحتمال الأقوى، وهو ما بينه السيّد محمد حسين الطباطبائي بقوله: «وعلى هذا؛ يكون قولهم: ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾ من قبيل القول بلسان الحال، أو إسناد للآزم القول إلى القائل بالملزوم؛ حيث اعترفوا بحاجاتهم، ولزمه الاعتراف بمن يحتاجون إليه، والفرق بين لسان الحال، والقول بالآزم القول:

أن الأول: انكشاف المعنى عن الشيء؛ لدلالة صفة من صفاته وحال من أحواله عليه، سواء شعر به أم لا. كما نَفَصَح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها، وكيف لعب الدهر بهم، وعدت عادية الأيام عليهم، فأسكنت أجراسهم، وأخذمت أنفاسهم. وكما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره ومسكنته وسوء حاله.

والثاني: انكشاف المعنى عن القائل لقوله بما يستلزمه أو تكلّمه بما يدل عليه بالالتزام. فعلى أحد هذين النوعين من القول - أعني: القول بلسان الحال والقول بالاستلزام - يحمل اعترافهم المحكي بقوله تعالى: «﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾»، والأول أقرب وأنسب؛ فإنه لا يكتفي في

(١) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ج ٤، ص ٥٠.

(٢) الأعراف: آية ١٧٢.

مقام الشهادة إلا بالصريح منها، المدلول عليه بالمطابقة دون الالتزام.

ومن المعلوم أن هذه الشهادة على أي نحو تحققت، فهي من سنخ الاستشهاد المذكور في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فالظاهر أنه قد استوفى الجواب بعين اللسان الذي سألهم به؛ ولذلك كان هناك نحو ثالث يمكن أن يحمل عليه هذه المسألة والمجوبة؛ فإن الكلام الإلهي يكشف به عن المقاصد الإلهية بالفعل، والإيجاد كلام حقيقي - وإن كان بنحو التحليل - كما تقدم مراراً في مباحثنا السابقة فليكن هنا قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وقولهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ من ذاك القبيل^(١).

الآية الرابعة: قوله عزّ من قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢).

يظهر من كلام بعض المفسرين المعاصرين الجزم بأن الآية المباركة وردت بلسان الحال، ومنهم الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل، قال: «... كما ورد في القرآن الكريم التعبير عن لسان الحال، كالآية (١١) من سورة فصلت، إذ جاء فيها: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾»^(٣).

وقال المحدث الكاشاني في المحجة البيضاء: «القسم الخامس: أن يُعبر بلسان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقاً، والبصير بالحقائق يُدرك السرّ فيه، وهذا كقول القائل: قال الجدار للوتد: لِمَ تَشَقِّنِي؟ قال: سل مَنْ يَدَقِّنِي فلم يتركني ورائي، الحجر الذي ورائي. فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال؛ ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، فالبلید يقتقر في فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلاً وفهماً للخطاب، وخطاباً هو صوت وحرف تسمعه الأرض، وتُجيب بصوت

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ٣٠٨.

(٢) فصلت: آية ١١.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ج ٥، ص ٢٨٩.

وحرف، وتقول: أتينا طائعين. والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال، وأنه نبأ عن كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة إلى التسخر^(١).

الآية الخامسة: قوله سبحانه: ﴿... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾^(٢).

احتمل بعض المفسرين بأن الشاهد في هذه الآية كان لسان الحال، ولكنه ناقش هذا الاحتمال وضعفه، وهذا ما جاء في تفسير الأمل؛ حيث قال: «الاحتمال الثالث: إن الشاهد هو القد في الثوب الذي تكلم بلسان الحال، ولكن مع ملاحظة كلمة من أهلها يضعف هذا الاحتمال، بل ينفيه!»^(٣).

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

ذكر بعض الفقهاء أن الآية جاءت بلسان الحال، ومنهم الشيخ جواد التبريزي، الذي قال في كتابه الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: «وأما التعبير عن ذهابه بقوله سبحانه: ﴿فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فهو من قبيل بيان لسان الحال، وأن فعله، فعل من يظن ذلك»^(٥).

الآية السابعة: قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾^(٦).

قال الشيخ المكارم في تفسيره الأمل: «وينقدح سؤال آخر، وهو كيف تخاطب النار وهي موجود غير عاقل فترد وتجب على الخطاب ؟ !

(١) الكاشاني، محسن، المحجة البيضاء: ج ١، ص ٢٧٤.

(٢) يوسف: آية ٢٦.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٧، ص ١٩٤.

(٤) الأنبياء: آية ٨٧.

(٥) التبريزي، جواد، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية: ص ٣٢.

(٦) ق: آية ٣٠.

ولهذا السؤال توجد إجابات ثلاث:

الأولى: إن هذا التعبير نوع من التشبيه، وبيان لسان الحال ! أي: إن الله يسأل بلسان التكوين جهنم وهي تُجيب بلسان الحال، ونظير هذا التعبير كثير في اللغات المختلفة !
الثانية: إن الدار الآخرة دار حياة واقعية، فحتى الموجودات المادية كالجنة والنار يكون لها نوع من الإدراك والحياة والشعور، فالجنة تشاق إلى المؤمنين، وجهنم تنتظر المجرمين.
وكما أن أعضاء جسم الإنسان تنطق في ذلك اليوم وتشهد على الإنسان، فلا عجب أن تكون الجنة والنار كذلك !

بل - وحسب اعتقاد بعض المفسرين - إن ذرات هذا العالم جميعها لها إدراك وإحساس خاص؛ ولذلك فهي تُسبح الله وتحمده، وقد أشارت إليه بعض آيات القرآن، كآية ٤٤ من سورة الإسراء.

والثالثة: إن المخاطبين هم خزنة النار، وهم الذين يردون على هذا السؤال.

وجميع هذه التفاسير يمكن قبولها، إلا أن التفسير الأول أنسب كما يبدو! ^(١).

هذه بعض الآيات التي احتُمل أن فيها لسان الحال، أو جزم بوجود لسان الحال فيها، وهناك آيات أخريات احتُمل فيها لسان الحال، يجدها المتتبع للتفسير؛ لم نذكرها حذراً من الإطالة.

كما أن الآيات التي احتوت على القصص والأمثال، حملها بعض الباحثين على ورود بعضها بلسان الحال، ويمكن الاطلاع على تفاصيل ذلك في كتب التفاسير وكتب القصص القرآني والأمثال في القرآن.

وبذلك يكون أسلوب لسان الحال أسلوباً قرآنياً في الجملة، قد استخدم للتعبير عن حقائق بيانات بلاغية ومجازية.

المحور الثاني: لسان الحال في الروايات

الدليل الثاني على أصل مشروعية لسان الحال هو استعماله في الروايات الشريفة؛ وهناك نحوان لذلك الاستعمال:

أحدهما: ما ورد في الروايات من التعبير بـ (لسان الحال) نصاً.

والآخر: الأساليب البيانية في الروايات، المحمولة على لسان الحال، وإليك بيان كلا النوعين:

النحو الأول: الروايات المصرحة بلسان الحال

لقد ورد تركيب لسان الحال نصاً في بعض الروايات، كأسلوب صادق للبيان، ووصف في بعض مضامينها بأنه أصدق من لسان المقال، ولعل وجه أصدقته: أن في لسان المقال يمكن للمتكلم أن يقول ما لا يريد فعلاً؛ فيكذب بكلامه، أما لسان الحال فهو تعبير قهري غالباً عن لسان الحقيقة التي يُخَبِّئها الإنسان في قلبه ووجدانه، وقد عبّر عن هذا الأمر أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»^(١).

وهذا التعبير قد ورد في عدة روايات:

منها: ما رواه الليثي في عيون الحكم والمواعظ، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لسان الحال أصدق من لسان المقال»^(٢).

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، قال: «أصدق المقال، ما نطق به لسان الحال»^(٣).

(١) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٧.

(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٢٠.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٥٧٤.

النحو الثاني: الروايات المحمولة على لسان الحال

هناك مجموعة من الروايات يدل مضمونها - بنحو الظهور، أو الاحتمال - على لسان الحال، وفي هذا النحو مئات الروايات الموثقة في المجامع الروائية، ونحن ننقل بعضاً من تلك الروايات اختصاراً:

الرواية الأولى: ما رواه الكليني بسنده عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه. يعني في الميثاق»^(١).

وقد شرح العلامة المجلسي الرواية، فقال: «بيان: أي تعلقت الأرواح بتلك الذر، وجعل فيهم العقل، وآلة السمع، وآلة النطق؛ حتى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذر»^(٢).

ولكن السيد الطباطبائي ردّ على ذلك بقوله: «ظاهر الرواية لسان الحال، أو أنهم كانوا على خلقٍ لو نزلوا منزل الدنيا، ظهر ذلك منهم في صورة السؤال والجواب، وأمّا ما ذكره عليه السلام فبعيد عن سياق الخبر، ولو صح لكان هو الخلق الدنيوي بعينه»^(٣).

الرواية الثانية: ما رواه الشيخ الصدوق في كتابي التوحيد وعيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «إنّ لله عزّ وجلّ عموداً من ياقوتة حمراء، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلى.

فإذا قال العبد: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. اهتزّ العرش، وتحركّ العمود، وتحركّ الحوت، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن يا عرشي. فيقول: كيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها؟! فيقول الله تبارك وتعالى: اشهدوا سكان ساواتي أنّي قد غفرت لقائلها»^(٤).

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥، ص ٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه: هامش ص ٥٧.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٤.

الرواية الثالثة: ما جاء من روايات في وداع شهر رمضان المبارك، التي حمل بعض العلماء معنى الوداع فيها على لسان الحال، قال السيد ابن طاووس في الإقبال: «إِنْ سأل سائل فقال: ما معنى الوداع لشهر رمضان وليس هو من الحيوان الذي يخاطب أو يعقل ما يقال له باللسان ؟ !

فاعلم أن عادة ذوي العقول قبل الرسول، ومع الرسول، وبعد الرسول، يخاطبون الديار والأوطان، والشباب وأوقات الصفا والأمان والإحسان ببيان المقال، وهو محادثة لها بلسان الحال.

فلما جاء أدب الإسلام أمضى ما شهدت بجوازه من ذلك أحكام العقول والأفهام، ونطق به مقدس القرآن المجيد، فقال جل جلاله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾. فأخبر أن جهنم رذات [الجواب بالمقال، وهو إشارة إلى لسان الحال، وذكر كثيراً في القرآن الشريف المجيد، وفي كلام النبي والأئمة، وكلام أهل التعريف، فلا يحتاج ذوو الألباب إلى الإطالة في الجواب.

فلما كان شهر رمضان قد صاحبه ذوو العناية به من أهل الإسلام والإيمان، أفضل لهم من صحبة الديار والمنازل، وأنفع من الأهل وأرفع من الأعيان والأمثال، اقتضت دواعي لسان الحال أن يودع عند الفراق والانفصال»^(١).

الرواية الرابعة: ما رواه الرازي في تفسيره من أن: «موسى عليه السلام كلم البحر، قال له: انفلق لي لأعبر عليك. فقال البحر: لا يمر علي رجل عاص».

ثم قال الرازي: «وعند المعتزلة أن ذلك على لسان الحال، لا لسان المقال. والله العالم»^(٢).

(١) ابن طاووس، علي موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٢) الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي: ج ٢٢، ص ٩٤.

وغير ذلك من الروايات الدالة على وجود مثل هذا الأسلوب في البيان والتعبير، وهو دليل آخر على أصل مشروعية لسان الحال.

المحور الثالث : لسان الحال في أشعار آل البيت

لا شك في شيوع لسان الحال في الأدب العربي شعراً ونثراً؛ باعتباره أسلوب بيان استخدم في مئات القصائد، وعشرات المقاطع النثرية، والمتتبع للأدب العربي يجد ذلك واضحاً، ونذكر على نحو الاختصار مثلاً للشعر، ومثالاً للنثر مما ورد بلسان الحال، فمن الشعر قول الشاعر - وهو يحكي لسان حال ثلاث أخوات لاقاهنَّ في الطريق :-

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمّتها قد عرفناه وهل يخفى القمر^(١)
ومن النثر قول القائل: «سل الأرض، فقل: مَنْ أجرى أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك ؟ فإن لم تُجبك حواراً أجابتك اعتباراً»^(٢).

وليس هدفنا استعراض لسان الحال في الأدب العربي؛ لأنّه خارج عن محلّ الكلام، وإنّما هدفنا هو ذكر الأشعار التي وردت بأسلوب لسان الحال؛ إمّا بنحو الإلقاء من قبَل أهل البيت، أو التي أُلقيت في حضرتهم ولم يعترضوا عليها، وهذا النحو من الشعر له شواهد تناقلتها كتب الحديث والتأريخ والأدب، وهو كما يدل على أصل مشروعية هذا الأسلوب البياني، كذلك يدل على مشروعية استعمال أسلوب لسان الحال في خصوص الأشعار التي يكتبها شعراء آل البيت (عليه السلام) في أدب الطفّ، ومن هذه الموارد:

الأول: ما نُسب إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطباً الزهراء (عليها السلام) عندما كان يزور

(١) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني: ج ١، ص ١١٦.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: ص ٥٨.

قبرها الطاهر:

مالي وقفت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلم يردّ جوابي
أحبيب مالك لا ترد جوابنا أنسيت بعدي خلّة الأحباب
قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل و تراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم مني السلام تقطعت عني وعنكم خلّة الأحباب^(١)

الثاني: ما أنشده دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت عندما خاطبه الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: «يا دعبل، ارث الحسين؛ فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً، فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت. قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي، وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذا للظمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندي نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفتح ناهها صلواتي
قبور ببطن النهر من جنب كربلا معرّسهم فيها بشط فرات^(٢)

الثالث: ما أنشده الإمام الهادي عليه السلام من قصيدة أمام المتوكل العباسي، وقد حوت لسان الحال:

وهي ما رواه المجلسي قائلاً: «قال المسعودي في مروج الذهب: سعي إلى المتوكل بعلي بن محمد الجواد عليه السلام أنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وآته عازم على

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢١٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٥٧.

الوثوب بالدولة؛ فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا داره ليلاً، فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن. فحُمِلَ على حاله تلك إلى المتوكل، وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرء [أ] القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه والكاس في يد المتوكل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكاس التي كانت في يده، فقال: والله، ما يخامر لحمي ودمي قط؛ فاعفني. فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً. فقال عليه السلام: إني قليل الرواية للشعر. فقال: لا بد. فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القُلل
واستنزَلوا بعد عزٍّ من معاقلهم	وأسكنوا حفراً يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم	أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تُضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود تقتل
قد طال ما أكلوا دهنراً وقد شربوا	وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

... فأشفق كلٌّ من حضر على عليّ، وظنَّ أن بادرة تبدر منه إليه، قال: والله، لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بَلَّتْ دموعه لحيته، وبكى مَنْ حضره، ثُمَّ أمر برفع الشراب، ثُمَّ قال له: يا أبا الحسن، أعليك دينٌ؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار. فأمر بدفعها إليه، وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً^(١).

إلى غير ذلك من الشواهد التي يجدها المتتبع لكتب الحديث والتاريخ والأدب.

لسان الحال في الميزان الفقهي

من المسائل المستحدثة في (فقه الشعائر الحسينية)، مسألة استخدام لسان الحال في مصاديق الشعائر، سواء نثراً أو شعراً أو خطابةً، وقد شاع استخدام هذا الأسلوب وانتشر بين شعراء الطفّ وخطبائه بصورة ملحوظة خصوصاً بين المعاصرين؛ وبذلك انفتح نقاش فقهي في المسألة من حيث المشروعية وعدمها.

وتخالفت بذلك آراء الفقهاء بين مجوّز ومانع، والمسألة باعتبارها مستحدثة لم تُطرح إلى الآن على مستوى التنظير والاستدلال الفقهي الموسّع، وإنّما طُرحت على مستوى الفتوى، وطبيعة الفتوى لا تسلّط الضوء على الأدلة، وإنّما يُعطي الفقيه من خلالها موقفاً عملياً بقال قانوني مقتضب؛ لكي يطبّقه المكلف أو السائل، ولا يتصدّى لبيان أدلة الحكم، ومن تصدّى لذلك، فإنه لم يبيّنه إلّا بشكل مجمل.

أقوال الفقهاء في لسان الحال

تنقسم أقوال الفقهاء في مسألة لسان الحال إلى قسمين: قسم ذهب إلى المنع. وآخر جوّز مثل هذا الأسلوب، ولكن بشروط معيّنة:

القول الأول: (المنع)

أبرز من ذهب إلى المنع هو الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمته الله، في كتابه أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث تبّنى القول بعدم جوازه بعد أن أورد جملة من الإشكالات، وبما أن كتابه ليس كتاباً فتوائياً، بل كان بحثاً تاريخياً؛ فلا نستطيع أن نجزم بأن فتواه في ذلك هي المنع مطلقاً، ولم نجد فيما بحثنا فتوى له بذلك.

أدلة المانعين

لقد طرحت في هذا المجال مجموعة من الشواهد والأدلة، نشير فيما يلي إلى بعضها:

الدليل الأول: ما قد يظهر من كلمات بعض الأعلام، وهو أنّ لسان الحال نوع من الكذب والمبالغة، وهو غير جائز في الشريعة المقدّسة، خصوصاً إذا كان على الذوات المقدّسة، كالنبيّ الأعظم، أو أمير المؤمنين، أو السيّد الزهراء، أو الأئمة من أبنائها المعصومين^(١).

ويمكن أن يلاحظ عليه:

١- إنّ لسان الحال ليس داخلياً في الكذب؛ فهو وإن لم يكن تعبيراً حقيقياً عن مقال الإنسان، إلّا أنّه تعبير مجازي، وليس أسلوب المجاز أسلوباً داخلياً في الكذب، كيف ذا وقد وردت آيات، وروايات بهذا الأسلوب ؟ !

٢- إنّ لسان الحال إنّما يقال: إنّّه كذب. لو كان كاتبه يدّعي أنّه يُعبّر عن حال الآخرين بنحو المطابقة والحقيقة، ولكن القائل للسان الحال لا يدّعي الحقيقة، وإنّما يدّعي تصويراً مجازياً ادعائياً فنياً لما سيقوله الآخرون لو نطقوا به، فلا يقول المنشئ للسان الحال: إنّ هذا نص وحقيقة ما أراد قوله الآخر، وإنّما يقول: إنّني من خلال قرائن حالّية ومقالية، أدّعي أنّه لو تكلم لقال ما عبّرت به عن كلامه.

٣- إنّ الشعر الذي صوّر فيه دعبل حال السيّد الزهراء عليه السلام، فيما لو كانت حاضرة في واقعة الطفّ، كان فيه لسان الحال واضحاً، وكان هذا التصوير بمرأى ومسمع من الإمام الرضا عليه السلام، فلو كان فيه كذب على الزهراء لما سكّته عنه الإمام المعصوم عليه السلام.

الدليل الثاني: وهو ما يظهر من كلام أحد الفقهاء المعاصرين رحمته الله، وهو أنّنا لا

يمكن أن نعلم حال المعصومين، ولا أصحابهم، ولا نسائهم؛ لكي نصوّر لسان حالهم للآخرين؛ وذلك لعلّو مكانتهم من جهة، واختلاف الزمكانية بيننا وبينهم من جهة أخرى، ولذلك نحن جاهلون بلسان حالهم، وإنّما يجوز لسان الحال مع العلم بالمطابقة لواقع ما عبر عنه بلسان الحال^(١).

ويلاحظ عليه:

١- إنّ هذا الدليل أخصّ من المدّعى؛ إذ إنّ تصوير لسان الحال قد يكون لأشخاص غير معصومين كانوا حاضرين في الطفّ، كلسان حال أصحاب الحسين عليه السلام، أو القاسم، أو رملة، أو الرباب، أو غيرهم من الأشخاص.

٢- إنّ الذوات المعصومة - كالنبيّ الأعظم، وأمير المؤمنين، والزهراء، والأئمة المعصومين - وإن كانت منازلهم عالية ومقاماتهم سامية، إلّا أنّ هذا لا يمنع من وجود معرفة بسيطة بهم؛ من خلال كلماتهم، ومواقفهم، وسيرتهم؛ تجعل الشاعر يعلم لسان حالهم في الجملة.

٣- لو سلّمنا عدم العلم بحالهم بصورة دقيقة، فلا أقلّ من كفاية الاطمئنان بأنّ لسان حالهم كان كذا، من خلال مجموع القرائن، ولا شكّ في أنّ الاطمئنان حجة عقلائية معتمدة، فهو كافٍ في جواز تصوير حال المعصومين.

فالشاعر أو الناثر يكفيه الوثوق والاطمئنان في تصوير لسان حال المعصومين، مع كون الاطمئنان ناشئاً من قرائن، وشواهد قولية وفعلية وسلوكية، قد قاموا بها في مواطن أخرى.

٤- إنّ دعبل الخزاعيّ قد صوّر حال الزهراء عليها السلام، ولم يعترض عليه الإمام الرضا عليه السلام، بأنّك لا تستطيع معرفة حالها عليها السلام.

٥- إنَّ طبيعة الأسلوب البلاغيّ في لسان الحال تقتضي البيان بصورة تتضمّن نحواً من أنحاء التصوير المجازي، ولا يصحّ مقايسته بالأساليب الحقيقيّة للبيان، فقرينة كونه مجازاً يفهم منها المتلقي كون الشاعر في مقام نقل تصوراته عن الحادثة، لا نقل واقع الحادثة حرفياً.

الدليل الثالث: ما ذكره بعض الأعلام المعاصرين، وهو أنّ لسان الحال إنّما يُعبّر به عن الأقوال، لا عن الأفعال، والحال أننا نرى أنّ الشعراء ينقلون الأعمّ من الأقوال والأفعال، ويصورونها بلسان الحال^(١).

وثلاً حظ عليه:

١- إنّ المتتبع لهذا الأسلوب - خصوصاً بما قدّمناه من تعريف - يرى أنّ لسان الحال يُعبّر فيه عن كلّ ما ليس هو بلسان مقال، سواء كان فعلاً، أو حركةً، أو إشارةً، أو كلاماً، في غير موطن الواقعة.

٢- إنّ الرواية الشريفة التي تفيد: «ما أضمر أحد شيئاً إلّا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه»؛ تُبيّن أنّ إحدى طرق معرفة ما أضمر الإنسان - من كلام ومواقف - يُقرأ ويُعرف من خلال صفحات الوجه، وما يكون في صفحات الوجه من تغيّر اللون أو الهيئة، إنّما هو من سنخ الأفعال لا الأقوال.

٣- لو لم تقبل الأمرين، فلا أقلّ من وجوب إبراز ما يدل على لا بدية كون لسان الحال للأقوال، لا للأفعال، وليس هنا ما يحصر هذا الأسلوب بذلك.

وبدفع هذه الإشكالات نبقي على أصل مشروعيّة أسلوب لسان الحال.

القول الثاني: الجواز

ذهب إلى الجواز أكثر المعاصرين من علمائنا الأعلام، كالسيد الخوئي وأكثر تلامذته، منهم: السيد السيستاني، وأستاذنا الشيخ الفياض، والشيخ جواد التبريزي، والشيخ الوحيد. كما ذهب إلى ذلك أيضاً أستاذنا الشيخ محمد السند.

والذاهبون إلى الجواز وإن اتحدوا في النتيجة، لكنهم اختلفوا في الشروط التي إذا ما اجتمعت جاز هذا الأسلوب، كما سيتضح.

فتوى السيد الخوئي

لعل أقدم فتوى - حسب تتبعي - في هذه المسألة، هو ما صدر عن السيد أبي القاسم الخوئي رحمته الله جواباً عن استفتاء رُفِعَ إليه، ونصّه: «بعض القصائد التي تُذكر في مصيبة سيد الشهداء عليه السلام تُنسب للإمام الحسين عليه السلام، أو لزَيْنَب عليها السلام، أو للإمام السجاد عليه السلام، دون الإشارة إلى أن هذه الأبيات عن لسان حالهم، نعم، بعض الناس يعرف كون ذلك عن لسان الحال، وبعضهم الآخر لا يعرف ذلك، فما هو الحكم؟

فأجاب السيد الخوئي رحمته الله: «لا بأس، ما لم يقصد واقع النسبة إليهم»^(١).

تحليل فتوى السيد الخوئي

إن فتوى السيد الخوئي رحمته الله دالة على الجواز، بشرط عدم قصد المقرئ أو الملقى لذلك الشعر أو النثر واقع النسبة إلى من حُكي لسان حالهم كالإمام السجاد، أو السيدة زينب، أو غيرهما، أي: إنه قصد التعبير عن لسان حالهم، ولم يقصد لسان مقالهم، أو أنهم تكلموا هكذا.

هذا فيما إذا كانت القصيدة - أو المادة النثرية - لا إشارة فيها إلى لسان الحال، لا لفظاً

(١) الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج ٢، ص ٤٤٣.

ولا مقاماً.

وأما لو تَضَمَّنَت الإشارة إلى لسان الحال، من خلال إخبار السامع بأن القصيدة - مثلاً - دالة على لسان الحال، كما اعتاد الخطباء على القول: بأن لسان حال السيدة الزهراء كذا وكذا، أو لسان حال الحسين كذا وكذا، وهكذا، أو احتوت القصيدة على دلالة لفظية، أو سياقية دالة على أنها لسان حال، لا لسان مقال، كتصديرها بـ (ليتني)، أو (لولا)، أو (لو)، أو غيرها من القرائن اللفظية، أو المقامية، فلا إشكال بالجواز.

فالسيد الخوئي رحمته الله جَوَّز لسان الحال، إذا كان المقابل (المستمع) يَعْرِفُ أَنَّ هذا لسان حال، لا لسان مقال، بل جَوَّزه حتى إذا لم يعلم السامع بأن هذا لسان حال، بشرط أن لا يكون الملقى للشعر أو النثر قد قصد أن ما يليقه لسان مقال؛ لَأَنَّ قَصْدَ ذلك يُوقِعُ الملقى بالكذب؛ إذ إنهم لم يقولوا ذلك واقعاً، بل إنَّ الملقى أو الشاعر صَوَّرَ حالهم بذلك التصوير المجازي.

فتوى السيد السيستاني

توالت الأجوبة حول هذه المسألة من بعض الفقهاء الأعلام، من تلامذة السيد الخوئي رحمته الله، كالسيد السيستاني الذي سئل: أنه «هل يجوز التكلم بلسان المعصومين بالقصائد الحسينية؛ بحيث الكاتب يطلق عنان خياله في تصوير الأحداث، واختلاق الكلام والمواقف؟ وهل يجوز تداولها بين المؤمنين؟».

فأجاب سماحته قائلاً: «بسمه تعالى: إنما يجوز التكلم بلسان حال المعصومين، فيما يُعتبر تمثيلاً صادقاً لأحوالهم - وفق المعايير الأدبية المتعارفة في أمثال ذلك - من دون إساءة إلى مقامهم الشريف؛ ومن ثَمَّ يجب على المتكلم بلسان الحال من الاطلاع على الحوادث التاريخية، واستنطاق أحوالهم من خلالها؛ لتجسيدها بصورة أدبية مناسبة، بعيداً عما يُعتبر

من قَبيل المبالغة والاختلاق، والكذب بالمقياس الأولي، كما أن جواز تداولها يخضع للمقاييس التي أشرنا إليها^(١).

تحليل فتوى السيد السيستاني

ذهب السيد السيستاني إلى جواز لسان الحال، ولكن جعل شروطاً لمشروعيته، إذا لم تتوفر تلك الشروط، فلا يجوز مثل هذا الأسلوب إنشاءً وتأليفاً، ولا إلقاءً وتداولاً. وهذه الشروط يمكن تلخيصها بالنحو التالي:

الشرط الأول: أن يكون في لسان الحال تصوير صادق وحقيقي لأحوال المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بعيداً عن الخيال والمبالغة والكذب، وإلا كان ممنوعاً.

الشرط الثاني: أن يراعي الشاعر - أو الناثر - المعايير الأدبية المتعارفة عند الأدباء في كتابة لسان الحال.

الشرط الثالث: أن يكون القائل بلسان الحال مطلعاً على الحوادث التاريخية والشخصية للواقعة، أو الشخص الذي ينطق بلسان حاله.

وعليه؛ فالسيد السيستاني جعل معايير ثلاثة لمشروعية هذا الأسلوب الأدبي، فيما إذا كتب بلسان حال المعصومين.

أدلة المجوزين

تبيّن ممّا مرّ أنّ أسلوب لسان الحال أسلوب بلاغي، استخدمه القرآن الكريم في بعض آياته الكريمة، كما نصّ على ذلك كثير من المفسرين، كما أنّ الروايات جاءت بهذا الأسلوب في كثير من مضامينها؛ ومن هذين المصدرين يتبيّن أصل مشروعية لسان الحال،

(١) موقع السيد السيستاني الرسمي، أسئلة حول الشعائر.

وصحة استعماله شرعاً.

وهذه الصحة في الاستعمال اعتضدت بورود أشعار مشهورة النسبة لآل البيت، أو قيلت بحضرتهم، وكان لسان الحال واضحاً فيها.

وبعضد الجواز أيضاً أنّ الأشعار التي كانت متداولة في زمانهم، والتي حوت لسان الحال، لم يصدر ردع من قبلهم عنها؛ وهذا يكشف عن وجود سيرة قائمة وممضاة على مشروعية استخدام لسان الحال.

بل يمكن القول: إنّ الارتكاز في الجواز بمكان من الإمكان؛ بحيث لم تُثَرَّ مسألة المنع عن مثل هذا الأسلوب البياني.

نعم، يمكن أن يقال بوجود بعض المحاذير التي قد تجعل ممنوعة لسان الحال واضحة، أو تجعل قيوداً عديدة للحاكمين بالجواز.

الرأي المختار في المسألة

نقلنا فيما سبق فتاوى بعض الأعلام المجوّزين للسان الحال، وهم وإن اتفقوا على الجواز، إلّا أنّهم اختلفوا في عدد الشروط المجيزة للسان الحال، فذهب السيّد الخوئي إلى الجواز بشرط واحد، وذهب السيّد السيستاني إلى الجواز بثلاثة شروط كما ذكرنا آنفاً، فما هو الصحيح في المقام ؟

إنّ الذي نراه صحيحاً في المقام هو مشروعية لسان الحال بشروط أربعة، وهي كالآتي:

الشرط الأول: أن يأتي الشاعر أو الكاتب بدوالٍ لفظية أو مقامية، تجعل المستمع يعلم أو يطمئن أنّ هذا القول بلسان الحال، لا بلسان المقال، وهذا الشرط نابع من لزوم دفع

الإيهام عن المستمع بأن ما يقال ليس لسان مقال؛ حتى لا يدخل في إطار الكذب.

ومن هذه الدلائل اللفظية تضمين الكلام لفظة (لو)، أو (لولا)، أو غيرها من الدوال اللفظية أو المقامية، أو قول الشاعر قبل القصيدة بأن لسان حال فلان كذا وكذا.

وهذا التعبير واضح في قصيدة دعبل الخزاعي حيث قال: «أ فاطم لو خلتي الحسين...»، فقد أورد كلمة (لو) كدال لفظي على كون التصوير افتراضياً - لسان حال - وليس حضوراً فعلياً، وكلاماً مقالياً من قبل الزهراء عليها السلام.

الشرط الثاني: أن تكون المضامين النثرية أو الشعرية مناسبة لحال أو شأن أو مقام المقول عن لسانه، فلو نقل المتكلم لسان حال المعصوم - مثلاً - فإنه يجب عليه أن يتعد عن كل ما يمس المعصوم، من جهة عقديّة أو فقهية أو أخلاقيّة؛ وذلك لحرمة إسناد ما ينافي هذه الأمور للإمام المعصوم، بل حتى لغير المعصوم من الأشخاص الذين لهم منزلة دينية، أو قداسة.

الشرط الثالث: أن يكون الأديب مطلعاً على تأريخ الحوادث والشخصيات، وكذا على أقوالهم؛ بحيث يحصل له وثوق أو اطمئنان بأن لسان حالهم هكذا، أمّا لو كان لا علم له بالأحداث أو الشخصيات التي يريد تصويرها، فكيف يصوّر لسان حالها وهي مجهولة الحال والمقال بالنسبة إليه ؟ !

الشرط الرابع: أن يكون هناك أصل تاريخي، أو فقهّي، أو غير ذلك يجعله الشاعر مادّة أوليّة ويبنى عليها لسان الحال، لا أن يكون لسان حاله مبنياً على شيء لا واقع له، فمثلاً: واقعة الطف ومقتل الحسين أمر واقع، فعندما صوّره دعبل الخزاعي بلسان الحال، كان تصويراً لأمر حاصل بصورة فنيّة.

فإذا توفرت هذه الشروط؛ قلنا بمشروعية لسان الحال في الأشعار التي تصوّر لنا لسان

حال أصحابها، الذين تكلم الشعراء عن لسانهم في واقعة الطفّ وأشخاصها.

بل قد يُقال باستحباب هكذا إنشاء للشعر؛ لكونه مشمولاً لأدلة استحباب إنشاء الشعر رثاءً ومدحاً في آل البيت ونصرتهم؛ أو لأنّه مادّة إلقيّة لكثير من الشعائر، كالخطابة الحسينيّة ومجالس الرثاء والعزاء، فيدخل بعنوان قاعدة الشعائر الحسينيّة التي بُحثت في محلها.

مثالان تطبيقيان

سننقل فيما يلي مقطعين شعريين، بوصفهما مثالين لما تداوله الشعراء من الكلام بلسان الحال، وهما يحتويان على شروط الجواز - لهذا الأسلوب البلاغيّ التصويريّ - التي ذكرناها.

المثال الأول

قول الشاعر مصوراً لسان حال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً أبا الفضل العباس:

عباسُ كَبَشٌ كَتَيْتِي وَكَنَاتِي	وَسَرِيَّ قَوْمِي بَلْ أَعَزَّ حُصُونِي
يَا سَاعِدِي فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ بِهِ	أَسْطُو وَسَيْفُ حِمَايَتِي يَمِينِي
لِمَنْ أَلَلُوا أَعْطِي وَمَنْ هُوَ جَامِعُ	شَمْلِي وَفِي ضَنْكَ الزَّحَامِ يَقِينِي
أُمْنَازِلَ الْأَقْرَانِ حَامِلَ رَايَتِي	وَرُواقَ أَخِيَّتِي وَبَابَ شُؤُونِي
عباسُ تَسْمَعُ زَيْنَباً تَدْعُوكَ مَنْ	لِي يَا حِمَايَ إِذَا الْعِدَى نَهْرُونِي
أَوْ كَسْتَ تَسْمَعُ مَا تَقُولُ سَكِينَةً	عَمَّاهُ يَوْمَ الْأَسْرِ مَنْ يَحْمِينِي ^(١)

المثال الثاني

قول الشاعر مصوراً لسان حال السيدة زينب عليها السلام مخاطبة الإمام الحسين عليه السلام:

فأنته زينب بالجواد تقوده وتقول قد قطعت قلبي يا أخي فلمن تنادي والحماة على الثرى ما في الخيام وقد تفانا أهلها عباسُ تسمعُ زينباً تدعوكَ من أولستَ تسمعُ ما تقولُ سَكِينَةُ أرأيتَ أختاً قدمت لشقيقها فتبادرت منه الدموع وقال يا فبكت وقالت يا بن أُمي ليس لي يا نور عيني يا حشاشة مُهجتي ورنت إلى نحو الخيام بعولة قوموا إلى التوديع إن أخي دعا الله ما حال العليل وقد رأى فيقوم طوراً ثم يكبو تارةً فغدا ينادي والدموع بواذر	والدمع من ذكر الفراق يسيلُ حزناً فيا ليت الجبال تزولُ صرعى ومنهم لا يُيلُ غليلُ إلا نساءً وللهُ وعليلُ لي يا حِمايَ إذا العِدَى نَهروني عمَّاهُ يومَ الأسرِ مَنْ يَحْمِني فرس المنون ولا حمى وكفيلُ أختاه صبراً فالمصاب جليلُ وعليك ما الصبر الجميل جميلُ مَنْ للنساء الضائعات دليلُ عظمى تصب الدمع وهي تقولُ بجواده إن الفراق طويلُ تلك المدامع للوداع تسيلُ وعراه من ذكر الوداع نحولُ هل للوصول إلى الحسين سبيلُ^(١)
---	---

البحث الثالث :

مشروعية توسعة الحرم الحسيني
بهدم الأملاك الخاصة

مدخل :

من الموضوعات التي تصب في فقه الشعائر المعاصرة والتي أصبحت مثاراً للاختلاف على المستوى التنظيري والعملي، مسألة توسعة مرقد أئمة أهل البيت من الجهة الجغرافية، كما حصل من توسعة كبيرة في مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المشرفة، وكما حصل من توسعة في مكة المكرمة والمسجد النبوي المعظم لمرات عديدة، وبما أن هذا التوسيع المكاني قد يتصادم مع الملكيات الخاصة المحيطة بالأضرحة المقدسة، إذ إن الأضرحة المطهرة - عادة ما تكون - محاطة بأسواق وفنادق وبيوت من كل جوانبه وجهاته، بل لعل بعض البنايات المحيطة بها يعلو بناؤها على بناء الأضرحة ويحجب عن النظر إلى قبة المرقد الشريف في بعض الأماكن المقدسة كما هو مشاهد لعموم المسلمين.

مبررات توسعة الحرم الحسيني

بعد التوسع العمراني والانفتاح الاقتصادي والشعبي من جهة وانفتاح العراق على العالم الشيعي والإسلامي من جهة أخرى وتزايد أعداد الموالين لأهل البيت في بقاع المعمورة أصبح التوسيع المكاني لأضرحة المعصومين وخصوصاً مرقد الإمام الحسين عليه السلام ضرورة يفرضها الواقع ومطلباً إيمانياً ينادي به كل العقلاء من الموالين.

مبررات الخوض في بحث التوسعة:

والذي اضطرنا إلى الكتابة في هذا الموضوع هو اننا لم نر بحثاً مستقلاً في ذلك بل ولا تنظيراً فتوائياً فضلاً عن البحوث الاستدلالية بالرغم من ابتلائية المسألة وجدليتها ومعاصرتها، مما استدعى ان نكتب في هذا الموضوع ما تيسر منه؛ عسى أن يكون باكورة تولد بحوثاً أخرى في هذا المجال من الاخوة المتخصصين بالتنظير الفقهي، دفعا لما قد يثار من اشكالات حول التوسيع ويزداد الذين امنوا ايماناً في التوسعة وليشحنوا الهمم في ذلك بعد أن استوسقت الامور واصبحت العتبات بيد يؤمل منهم رفع البيوت التي أذن الله أن ترفع ويعظم شأنها مادياً ومعنوياً.

ضرورة إبراز دليلية التوسعة:

بما أن التوسعة التي نتحدث عنها إنما تكون على حساب الأملاك المجاورة للأضرحة المطهرة فيستدعي منا إبراز الأدلة والوجوه الفنية وبيان التكييف الفقهي لهذه المسألة؛ حلاً لإشكالية التصرف بالأملاك الشخصية المحيطة بالمراقد على حساب التوسع في العمران والخدمات العامة للمراقد المقدسة.

استعراض الأدلة والمؤيدات لجواز التوسعة

هناك مجموعة من الأدلة يمكن الاستعانة بها على إثبات ما نروم تحقيقه في هذا البحث، وسوف نفهرسها على نحو التتابع ثم نفصل الكلام في ذلك، ومجمل الأدلة في المقام هي:

- ١- الروايات الدالة على: أن الأرض ملك للإمام (عليه السلام).
- ٢- الروايات القائلة: إن الإمام (عليه السلام) اشترى مساحة من أرض كربلاء.

٣- ما دل على أن أرض كربلاء مفتوحة عنوة فلا تملك بالملكية الخاصة.

٤- تعميم علة توسعة مكة المعظمة إلى توسعة حرم الإمام الحسين عليه السلام.

٥- الروايات المحددة لحرم الإمام الحسين عليه السلام.

٦- قاعدة تقديم المصالح العامة على الخاصة.

٧- ما يستفاد من قاعدة أداء حقوق أهل البيت عليه السلام.

٨- حاكمية العناوين الثانوية على الأولية

٩- الاستفادة من أدلة ولاية الفقيه وصلاحياته

هذه تسعة أدلة ومؤيدات دالة على جواز توسعة الحرم المقدس للإمام الحسين عليه السلام على حساب الأملاك الخاصة المجاورة، ولا يخفى أن بعضها لا يصل إلى مرحلة الدليلية بمعناها الفني والدقي، وانما هي بمثابة المؤيدات أو أنها تصلح كحجج وقرائن انضمامية تجعل من الفقيه يطمأن إلى الحكم بجواز التوسعة، إلا أن بعضها صالح للاستدلال مستقلاً، ومن دون الحاجة إلى أي شيء آخر، خصوصاً الأدلة الثلاثة الأولى.

والغرض من ذكرها جميعاً - مع تأملنا في بعضها من حيث صلاحية الاستدلال - إنما هو من باب ذكر كل ما يصلح أن يكون دليلاً أو مؤيداً لهذا الحكم؛ كون المسألة مستحدثة، وإلا فإن في ذكر بعضها كفاية في إثبات الحكم كما سيتضح.

الدليل الأول: أن الأرض ملك للإمام عليه السلام

ورد في جملة من الروايات الكثيرة التي تفوق حد الاستفاضة والتامة دلالة أن الأرض ملك للإمام عليه السلام، وقد أفتى بذلك جملة من الأعلام المعاصرين^(١)، فضلاً عن المتقدمين، وهذا ما يستدعي أن تكون أرض كربلاء من جملة مملوكاتهم صلوات الله وسلامه عليهم،

فلو تعارضت مصلحة التوسعة للمرقد الشريف مع مصلحة مَنْ تصرف بالأرض بإذن الإمام أو نائبه فتُقدم مصلحة المالك الأصلي وهو الإمام عليه السلام، إذ إن ملك المجاورين أو جواز تصرفهم في ظل ملك الإمام عليه السلام، لا أنه مالك لها على نحو الاستقلال.

فقد ورد عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَائِلِيِّ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيِّ عليه السلام: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي الَّذِينَ أَوْرَثْنَا الْأَرْضَ، وَنَحْنُ الْمُتَّقُونَ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا؛ فَمَنْ أَحْيَا أَرْضاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَعْمُرْهَا وَلْيُؤَدِّ خَرَجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا؛ فَإِنْ تَرَكَهَا أَوْ أَخْرَجَهَا، فَأَخَذَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَعَمَرَهَا وَأَحْيَاهَا، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَ الَّذِي تَرَكَهَا، فَلْيُؤَدِّ خَرَجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ حَتَّى يَظْهَرَ الْقَائِمُ عليه السلام مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِالسَّيْفِ، فَيُخَوِّبَهَا وَيَمْنَعَهَا وَيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا، كَمَا حَوَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَمَنْعَهَا، إِلَّا مَا كَانَ فِي أَيْدِي شِيعَتِنَا، فَإِنَّهُ يُقَاطِعُهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيَتْرُكُ الْأَرْضَ فِي أَيْدِيهِمْ»^(١).

فالواضح من الرواية ان المالك الحقيقي هو الامام عليه السلام والتصرف فيها من الآخرين مرهون برضاه حتى لو كان التصرف من مواليه وشيعته، فيكون ملك الآخرين مترتباً على اذن الامام في ذلك، فاذا وجدت مصلحة عامة - كمصلحة تعظيم مواطن الطاعة أو توفير أجواء أرحب للمؤمنين لممارسة الطاعات - في ازالة هذا الملك المتزلزل والمعلق فيجوز الازالة غاية الامر ان يحرز رضا الامام او يراجع فيه لولي امر المسلمين ليحكم بذلك^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٠٧ باب ان الارض كلها للامام ح (١)

(٢) ونقرب الاستدلال أيضاً من خلال ما ذكره المحقق الشيرازي في هامش الوافي؛ حيث قال: «... وإنا نعتبر عن كون الأراضي ملكاً للإمام أو للمسلمين؛ لأن للإمام أن يأخذ منهم الخراج، فلهم ملك في طول ملك الإمام، لا في عرضه، كما سبق في المفتوحة عنوة، فللأراضي مالكان مترتبان: أحدهما الإمام، وهو المالك الأول يأخذ الخراج ويقسم الباقي بين من أراد ويحدد الحدود، والمالك الثاني هو المتصرف بإذن الإمام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أحيا مواتاً فهو له. وملكه مترتب على ملك الإمام، ونظير ذلك في متعارف الناس

وبعضد هذه الرواية جملة من الأخبار الدالة أيضاً على ملكية الأرض لهم، وسوف نذكر بعضاً من ذلك وبدون تعليق عليها مراعاة للاختصار:

منها: ما رواه الحسين بن محمد عن محمد بن مَعْلَى بن محمد قال أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَوَاهُ قَالَ: «الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَلَنَا فَمَنْ غَلَبَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلْيَبْرِ إِخْوَانَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَنَحْنُ بِرَأْءِ مِنْهُ»^(١).

ومنها: ما عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرِّازِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمَزَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قُلْتُ لَهُ أَمَّا عَلَى الْإِمَامِ زَكَاةٌ فَقَالَ أَحَلَّتْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِلْإِمَامِ يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ وَيَدْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَشَاءُ جَائِزٌ لَهُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِنَّ الْإِمَامَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَا يَبِيتُ لَيْلَةً أَبَدًا وَلِلَّهِ فِي عُنُقِهِ حَقٌّ يَسْأَلُهُ عَنْهُ»^(٢).

ومنها: ما عن عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلٍ بْنِ زَبَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرِّبَّانِ قَالَ: «كُتِبَتْ إِلَى الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُعِلَتْ فِدَاكَ رُوِيَ لَنَا أَنَّ لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ

أن يقال: البصرة مِلْكُ الْمَلِكِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ كُلُّ دَارٍ وَكُلُّ قِطْعَةٍ أَرْضٍ فِي الْبِلَدِ مِلْكٌ لِأَحَدٍ مِنَ أَفْرَادِ الرِّعَايَا، وَهَكَذَا يَكُونُ مِلْكُ الْإِمَامِ عَلَى الْأَنْفَالِ، وَمِلْكُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَفْتُوحَةِ عِنْدَ مَلِكٍ لَا يَنْفِي الْأَوَّلِيَّةَ الْخَاصَّةَ لِلنَّاسِ، وَلِذَلِكَ عَبَّرَ الْفُقَهَاءُ عَنْهُمْ بِالْمَالِكِينَ، مَثَلًا قَالُوا فِي أَحْكَامِ الْمَزَارِعَةِ: إِنَّ الْخَرَاجَ عَلَى الْمَالِكِ لَا عَلَى الزَّارِعِ، فَعَبَّرُوا عَنِ النَّاسِ بِالْمَالِكِ مَعَ كَوْنِ الْأَرْضِ خَرَاجِيَّةً، وَكَذَلِكَ لَا يَخْتَلِفُ الْفُقَهَاءُ فِي أَنَّ مَنْ أَحْبَبَ أَرْضًا مَبْتِئَةً فِيهِ لَهَا، وَهُوَ مَالِكٌ لَهَا، مَعَ أَنَّ الْأَرْضَ لِلْإِمَامِ؛ لَكُونِهَا مِنَ الْأَنْفَالِ؛ إِذْ يَجُوزُ لَهُ اخْتِذَ الْخَرَاجِ، وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ جَمْعُ الْمَالِكِينَ عَلَى مِلْكٍ وَاحِدٍ إِذَا كَانَ فِي عَرْضٍ وَاحِدٍ، لَا مِثْلَ مَالِكِيَّةِ السُّلْطَانِ لِجَمِيعِ الْبِلَادِ وَمَالِكِيَّةِ الْأَفْرَادِ لِكُلِّ قِطْعَةٍ. وَيَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا أَيْضاً حُكْمُهُمْ أَنَّ الْمَعْدِنَ مِنَ الْأَنْفَالِ، ثُمَّ قَالُوا: تَمَلَّكَ بِالْأَحْيَاءِ، وَعَلَيْهِ الْخُمْسُ لِلْإِمَامِ»^(٣).

(١) الكافي ج ١ باب ان الارض كلها للامام ح ٢

(٢) المصدر ح ٤

الدُّنْيَا إِلَّا الْخُمْسُ فَجَاءَ الْجَوَابُ إِنَّ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

ومنها: عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَأَقْطَعَهُ الدُّنْيَا قُطِيعَةً فَمَا كَانَ لِآدَمَ ﷺ فَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ لِلْإِمَامَةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٢).

ومنها: عن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شاذَانَ وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ جَبْرِئِيلَ ﷺ كَرَى بِرِجْلِهِ خَمْسَةَ أَهْنَارٍ وَلِسَانُ الْمَاءِ يَتَّبِعُهُ - الْفُرَاتُ وَدَجَلَةٌ وَنَيْلٌ مُضَرٌّ وَمُهْرَانٌ وَنَهْرٌ بَلَخَ فَمَا سَقَتْ أَوْ سَقِيَ مِنْهَا فَلِلْإِمَامِ وَالْبَحْرِ الْمُطِيفُ بِالدُّنْيَا لِلْإِمَامِ»^(٣).

وغيرها من الروايات التي عقد لها أرباب الحديث أبواباً منفردة^(٤).

فيستفاد من خلال هذه الروايات أن الأرض ملك للإمام ﷺ وأن التصرف المتداول بين الناس إنما يكون على نحو الترخيص من قبله ﷺ، فإذا كانت هناك مصلحة في إعادة الملك ورفع التسلط والاباحة التي اعطوها لشييعتهم، وجب إرجاعها ورفع اليد عنها؛ لأن سلطنة الملك أقوى من سلطنة الاباحة ومتى ما تعارضت قُدمت^(٥)؛ فينتج لنا جواز التوسعة على حساب المجاورين مطلقاً ما دامت المصلحة قائمة في ذلك، كما أشرنا.

الدليل الثاني: ان الإمام الحسين اشترى أرض كربلاء

من الأمور التي يمكن ان يستدل بها على جواز توسعة مرقد الامام الحسين ﷺ على

(١) المصدر ح ٦

(٢) المصدر ح ٧

(٣) المصدر ح ٨

(٤) الكافي ج ١ ص ٤٠٨ باب ان الارض كلها للإمام

(٥) ارشاد الطالب للميرزا التبريزي ج ٢ ص ٨٨

حساب الاملاك الشخصية المحيطة بالمرقد المقدس هو ما دل على أن حريم الامام الحسين يمتد بمساحة أوسع من مساحته الحالية، وأن هذا الحريم هو من أملاك الإمام الحسين عليه السلام التي اشتراها قبل شهادته والتي جعل بعض الساكنين في كربلاء آنذاك قيمين عليها، بل ملكهم اياها بشروط معينة كما سيتضح ذلك فيما يأتي إن شاء الله.

وسوف نسلط الأضواء على رواية شراء الإمام الحسين عليه السلام لأرض كربلاء من حيث الدلالة والسند.

فالكلام في محورين:

المحور الأول: متن الرواية

فقد روى الشيخ البهائي في الكشكول، عن خط جده محمد بن علي الجباعي، نقلا من خط ابن طاووس، نقلا من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمد بن داود القمي، عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه، أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه، حرام على غيرهم ممن خالفهم، وفيه البركة»^(١).

وفي الكتاب نفسه قال: «روي أن الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدق بها عليهم، وشرط أن يُرشدوا إلى قبره، ويُضيفوا من زاره ثلاثة أيام»^(٢).

وذكر السيد رضي الدين بن طاووس: أن هذه الأرض إنما صارت حلالاً بعد تصدق بها عليهم، لتخلف الشرط الذي ذكره عليه السلام، لأنهم لم يفوا بذلك، حيث قال: «وقد روى محمد بن داود عدم وفائهم بالشرط في باب نوادر الزيارات»^(٣).

(١) مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٣٢١ باب حد حرم الحسين ح ٦

(٢) المصدر ح ٧

(٣) المصدر ج ١٠ ص ٣٢١

كما أن الشيخ الطريحي روى الخبر الأول في كتابه مجمع البحرين أيضاً^(١).

تقريب الاستدلال:

بما أن الرواية المتقدمة دلت على أن الإمام الحسين عليه السلام اشترى مساحة من أرض كربلاء بمقدار أربعة أميال في أربعة؛ فتكون المساحة ستة عشر ميلاً مربعاً، أي: ما يساوي فرسخاً وثلاثاً؛ لأن كل ثلاثة أميال تُعادل فرسخاً، فيكون مقدار الأربعة أميال سبعة كيلوات متر ورابع الكيلو متر.

والنتيجة المتحصلة من هذا الكلام هو: أن حاصل ضرب الأربعة أميال في أربعة تساوي ٥٢ كيلو متراً مربعاً ونصف كيلو تقريباً.

وصريح الرواية تقول: قد أعطاهم لهم بنحو المشاركة، وبما أنهم لم يفوا بالشرط كما صرح السيد ابن طاووس؛ فيكون الملك باقياً للإمام عليه السلام ولا يصح تملكها إلا بإذن منه أو إذن نائبه في عصر الغيبة مع مراعاة الشروط.

وفي جميع الأحوال، إذا تعارض ملك الناس مع مصلحة توسعة الحرم المقدس فلا ثبات لملك الآخرين إزاء ملك الإمام عليه السلام.

فالرواية تامة الدلالة على أن مساحة ملك الإمام أوسع من المرقد المقدس القائم حالياً، ولا مجال للتمسك بدعوى ملكية الغير إذا عارضت الملكية الأصلية للإمام عليه السلام.

وبذلك يكون جواز التوسعة أمراً طبيعياً؛ لأنه توسيع في دائرة ملك الإمام عليه السلام؛ فلا يحتاج إلى إذن من المجاورين.

دفع إشكال:

قد يجول في ذهن القارئ تساؤل يرتقي إلى مستوى الإشكال، وحاصله: أن هذه الرواية تنافي الدليل الأول القائل: إن الأرض ملك للإمام عليه السلام؛ لأنها لو كانت ملكاً له فما هو السبب الذي دفع الإمام إلى شرائها من الساكنين في ذلك الوقت ؟ !

إلا أن الإجابة عن ذلك تكون كالتالي: إن شرائها كان شراءً ظاهرياً؛ لأن الحاكم -أو المجتمع- في زمانه يمنع من تصرف الإمام بها؛ إذ إنهم لا يعون معنى لكون الأرض ملكاً له؛ لعدم اعتقادهم بأنه الإمام الشرعي، أو لعدم إيمانهم بأن الأرض ملك له، فيرون أن وجود من تملكها يمنعه من التصرف بها؛ ولذا بادر الإمام إلى شرائها ليثبت ملكه ظاهراً فضلاً عن الثبوت الواقعي؛ لكي لا يحتج عليه أحد بأنه استحوذ على أرض الآخرين وأنه تصرف في حق وملك غيره.

وعليه؛ فدلالة الرواية واضحة في إثبات ملك الأرض له عليه السلام واقعاً وظاهراً؛ فلا يصح تملكها إلا بإذنه أو إذن نائبه، فإذا رأى الإمام -أو نائبه في زمن الغيبة- مصلحة في عود الملك ورفع يد من استخدم الأرض فلا إشكال في جواز التصرف لأجل مصلحة عامة تعود للدين أو المسلمين.

ومع ذلك كله، فإن للولي الشرعي أن يعوض الناس بسبب الضرر من رفع مبانئهم وهذا موكول إلى قوله وحكمه.

المحور الثاني: سند الرواية

بعد تمامية الرواية دلالة يقع الكلام في سندها، وهل هي معتبرة السند بحيث يمكن التمسك بها والاعتماد عليها في الاستدلال على هذه المسألة.

واضح مما ذكر أن الرواية يرويه الشيخ البهائي عن جده عن ابن طاووس، وابن

طاووس ينقله من كتاب الزيارات، وهذا الكتاب مشهور في زمان ابن طاووس، فهو من مؤلفات محمد بن أحمد بن داوود القمي، عالم المذهب وشيخ القميين في زمانه.

ولا إشكال في وثاقة كل هؤلاء وجلالتهم، وإنما الكلام في أن الرواية فيها إرسال بين محمد بن أحمد بن داوود وبين الإمام عليه السلام؛ لأن ابن داوود يرويها مباشرة من دون ذكر الوسائط، ولا ندري هل أنه ذكر الوسائط في كتابه أم أنه أرسل الرواية.

ولكن يمكن القول: إن هذا الإرسال لا يضر في اعتبار الرواية؛ لأن المرسل من علماء المذهب الكبار الذين لهم مصنفات في الجرح والتعديل، بل إنه من المتحرجين من النقل عن الموثوقين كما هو ديدن القميين^(١)، ولا أقل من اعتقاده بصدر الرواية عنهم.

فإذا حصل اطمئنان بالصدر لهذه القرينة؛ فتكون النتيجة هي إمكان الاستدلال بهذه الرواية.

وبذلك يكون ملك الإمام مقدماً على سائر الملكيات الأخرى، وذلك فيما لو كانت هناك مصلحة تعود إلى ضريحه المقدس وعموم شيعته ومواليه، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الانتقال بالتصرف لمن اشترى منهم لم يحصل؛ لأنهم لم يوفوا بالشروط.

الدليل الثالث: أن أرض كربلاء ملك لعامة المسلمين

لقد ثبت في الكتب الفقهية - الاستدلالية منها والفتوائية - وكذا في الموسوعات الروائية أن الأرض المفتوحة عنوة لها أحكام خاصة تميزها عن بقية الأراضي، ومن بين ذلك أنها لا تملك ملكاً خاصاً، بل هي عامة لعموم المسلمين، وقد ثبت أيضاً أن أرض العراق أرض مفتوحة عنوة فهي لا تملك ملكاً شخصياً...

(١) حيث عرفت مدرسة قم الحديثة بالتشدد بالنقل والتوثيق وكان زعمائها يقدمون على اخراج المحدثين والرواة الذين ينقلون عن الضعاف كما في قصة اخراج البرقي وغيره.

وكما هو واضح، فإن هذا الدليل يحتوي على مقدمة صغرى وكبرى:

والكلام تارةً في الكبرى، وهي: أن الأرض المفتوحة عنوة لا تملك على نحو الملكية الشخصية.

وأخرى في الصغرى، أي: أن أرض العراق مفتوحة عنوة، ومنها أرض كربلاء.

أما الكبرى: فقد ذهب الأعلام إلى أن الأرض المفتوحة عنوة لا تملك ملكاً خاصاً؛ ففي ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار - بعد نقل مسائل في الكلام عن أرض العراق وبيان كونها مفتوحة عنوة - قال الشيخ رحمته الله: «والذي يقتضيه المذهب أن هذه الأراضي وغيرها من البلاد التي فتحت عنوة يخرج خمسها لأرباب الخمس، وأربعة الأخماس الباقية يكون للمسلمين قاطبة، الغانمين وغيرهم سواء في ذلك، ويكون للإمام النظر فيها وتقبلها وتضمينها بما شاء، ويأخذ ارتفاعها ويصرفه في مصالح المسلمين، وما ينوبهم من سد الثغور وتقوية المجاهدين وبناء القناطر وغير ذلك»^(١).

وعليه؛ فهي لا تملك ملكاً شخصياً، بل تكون على نحو الملكية العامة للمسلمين، والذي له التصرف بها الإمام عليه السلام أو من ينوب عنه، وبما أننا في زمن الغيبة؛ فتكون ولاية التصرف للفقهاء الجامع للشروط؛ إذ إنه القدر المتيقن في إدارة الأمور الحسينية؛ بناءً على القول بها، أو أنه نائب عام عن الإمام بناءً على القول بولاية الفقيه المطلقة.

فلفقيه أن يتصرف في تلك الأراضي مع موافقة ذلك للمصالح العامة للمسلمين، ولا شك في أن التوسعة فيها مصلحة عامة عائدة للمسلمين بصورة عامة، فلا تعارضها ملكية المجاورين الظاهرية لانها منافية للملك الواقعي لعامة المسلمين.

تنقيح الصغرى: أن أرض العراق مفتوحة عنوة

وردت روايات تدل على أن أرض العراق - والتي تُسمى بأرض السواد في المصطلح الراجح آنذاك - ملك للمسلمين لأنها مفتوحة عنوة ومن تلك الأرض هي أرض كربلاء المقدسة، كما جاء في صحيحة الحلبي، قال: «سئل أبو عبد الله عليه السلام عن السواد ما منزلته؟ فقال: هو لجميع المسلمين: لمن هو اليوم، ولن يدخل في الإسلام بعد اليوم، ولن لم يُخلَق بعد...»^(١).

وكذا ما جاء في رواية أبي الربيع الشامي عنه عليه السلام أيضاً قال: «لا تشتري من أرض السواد شيئاً إلا من كانت له ذمة فإنما هو فيء للمسلمين»^(٢).

وغيرهما من الروايات الأخرى التي أدرجها أئمة الحديث في موسوعاتهم الروائية^(٣).

وحيث إنّه يشترط في سيرورة الأرض ملكاً للمسلمين - بمعنى أنها ملك للأمة على امتدادها التاريخي وأمرها عائد إلى الإمام عليه السلام يقبلها ممن يشاء بما يشاء، ثم يصرف حاصلها في المصالح العامة - كونها مفتوحة عنوة أن يكون الفتح بإذن الإمام وأن تكون عامرة حين الفتح؛ فيقع الكلام في أن أرض السواد متوقّرة على هذه الشرائط أم لا؟

الظاهر أنّه لا كلام بين الإمامية في أن أرض السواد فتحت عنوة، وحكي ذلك في التواريخ المعتمدة^(٤).

ويلحق بالأرض المحيطة حال الفتح - من حيث الحكم - الأرض الموات حال الفتح،

(١) الوسائل ١٧: ٣٦٩، ب ٢١ من عقد البيع، ح ٤

(٢) الوسائل ١٧: ٣٦٩، ب ٢١ من عقد البيع، ح ٥

(٣) الوسائل ٢٥: ٤١٧، ب ٤ من إحياء الموات، ح ٣

(٤) نقل ذلك المحقق السبزواري في كفاية الاحكام ج ١ ص ٣٨٨

فإنها ملك الإمام ﷺ فيملكها من أحيائها^(١).

وبما أن المشاهد المشرفة وجملة من بلاد العراق الجديدة كذلك، فتكون ملكاً لعامة المسلمين والذي يديرها وليهم الشرعي.

ومنها: الأرض التي باعها الإمام ﷺ ومن ينفذ منه البيع؛ لمصلحة راجعة إلى نوع المسلمين.

وهذه أيضاً مصداقها أرض كربلاء؛ فإن الإمام قد وهبها لساكنيها بعد أن اشتراها منهم بشرط أن يقوموا بمصالح لعامة المومنين، كتعهد الزوار ورعايتهم وتوفير المأوى المجاني لهم، إلا أن ذلك لم يف به سكان كربلاء آنذاك كما عبر ابن طاووس، فتكون الأرض باقية على ملك الإمام ولا عوض لهم؛ لأنه وهبها هبة مشروطة لم يفوا بشرطها، فتستخدم الأرض بما يعود على مصلحة الزائرين، وهل هناك مصلحة أكبر من مصلحة توسعة الحرم الشريف وبناء مؤسسات خدمية وسكنية ورعاية لعموم الزائرين ؟

فitem بذلك جواز التصرف بأرض كربلاء وتوسعة الحرم مطلقاً بإذن الفقيه الجامع للشرائط؛ لكي يقوم على المصالح العامة.

الدليل الرابع: تعميم علة توسعة مكة المعظمة الى حرم الحسين ﷺ

من الأدلة التي يمكن أن يُستدل بها على جواز التوسعة للحرم الحسيني هو ما حصل من توسعة لمكة المكرمة في زمن الأنمة إذ إنهم جوزا ذلك على حساب الملكيات الخاصة للناس، فمن خلال إبراز وحدة العلة التي من أجلها أجاز الامام في التوسعة للحرم المكي، وهي اسبقية وجود مكة على مجاوريها وأسبقية وجود الحرم الحسيني على مجاوريه، وهذه التوسعة حدثت لمرات عديدة في زمن الإمام الصادق والكاظم ﷺ؛ حيث عللوا جواز التوسع

(١) موسوعة الفقه الاسلامي ج ١٠ ص ٢١١ بأشرف السيد محمود الهاشمي.

بسبق مكة على ملكهم، فيكون الكلام سارياً لتوسعة الحرم الحسيني في كربلاء؛ وذلك لسبق ملك الإمام لأرض كربلاء قبل المجاورين لها اليوم، أو لأقل لوجود المرقد الشريف قبل وجود كل المجاورين له الآن. وإليك بعض الروايات في هذه الجهة:

الرواية الأولى: عن عبد الصمد بن سعد، قال: «طَلَبَ أَبُو جَعْفَرٍ (المنصور العباسي) أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بُيُوتَهُمْ أَنْ يَزِيدَهُ فِي الْمَسْجِدِ فَأَبَوْا، فَأَرْعَبَهُمْ فَاْمَتَّعُوا، فَضَاقَ بِذَلِكَ، فَأَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ شَيْئاً مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَأَفْنَيْتُهُمْ لِتَزِيدَ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ مَنَعُونِي ذَلِكَ، فَقَدْ غَمَنِي غَمًّا شَدِيداً. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: أَيْغُمَكَ ذَلِكَ وَحُجَّتُكَ عَلَيْهِمْ فِيهِ ظَاهِرَةٌ؟ فَقَالَ: وَبِمَ أَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَ: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ؟ فَقَالَ: قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(١)، قَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ هُوَ الَّذِي بِبَكَّةَ، فَإِنْ كَانُوا هُمْ تَوَلَّوْا قَبْلَ الْبَيْتِ فَلَهُمْ أَفْنَيْتُهُمْ، وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ قَدِماً قَبْلَهُمْ فَلَهُ فَنَؤُوه. فَدَعَاهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِهَذَا، فَقَالُوا لَهُ: إصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ»^(٢).

الرواية الثانية: عن الحسن بن علي بن التعمان، قال: «لَمَّا بَنَى الْمَهْدِيّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَقِيَتْ دَارٌ فِي تَرْبِيعِ الْمَسْجِدِ، فَطَلَبَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا فَاْمَتَّعُوا، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْفُقَهَاءَ، فَكُلُّ قَالٍ لَهُ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْخَلَ شَيْئاً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ غَضَباً. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ كَتَبْتُ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ﷺ لِأَخْبَرَكَ بِوَجْهِ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ. فَكَتَبَ إِلَى الْوَالِي الْمَدِينَةِ أَنْ يَسْأَلَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَنْ دَارٍ أَرَدْنَا أَنْ نُدْخِلَهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَاْمَتَّعَ عَلَيْنَا صَاحِبُهَا، فَكَيْفَ الْمَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ ذَلِكَ لِأَبِي الْحَسَنِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ ﷺ: وَلَا بُدَّ مِنَ الْجَوَابِ فِي هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: الْأَمْرُ لَا بُدَّ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ: أَكْتُبُ: بِسْمِ

(١) ال عمران ٩٦

(٢) وسائل الشيعة ج ١٣ ص ٣١٧ ح ١٥ من باب وجوب بئلاء الكعبة

الله الرحمن الرحيم، إن كانت الكعبةُ هي النازلة بالناسِ فالتَّاسُ أولى بِفنائِها، وإن كان النَّاسُ هُمُ النَّازِلُونَ بِفناءِ الكعبةِ فَالكعبةُ أولى بِفنائِها. فَلَمَّا أَتَى الْكِتَابُ إِلَى الْمَهْدِيِّ أَخَذَ الْكِتَابَ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَدْمِ الدَّارِ، فَأَتَى أَهْلَ الدَّارِ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام فَسَأَلُوهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ إِلَى الْمَهْدِيِّ كِتَاباً فِي ثَمَنِ دَارِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَرْضَحَ لَهُمْ شَيْئاً، فَأَرْضَاهُمْ»^(١).

وواضح من الإمام أنه أبرز الوجه الشرعي للتوسيع وهو أسبقية وجود مكة المكرمة على وجودهم وبين لهم إعطاء تعويضات لإرضائهم على أن يرحلوا.

تقريب الاستدلال

بما أن العلة التي نصت عليها الروايتان المتقدمتان وفي واقعيتين مختلفتين هي كون الحرم المكي سابقاً على سكن الناس في تلك الأراضي المجاورة له، فيقع الكلام بعينه في توسعة الحرم الحسيني في كربلاء المقدسة، بعد تسليم وإقرار كل المجاورين على سبق وجود مرقد الإمام على وجودهم ووجود أملاكهم، فالعلة في حاصلة، والعلة توسع الحكم في الجواز إلى أرض كربلاء؛ إذ لا خصوصية لأرض مكة المطهرة في هذه العلة، فيصنع في كربلاء كما صنع مع أهل مكة؛ فيتم الكلام حول توسعة الحرم الحسيني، ويعوضون عن بيوتهم لدفع الضرر عنهم.

الدليل الخامس: الروايات المحددة لحرم الإمام الحسين عليه السلام

هناك مجموعة روايات بينت أن هناك حريماً لمرقد الإمام الحسين عليه السلام، وهذه الروايات وإن اختلفت في تحديد الحريم سعةً وضيقاً - ولعل الاختلاف ناشئ من تفاوت مقامات البقع قرباً وبعداً من مكان الجسد الطاهر - إلا أنها مجتمعة على وجود حريم لمرقد

الإمام عليه السلام، وكما هو متعارف بين العقلاء أن هذا الحرم تابع لصاحبه، كما في حريم الدار وحريم البستان، فلا يجوز لغيره أن يتعدى عليه أو يتصرف فيه.

فمن تلك الروايات ما حددت الحرم بفرسخ من كل جانب، ومنها بخمسة فراسخ، وغير ذلك.

ولا تنافي بين الروايات التي حددت الروضة الحسينية بمساحة أقل من الفرسخ أو الخمسة فراسخ؛ لأنها في مقام تحديد قبر الحسين وضريحه، وهذا أمر مغاير لعنوان الحرم الذي هو أوسع منه دائرة.

وعليه، فنحن نختلف مع من جعل روايات الحرم وروايات موضع القبر من موضوع واحد.

وكيف كان، فإن الروايات المحددة لعنوان الحرم تقتضي تقديم مصلحة صاحب الحرم إذا ما زاحمتها مصالح الآخرين من المجاورين للمرقد، فيثبت جواز التوسعة لصاحب الحرم على حساب الساكنين هناك.

وكما هو واضح فإن الروايات المحددة لعنوان الحرم دائرة بين السعة والضيق، إلا أن أضيقها تحدد الحرم بمساحة أكبر من الحدود الحالية بكثير، وهذا الأمر يسوغ لمن يريد توسعة المرقد الشريف وتوابعه بحد الحرم الذي ذكرته الروايات، وهو الفرسخ الواحد على أقل تقدير.

وبذلك يتم جواز التوسعة للمرقد بمساحة فرسخ أي ما يساوي خمسة كيلوات متر مربع ونصف الكيلو.

الدليل السادس: تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة

من الأمور المتسالم عليها بين العقلاء أن المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة فيما لو وقع تعارض بينهما، وكل ذلك يراعى بجبر ما أنكسر من المصلحة الخاصة.

وذلك لنكتة الحفاظ على مصلحة وملاك النوع مقابل مصلحة الفرد، وهذا نظير تعارض الحريات العامة مع الحريات الخاصة، فان حرية النوع تقدم على حرية الفرد.

ويمكن تطبيق ذلك على توسعة الحرم المطهر، في مقابل الملكيات الشخصية؛ وذلك لأن التوسعة تعود بالنفع على نوع المؤمنين الذين يفدون إلى زيارة إمامهم، وهذه المصلحة أمر مهم؛ فلا تقاومها المصلحة الفردية العائدة إلى بعض المؤمنين، خصوصاً وأن حق الفرد محفوظ لا ضياع فيه من خلال التعويض المناسب لحجم خسارته كما هو حاصل من تعويض المجاورين للإمام من خلال تقييم البيوت أو الدكاكين من قبل لجان خبيرة بالعقارات.

الدليل السابع: حقوق آل البيت

من المفاهيم التي أكدها القرآن الكريم والروايات الواردة عن النبي ﷺ هو حفظ حقوق الأئمة، وأن ذلك فرض في أعناق الأمة؛ إذ إن النبي ﷺ جعل أجر الرسالة مرتبه بالمودة لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾^(١)، وليست المودة هي الحب الذي يكون من عمل الجنان، بل إنها تفوقه وتتخطاه إلى الموقف العملي في نصرتهم ورفع مقامهم بالكلمة والسيف ورفع الشأن وغير ذلك...

ولعل من أبرز تلك الحقوق هو إعلاء مقاماتهم وجعلها منارات للهدى في كل آن ومكان؛ لأن بها تكون كلمة الله هي العليا، كونها محالاً لطاعة الله وتعظيم دينه.

وهذه الحقوق ثابتة على جميع المسلمين وبالأخص الموالين منهم، وبما أن المجاورين لمركد الإمام الحسين عليه السلام من الموالين له فالمفترض منهم ألا يمانعوا في توسعة الحرم الشريف؛ إذا ما كان توسيع المركد فيه إعلاء لمقامه ومحالاً لرضاه ورضى

الوافدين إليه ؟

إن مَنْ يتفكر في لَبَّه يرى أن من أبسط حقوق الإمام علينا أن نعظمه ونعظم بنيانه ونرفع البيوت التي أذن الله أن تُرفع؛ ففيها يذكر اسمه ويعلو دينه وترتكز عقيدته ويزداد حب أوليائه وينكسر أعداؤه الذين يحاولون إطفاء نور محمد وآل محمد بكل الأشكال.

الدليل الثامن: حاكمية العناوين الثانوية على الأولية

لا شك في أن العناوين الثانوية - والتي يجعلها الشارع المقدس في الحالات التي تحصل فيها ظروف استثنائية لبعض المواضيع - حاكمية على العناوين الأولية؛ فتكون مقيدة أو مخصصة لها، فإذا توفر عنوان ثانوي كعنوان الضرر أو الحرج أو وجوب تعظيم الشعائر وإبرازها بمظهر لائق يؤكد عزتها وعظمتها، هذه العناوين إذا توافرت فهي حاكمية على الحكم الأولي.

وفي محل بحثنا، إذا أمكن تطبيق ذلك بأن نقول: إن عنوان دفع الحرج والعسر على الزائرين بسبب ضيق محل الزيارة والعبادة من جهة، وتعظيم المراقد ورفعها من خلال التوسيع من جهة أخرى هما عنوانان ثانويان، يفوقان مصلحة إبقاء الملك الخاص المانع من التوسعة للحرم؛ فيكون عنوان التوسعة للحرم مقدماً على عنوان إبقاء الملك الخاص.

الدليل التاسع: ولاية الفقيه

هناك نظريات عديدة في حجم سلطة الفقيه وولايته على شؤون المسلمين ومقدار تصرفه بتلك الطاقات والموارد التي تواجه المجتمع الإسلامي بما يعود على قوة وهيبة الاسلام واهله وضمن ضوابط محددة لا يتعداها الفقيه نفسه.

وهذه الموضوعات تحتاج إلى بيان واسع إلا أننا نأخذها كأصل موضوعي، فلا نخوض

البحث فيها.

وبناءً على ثبوت الولاية العامة للفقهاء؛ فإذا اقتضت المصلحة أن يتصرف في بعض الأملاك الخاصة على حساب تقديم مصالح العباد ودينهم فلا ضير في ذلك، والشواهد على ذلك كثيرة منها تسعير الحاكم على التجار حال الاحتكار^(١)، وفرض الزكاة على الأعيان غير الزكوية وغير ذلك من الأحكام^(٢)، فإذا رأى الولي الفقيه مصلحة عامة في توسيع الأضرحة المقدسة على حساب الأملاك الخاصة مع عدم الإضرار بهم وتعويضهم فلا مانع من ذلك؛ إعمالاً لولايته على عموم المسلمين.

تتمة: توسيع للحكم لكل المراقد:

بعد أن اتضح لنا تمامية بعض الأدلة على جواز التوسعة لمرقد سيد الشهداء عليه السلام على حساب الأملاك المجاورة له - وفق الضوابط والمعايير الخاصة - نود أن نتطرق إلى هذا الحكم بالنسبة إلى بقية المراقد المطهرة، فهل يمكن التعميم إليها أم لا ؟
وفي صدد الإجابة عن هذا السؤال نقول: لا يخفى أن كثيراً من الأدلة المذكورة في المقام عامة وغير مختصة بموضوعة توسعة الحرم الحسيني ما عدا الدليل الثاني منها، ولا أقل من القول بتمامية الدليل الأول لكل أضرحة الأئمة في المعمورة وتمامية الدليل الثالث لكل الأضرحة في العراق وتمامية الدليل الرابع لكل الأضرحة في المعمورة بعد الغاء خصوصية مكة وأسبقيّة وجود الأضرحة قبل سكنى الناس بجوارها، كما هو واضح.
فالصحيح هو الحكم بجواز التوسعة للحرم الحسيني وللأضرحة المقدسة أدامها الله تعالى وبالكيفية المذكورة آنفاً.

(١) المبسوط للغوسي ج ٢ ص ١٩٥

(٢) ولاية الامر في عصر الغيبة للسيد كاظم الحائري ص ١٢٦

البحث الرابع:

حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء

حق الولاء في مشي النساء الى كربلاء

(دراسة في الأدلة الخاصة والقواعد العامة)

لماذا هذا البحث :

لا شبهة ان المشي الى مرقد ال البيت عليه السلام من اعظم المستحبات سواء كان من المؤمنين او المؤمنات رعاهم الله، لذا فلا يحتاج بحث ولا بيان لأنه من توضيح الواضحات ومن الاستدلال على المسلمات... كيف وقد جاءت النصوص فيه مستفيضات بل متواترات.

ولكن في الآونة الأخيرة أثرت بعض الشبهات والاشكالات حول هذه المشية المقدسة - خصوصا من أماكن بعيدة - التي هي مشية لإسعاد السيدة الزهراء عليها السلام كما جاء في الروايات منها (ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تُسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام)^(١).

وكان المثير لها من داخل الوسط الخاص معتمدا على بعض النقول غير الدقيقة او

مستشهدا ببعض الأخطاء الفردية الحاصلة من بعض الزوار والتي هي لا بد منها في كل التجمعات او مستدلا ببعض الأدلة المردودة وما هي الا استحسنات ومخصصات عملية ذوقية لا تنهض امام الدليل الصريح.

والحال ان كل اجتماع او ممارسة لطاعة قد يكتنفها بعض السلييات او المحرمات كما هو حاصل في كل العبادات والمعاملات الجماعية سواء كانت واجبة او مستحبة او مباحة كما في الحج والعمرة وصلاة الجمعة والجامعات ودخول الأسواق والبرلمان، وهذا لا يلغي هذه الممارسات ولا يقلل من أهميتها او وجوبها او استحبابها فان الحق اذا شابه شيء من الباطل لا يترك الحق لأجله ولو تركه لأجله لفاتت الحقوق ولم يبق أي حق، وهذه قاعدة عامة متصيدة من الروايات منها الصحيح عن الامام الباقر (عليه السلام) (... فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقض حق مسلم...). فكيف بحق الحسين (عليه السلام) علينا يا مانعين ؟

فكان هذا الرد والبيان العلمي بالأدلة الخاصة والقواعد العامة... لدفع شبهات المشككين... ويزداد الذين امنوا ايماناً بمسير المؤمنين الى قبر الشهيد الحسين... والله من وراء القصد.

توطئة

إحياء الذكريات - الأحزان والأفراح، وكذلك سير العظماء، وحركاتهم التحريرية والتغييرية والنهضوية - هي عادةً نابعة من اعتقادات البشر عموماً، والعقلاء خصوصاً، وربما كان ذلك من وازع فطري في نفوسهم، فيقومون بعمل مراسيم تناسب الذكرى المطلوب إحيائها؛ ولأجل ذلك تُمارس بعض الشعائر والطقوس التي تتميز بأمرين أساسيين:

الأول: إبراز حجم الولاء والحب لصاحب الذكرى، وأهمية السير على نهجه.

الثاني: الحفاظ على الجوانب الإعلامية، والحركات الفكرية، والاستفادة منها في واقعهم المعاصر وللرأي العام بجميع طبقاته وتوجهاته؛ ولكي يصدروا أفكارهم وعظمائهم إلى الطرف الآخر، اعتقاداً منهم بأنّ فكر - وشخصية وحركة صاحب الذكرى - مؤهل أن تنهل منه البشرية ذلك العطاء والتضحية، وتدين له بالتبجيل، بل وبالانتماء أيضاً.

والمراجع لتاريخ الأمم والأديان يرى ذلك واضحاً في أدبياتهم وسيرهم، وتصرفاتهم في إقامة هذه المراسيم.

كما أنّ المسلمين - كسائر الأمم والأديان - مارسوا شعائر الانتماء والولاء لعظمائهم، وخلدوا ذكراهم وتضحياتهم، ومواقفهم التي تقف الإنسانية حائرة أمام عظمتها، وكبير تأثيرها

على مسار الإنسانية.

ولعلَّ تخليد ذكرى الامام الحسين عليه السلام ونهضته كان أرحب وأوسع أنواع التخليد كمّاً وكيفاً؛ إذ كانت طقوس وشعائر الحسين عليه السلام هي الأكثر وضوحاً وتطبيقاً بين إقامة الشعائر عند المسلمين، والأكبر تأثيراً في النفوس والعقول، حتى أصبحت شعائره تُمارس في أرجاء المعمورة وفي بلدان العالم كافة تقريباً.

وموضوعنا الذي نحن بصدد بحثه يُعدُّ من أهم تلك الممارسات والطقوس، التي تجمع بين الجنبية الإعلامية والوجدانية والعقلية والارشادية، هو موضوع (المشي إلى كربلاء المقدّسة) بمظاهرة مليونية تكتنفها الكثير من الطاعات، والبركات المعنوية، والمادية.

ومن صغريات المسائل المتعلقة بفقه الشعائر الحسينية - هي مسألة متفرعة على موضوعة المشي إلى كربلاء - هي (مشي النساء بالخصوص).

فبالرغم من التسالم على ثبوت هذه الشعيرة عند الإمامية إلاّ أنّه قد أثّرت مؤخراً بعض الإشكاليات والاستفهامات حول مشروعيتها وشعيرتها؛ بسبب بعض التصرفات أو الممارسات التي قد تصدر من بعض السائرين والسائرات، والتي ربما تكون خاطئة فعلاً أو خاطئة بنظر بعضهم، بالرغم من وجود نصوص خاصة وعامة دالة على أصل المشروعية - مشروعية مشي النساء - والاستحباب، فضلاً عن وضوح دخولها في عنوان الشعائر الحسينية.

فضلاً عن أهمية الزيارة في ابراز الولاء لآل البيت عليهم السلام وإعطاء صورة إعلامية عالية المدلول لمذهب آل البيت عليهم السلام ومدى ولائهم ودورة مكثفة لإصلاح النفس وتهذيبها والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح ونشر الفضائل والقضاء على الرذائل، الى غير ذلك من الفوائد والثمرات التي تعرضت لها في بحثين مستقلين قد يكتب يكتب لهما النشر الأول: دور زيارة الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية،

والثاني دور زيارة الاربعين في الإصلاح.

ثم من يدعو النساء الى عدم الذهاب الى الزيارة بسبب الاختلاط فليدعوهن الى عدم الذهاب للجامعات او للمستشفيات للعمل او لمجلس النواب او للأسواق او غيرها من مراكز الاختلاط... وهل يفتي بذلك احد ؟.

تنوع البحث :

بدايةً سنتكلّم حول المشي في اللغة، والحكم الشرعي، وعلاقة بذل الجهد فيه، ونتحدث حول مدخلية حماسة الأمور في استحقاق الثواب، ومن ثمّ نبحث في الآيات والروايات التي تناقلت المشي وفضله عموماً، ونتكلّم حول المشي للحج أيضاً، ونورد بعدها تاريخية مشي النساء مطلقاً، وكذلك الأدلة التي نستدل بها لمشروعية مشي النساء إلى كربلاء، ونستعرض أخيراً أدلة المعارضين لمشى النساء والإجابة عنها والخروج بنتيجة، ولا يخفى ان هناك فوائد صناعية في طيات البحث.

المشي لغة مع الاستفادة من بعض الآيات :

المشي لفظاً ومعنى من الأمور الواضحة عند الجميع، ولا بأس أن نقف على حقيقته تعريفه عند اللغويين.

قال الراغب: «المشي: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة»^(١).

وقال ابن فارس: «الميم والشين والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على حركة الإنسان وغيره، والآخر النِّماء والزيادة»^(٢).

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ج ٢، ص ٣٧٧.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٢٦١.

وفي المصباح المنير: «مَشَى: (يَمْشِي) (مَشْيًا) إذا كان على رجله - سريعاً كان أو بطيئاً - فهو (مَاشٍ) والجمع (مُشَاةٌ)، ويتعدى بالهمزة والتضعيف»^(١)

وبستخلص من ذلك ومن بعض الايات أمور:

الأول: ان المشي هو مطلق الذهاب بالقدم او ما يقوم مقامها.

الثاني: ان المشي قد يختلف من دابة الى أخرى كما في مشي على اثنين او على اربع او على بطنه كما نصت الاية: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾.

الثالث: ان المشي قد يكون معنويا كما في المشي بالنور والالتزام بامام كما فسرت الروايات هذه الاية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ والاية: ﴿أَمْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

الرابع: ان المشي قد يكون مشيا لامر ايجابي كالمشي لقضاء حوائج الناس، وقد يكون لامر سلبي لقتل انسان برئ، وهذا ما يحدده القصد والنية، وقد يكون مشيا خاطئا كالمشي بتبختر وتمايل وعدم مراعاة للادب، وقد يكون مشيا صحيحا كالمش هونا.

وهذا ما إشارات اليه مجموعة من الايات: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ - ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ - ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ - ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ - ﴿أَمْ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾

فالآيات تبين لنا لزوم رعاية الضوابط العامة في المشي ومراعاة الآداب والأخلاق وأن يكون مشياً معتدلاً لا عن تبختر ومرح وتكبر وإنما بهون واستحياء واعتدال.

الحكم الشرعي واستحقاق الثواب عند بذل الجهد:

إنَّ الأحكام الشرعية الإلهية تُلحظ فيها جنبتان متغايرتان من حيث طبيعة الحكم وخصوصيته:

الجنبه الأولى: وهي جنبه التشريف؛ إذ إنَّ الأحكام الشرعية هي تشريف للعبد المكلف؛ لأنَّ مَنْ كَلَفَهُ أَرَادَهُ أَنْ يَرْتَبِطَ بِهِ رُوحِيًّا وَيُصْبِحَ مَتَمِّمًا إِلَيْهِ وَمُضَافًا إِلَى اسْمِهِ وَمُوصُوفًا بِأَنَّهُ (عبد لله) لا لغيره، فينال شرف العبودية لله ويخرج من برائن عبودية الغير وإذلاله.

الجنبه الثانية: جنبه التكليف؛ وذلك لأنَّ الأحكام الشرعية هي تكليف وتحميل للمكلف بها، وهذه الجنبه التعبوية إنما هي لمصلحة من كُلفَ بها، وأن الله تعالى هو العالم بهذه المصالح أكثر من المخلوقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١)؛ إذ إنها في إطار إعطاء نظام لتربية وإعداد المكلف وتنظيم علاقاته العامة والخاصة وإدخاله في حيز السعادة في الدارين؛ فقد روى النوري في المستدرک عن أبي القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق: عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَا عَلِمْتُ شَيْئًا يَقْرِبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ»^(٢).

فإنَّ الأحكام - كما يقول العدلية - تابعة لمصالح ومفاسد واقعية، فما من أمر إلا وفيه

(١) فاطر: آية ١٥.

(٢) الميرزا النوري، مستدرک الوسائل: ج ١٣، ص ٣٠.

خير للمكلف المأمور به، وما من نهى إلا وفيه شر للمكلف المنهى عنه، وغاية تلك التكاليف والجهود هو الوصول إلى الدرجات المعنوية واليقين العلمي والطاعاتي، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١).

وهذه الأحكام كلما كانت أشد وأتعب كلما كان مردودها المعنوي والتربوي أكبر وأرحب؛ فإن أفضل الطاعات أشدها وأحزمها.

وبما أن المشي هو بذل للجهد أيضاً، بل لعله جهد كبير، وخاصة إذا اتصف بالعبادية؛ فإنه سيكون أحب وأقرب، كالمشي للحج المندوب والمشي لزيارة النبي والأئمة سلام الله عليهم أجمعين؛ فهو بلا شك محبوب عند الله تعالى، كما سيأتي المزيد من البيان.

حرص المسلمين على أحزم الأعمال:

تنقسم العبادات في التشريع الإسلامي على ثلاثة أقسام: منها ما يكون جهدياً بحتاً كالصلاة والصيام، ومنها ما يكون مالياً بحتاً كالخمس والزكاة، ومنها ما هو مشترك كالحج والجهاد، وكلما كانت العبادة أجهد وأتعب كانت ثمراتها المعنوية أكبر وأعظم؛ ولذا ورد في الرواية المشهورة بين الخاصة والعامة عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «أفضل الأعمال أحزمها»^(٢).

ومعنى أحزمها كما في كتب اللغة هو: «أشدها وأمتنها، وأكثرها مشقة»^(٣).

والمشي - كما سيأتي - أشد وأصعب وأكثر جهداً من الركوب؛ فيكون أفضل قطعاً، وكلما كانت مسافته أطول فهو أشد جهداً ومشقة فيكون أفضل، بل وكلما كانت الظروف

(١) الحجر: آية ٩٩.

(٢) العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء: ج ٨، ص ١٧٢. الرازي، تفسيره: ج ٢، ص ٢١٧.

(٣) أنظر: الفراهيدي، كتاب العين: ج ٣، ص ١٦٨. والطريحي، مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٦.

أصعب كان المشي أعظم أجراً، فالمشي في زمن الخوف أو الحر أو البرد الشديد أو غير ذلك من الظروف الصعبة أكبر منفعة وثمره دنيوية وأخروية من المشي بغير تلك الظروف، عملاً بالحديث النبوي الشريف؛ لذا فإن العبادات التي فيها مشي - كالحج والجهاد والزيارة - لها أهميتها على سائر العبادات إلا ما خرج بالدليل.

المشي في النصوص الشرعية

ورد المشي في النصوص الشرعية كثيراً؛ إذ إن الآيات والروايات حافلة بهذا المعنى، إما صراحة أو على نحو التلازم بين المشي وبين ما ذكر، وبما أن بحثنا عن مشي خاص - لا مطلق المشي - أحببنا ذكر المشي بصورة مجملة وسريعة في النص القرآني والروائي:

أولاً: المشي في النصوص القرآنية

ورد المشي في آيات عديدة وبموضوعات مختلفة، وفي بعضها إشعار بأنه نعمة من النعم الإلهية، وأنه ممدوح لأجل الوصول إلى شيء مطلوب، أو للخروج من واقع قاسٍ أو منحرف، وقد مر ذكر بعضها في كلام سابق ونضيف هنا ذكر بعض الآيات:

الآية الأولى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١)

الآية الثانية: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)

وقد مر بعض بيانها.

(١) لقمان: آية ١٩.

(٢) النور: آية ٤٥.

الاية الثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وقد مرت الإشارة إليها.

الآية الرابعة: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا...﴾^(١)، وسنقف عند هذه الآية ببحث مفصل لاحقاً إن شاء الله تعالى؛ لقربها من موضوع البحث.

وأما قوله تعالى في الآية التي تُشير إلى ذم خروج النساء من بيوتهن: ﴿يَا فِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٢). فسوف يأتي تفصيل الكلام حولها عند التعرض لأدلة المانعين الذين استدلوا بها لمنع خروج النساء مشياً، وسوف نبيّن أنها ليست مانعة من أصل الخروج.

ثانياً: المشي في الروايات

وردت روايات كثيرة في مدح المشي إما مطلقاً أو لغاية وطاعة وهدف إيجابي، ويمكن ذكر ذلك من خلال الطوائف التالية:

الأولى: ما دل على عبادية المشي بذاته، وهذا ظاهر بعض الروايات التي تُحمل على المشي المعهود المادي، لا المشي المعنوي، كما في الرواية - المروية بعدة طرق وفي عدة موارد - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من المشي»^(٣).

(١) مريم: آية ١٦-١٧.

(٢) الأحزاب: آية ٣٢-٣٣.

(٣) الطوسي، تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ١٢، ح ٣٠.

الثانية: الروايات الحاثثة على السفر إما مطلقاً أو لغايات مادية أو معنوية مستحبة أو مباحة؛ لاشتماله - خصوصاً في الازمان الغابرة - على المشي راجلاً، ومن تلك الروايات:

١- ما دل على استحباب مطلق السفر

منها: ما روي عن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سافروا تصحوا، وجاهدوا تغنموا، وحجوا تستغنوا»^(١).

ومنها: ما رواه أحمد بن أبي عبد الله البرقي في (المحاسن) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سافروا تصحوا، سافروا تغنموا»^(٢).

٢- ما تضمن الحث على المشي للتواصل والتزاور الاجتماعي

منها: ما رواه الصدوق بإسناده عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه، عن النبي ﷺ - في حديث المناهي - قال: «مَنْ مَشَى إِلَى ذِي قَرَابَةِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ لِيَصِلَ رَحْمَهُ أَطْعَاهُ اللَّهُ أَجْرَ مِائَةِ شَهِيدٍ، وَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكَانَ كَأَنَّمَا عَبْدُ اللَّهِ مِائَةَ سَنَةٍ صَابِرًا مُحْتَسِبًا»^(٣).

٣- ما دل على خروج النساء في المآثم لقضاء الحقوق

فقد روي عن أبي الحسن عليه السلام حين سئل عن ذلك، فقال: «عَنِ الْحُقُوقِ تَسْأَلُنِي، كَانَ أَبِي يَبْعَثُ أُمِّي وَأُمَّ قُرُوءَةَ تَقْضِيَانِ حُقُوقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»^(٤).

ولا شك في أن هذه الموارد بإطلاقها - بل بصراحة بعضها - تشمل الاستحباب للنساء أيضاً.

(١) الصدوق، مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) البرقي، المحاسن: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٩، عن أمالي الصدوق: ٢٥٣.

(٤) الصدوق، مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ١، ص ١٧٨.

المشي إلى الحج

لا خلاف في جواز المشي للحج للرجال والنساء من أماكن بعيدة، كما دلت الآيات القرآنية والروايات كذلك، وإنما الخلاف بين الفقهاء في أفضلية المشي على الركوب في طريق الحج، فذهب المشهور إلى أفضلية الحج ماشياً على الحج راكباً للرجال والنساء عن حد سواء؛ لأنه أكثر مشقة وتواضعاً وأحمز من الركوب، بل تمسكاً منهم ببعض الروايات الآتية الذكر:

الروايات الحاثّة على المشي

هناك مجموعة من النصوص الشرعية الدالة على أفضلية المشي على الركوب:

١ - المشي إلى الحج الواجب أو المندوب خضوعاً وخشوعاً وطلباً للأحزم، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في خبر ابن سنان، وغيره: «ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل»^(١).

٢ - ما ورد عن الإمام الصادق أيضاً (عليه السلام) قوله: «ما عبد الله بشيء مثل الصمت والمشي إلى بيته»^(٢).

٣ - ما أورده الحر العاملي في الوسائل بقوله: «روي أنه ما تقرب العبد إلى الله عز وجل بشيء أحب إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين»^(٣).

٤ - ما روي عن الصادق (عليه السلام) حين سُئل عن فضل المشي فقال: «إن الحسن بن علي (عليه السلام) قاسم ربه ثلاث مرات حتى نعلأ ونعلأ، وثوباً وثوباً، وديناراً وديناراً، وحج

(١) الطوسي، التهذيب: ج ٥، ص ٢٨-١١. والاستبصار: ج ٢، ص ٤٦٠-١٤١.

(٢) الصدوق، ثواب الأعمال: ص ٢١٢، ح ١.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٧٩.

عشرين حجة ماشياً»^(١).

٥ - ما روي في خبر أسامة قال: «خرج الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة ماشياً فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الألم. فقال: كلا»^(٢)

٦ - وروى أبو المنكدر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال ابن عباس: ما ندمت على شيء صنعتته ندمي على أن لم أحج ماشياً؛ لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ حج بيت الله ماشياً كتب الله له ستة آلاف حسنة من حسنات الحرم، قيل: يا رسول الله، وما حسنات الحرم؟ قال: حسنة بألف ألف حسنة. وقال: فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وكان علي بن الحسين عليه السلام يمشي إلى الحج ودابته تُقاد وراءه»^(٣).

الروايات الحاثّة على الركوب:

مع أن الروايات المتقدمة واضحة الدلالة على ما ذكرنا سابقاً إلا أن في مقابل ذلك روايات تدل على أفضلية الركوب تأسيساً بالنبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، ومن بينها:

١ - رواية رفاعة قال: «سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل: الركوب أفضل أم المشي؟ فقال: الركوب أفضل من المشي؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب»^(٤).

٢ - رواية ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنّه سُئل عن الحج ماشياً أفضل أو ركباً؟ فقال: بل ركباً؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّ ركباً»^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠. وهو عن أبي أسامة كما في أصول الكافي: ج ١، ص ٤٦٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التهذيب ٥: ١٢ - ٣١.

(٥) التهذيب ٥: ١٢ - ٣١.

٣ - وعن رفاعة أيضاً قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مشي الحسن عليه السلام من مكة أو من المدينة؟ قال: من مكة. وسألته: إذا زرت البيت أركب أو أمشي؟ فقال: كان الحسن عليه السلام يزور ركباً. وسألته عن الركوب أفضل أو المشي؟ فقال: الركوب. قلت: الركوب أفضل من المشي؟ فقال: نعم؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركب».

الجمع بين روايات المشي والركوب

ويمكن أن نجمع بين هاتين الطائفتين من خلال القرائن الآتية - والتي تُعطي نتيجة مفادها أن الأفضلية محفوظة للمشي -

القرينة الأولى: ما ورد في روايات أخر تُبين إن الأفضلية للمشي إلا في بعض الحالات الخاصة:

الحالة الأولى: إذا كان المشي لأجل كونه أقل نفقة مع العلم أن هذا الحاج في يسر ومكنة؛ فيكون الركوب أفضل في حقه، لقول أبي عبد الله عليه السلام في خبر أبي بصير: وقد سئل عن المشي أفضل أو الركوب: «إن كان الرجل موسراً فيمشي ليكون أقل لنفقته فالركوب أفضل»^(١).

الحالة الثانية: إذا كان المشي يؤدي إلى تعطيل الحاج عن الدعاء أو العبادة أو أداء المناسك فيكون الفضل للركوب، كما في رواية سيف التمار قال: «قلت لأبي عبد الله: إنا كنا نحج مشاة فبلغنا عنك شيء، فما ترى؟ قال: إن الناس ليحجون مشاة ويركبون. قلت: ليس عن ذلك أسألك. قال: فعن أي شيء سألت؟ قلت: إيهما أحب إليك أن نصنع؟ قال: تركبون أحب إلي؛ فإن ذلك أقوى لكم على الدعاء والعبادة»^(٢).

(١) الفقيه ٢: ١٤١ ص ٦١٠.

(٢) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٤٥٦.

الحالة الثالثة: إذا كان الحج ماشياً موجباً للاستخفاف والمهانة من قبل الآخرين، فقد روى سليمان قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نريد أن نخرج إلى مكة مشاة. فقال: لا تمسوا واخرجوا ركباناً. فقلت: أصلحك الله، بلغنا عن الحسن بن علي عليه السلام أنه حج عشرين حجة ماشياً. فقال: إن الحسن بن علي عليه السلام كان يحج ماشياً وتُساق معه الرجال»^(١).

والنتيجة المتحصلة - لدى الباحث بعد هذا الجمع هي - أن المشي إلى الحج واجباً أو مندوباً أرجح من الركوب إلا في الموارد المذكورة أعلاه؛ فإذا أراد المكلف تحصيل ثواب أكثر في الحج المندوب كان المشي هو المتعين، وكذا الحكم في الطاعات الأخر كالجهاد أو الزيارة أو غيرها، إلا إذا دلّ الدليل الخاص على الاستثناء، وكان مفاده: أن العبادة الأقل مشقة هي الأرجح، فعند ذلك يؤخذ بالدليل الخاص.

تاريخية مشي النساء

إن المتتبع لتاريخ الإنسانية - وخصوصاً تاريخ العرب - يجد ظاهرة المشي من يوميات الإنسان رجلاً كان أو امرأة، حيث إن كثيراً من الأعمال والمهن تُمارس مشياً على الأقدام، ولعل ظاهرة الرعي والزراعة من أهم تلك المهن التي تحتاج إلى المشي، ونحن نجد أن المرأة كانت ولا زالت تُمارس هاتين المهنتين وباستمرار، والقرآن يحكي لنا أن نساء مقدسات وبنات أنبياء كنَّ يُمارسن ذلك، كما في قصة ابنتي النبي شعيب عليه السلام والتي أصبحت إحداهما زوجاً لكليم الله النبي موسى عليه السلام، حيث كانتا تمارسان الرعي وسقي الغنم؛ إذ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى

الظِّل فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١﴾.

وكذلك يحكي لنا القرآن سير موسى مع أهله: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٢).

بل إن بعض النساء المقدسات - ومنهن السيدة الطاهرة خديجة - كانت تمارس الخروج من البيت والمشي بسبب طبيعة عملها في التجارة، وقد تزوج منها النبي الأعظم ﷺ وهي تاجرة.

كما إن السيرة التاريخية العامة تذكر مئات النساء اللاتي ذاع صيتهن وقد اکتنف عملهن بالمشي، خصوصاً المشي للأُمور المهمة والتواصل الاجتماعي والثقافي والعلمي والأدبي.

وامتدت تلك السيرة إلى زمن الإسلام وخروج المرأة في بعض الحروب لمساعدة الرجل في الأمور الطبية واللوجستية وغيرها، وتحملها لبعض المهام والمشاكل العامة. كما أن مسألة خروج المرأة المعاصرة أصبح شيئاً واضحاً ولا غبار عليه، خصوصاً بعد أن عملت بسلك الطب والتعليم والهندسة والتربية وغيرها من ميادين الحياة.

نموذج من مشي النساء:

السيدة مريم العذراء

ولنقف على الأحداث التي يذكرها القرآن المختصة بالسيدة مريم العذراء رضوان الله عليها؛ لارتباطها الواضح بموضوع هذا البحث:

(١) القصص: آية ٢٣.

(٢) القصص: آية ٢٩.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا... فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾^(١).

حيث إن الآية تحكي قصة السيدة العذراء مريم وما جرى من مراسيم تحضيرية لأجل الولادة، ومن أهم تلك المراسيم هو خروجها لوحدها مكاناً قصياً، والقصي: هو المكان البعيد القاصي المحتجب عن الأهل والأقارب والبلدة، فخرجت لوحدها لتأتي بالمولود المقدس.

وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين اساتذتنا^(٢) في قصة خروجها أموراً تفيدنا في المقام:

الأول: إن خروجها كان لوحدها؛ وهذا يدل على مشروعية الخروج ما دام الخروج مطابقاً للموازين الشرعية مع كامل الحجاب والعفة وما دام لغاية سامية وهي طاعة الله.

الثاني: إن خروجها كان لمكان بعيد عن أهلها؛ وهذا يدل على مشروعية الخروج إلى مكان بعيد ما دامت مأمونة على نفسها ومعروفة بعفتها وشرفها.

الثالث: إن الكلام مع الأجنبي بحد ذاته ليس محرماً، ما دام مطابقاً للموازين الشرعية، وليس فيه خضوع بالقول ولا يحتوي على كلام غزلي ولا تعمد الإسماع.

وبذلك يتضح أن ظاهرة مشي النساء ظاهرة قديمة وممتدة وعامة، وبمراى ومسمع من الأنبياء والأئمة والصلحاء، ولم يعترضوا على أصل الظاهرة، وإنما هناك أحكام وشروط تشريعية تنظم الخروج والمشي، وتجعله في حيز الجائز الذي لا فساد ولا إفساد فيه.

(١) مريم: آية ١٦، ١٧، ٢٢.

(٢) ذكر ذلك ساحة استاذنا الشيخ محمد السند دام ظله في محضر درسه المبارك.

نموذج مستقبلي: النساء في زمن الحجة عليه السلام:

حيث ورد في الروايات ان هناك ١٣ امرأة وفي رواية ٥٠ امرأة تمارس دوراً مهماً وقيادياً كما هو ظاهر الروايات، ومنها ممارسة الطبابة والعلاج وهذا بحضور وأمر الإمام الحجة عليه السلام، ومنها هذه الرواية ما روي في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات؛ وبإسناده عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يكن مع القائم عليه السلام ثلاث عشرة امرأة، قلت: وما يصنع بهن؟ قال: يداوين الجرحى ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله «الحديث» وفيه ذكر أسمائهن ^{(١) (٢)}.

أقول:

فهذه الرواية تعطي تمييزاً خاصاً لطبقة من النساء تمارس الأعمال اللوجستية والاعدادية كالأعمال الطبية كما مثلت الرواية، ولا يكمن حمل الرواية على الحصر في المقام وإنما نحملها على التمثيل فحسب وهو أنَّ أحد وظائف المرأة في زمن الظهور هو كونها كادر طبي وعلاجي.

أدلة مشي النساء إلى كربلاء:

عرضنا فيما سبق الأدلة - القرآنية والروائية - المجوزة للمشي مطلقاً، بل والحائنة عليه لأجل بعض الطاعات والتواصل الرحمي والاجتماعي والحقوق.

والآن نعرض بعض الأدلة الخاصة التي تدل على جواز واستحباب مشي النساء (بالخصوص) لزيارة قبر سيد الشهداء والوفاء لحق الولاء للنبي وأمير المؤمنين والصديقة الطاهرة والسادة النجباء من أبنائها سلام الله عليهم أجمعين.

(١) دلائل الإمامة: ٤٨٤ ح ٤٨٠ / ٨٤.

(٢) الشيخ الحر العاملي في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٥ ص ٢٠٣.

ونذكر ذلك في أدلة منها:

الدليل الأول: قاعدة الاشتراك

من جملة القواعد الفقهيّة المشهورة بين الفقهاء قاعدة الاشتراك، والتي مفادها في أحد معانيها: «اشتراك المكلفين في الأحكام الشرعية رجالاً ونساءً إلى قيام يوم القيامة، سواء كانت أحكاماً إلزامية، كالوجوب والحرمة، أو غير إلزامية، كالاستحباب والكراهة، إلا في الموارد التي ثبت خصوصية للرجل أو المرأة فيها؛ فتكون خارجة عن القاعدة تخصيصاً»^(١).

وبما أن هذه قاعدة - وكل قاعدة تمتاز بأنها كلية - لها تطبيقات وأفراد عديدة؛ فيكون المشي إلى كربلاء تطبيقاً وفرداً من أفرادها؛ مما يعني أن الاستحباب الوارد في الأدلة والروايات من نص على الرجال والنساء على حد سواء، ولم يرد في الروايات ما يدل على حصر استحباب المشي بالرجال، بل يبعد احتمال الخصوصية جداً.

وما ذكر من المنع من خروجهن مطلقاً - ولو لأجل الطاعة - مدفوع كما سيأتي بيانه تفصيلاً.

ولهذه القاعدة أدلتها وتطبيقاتها، وتفصيل ذلك في محلّه من كتب القواعد الفقهيّة، والذي يفيدنا منها هو حكم الاستحباب المشترك بين الرجال والنساء الموجود في أدلة المشي إلى سيد الشهداء عليه السلام.

الدليل الثاني: إطلاق الروايات

وردت مئات النصوص الحاثّة على المشي والمبينة لأجر الماشي وعظيم الثواب الذي يحصل عليه، وآداب المشي وسننه وما ينبغي أن يكون عليه الماشي، وما لا ينبغي، وقد ذكر

هذه الروايات أصحاب المجامع الروائية وكتب الأدعية والزيارات^(١)، وقد أجاد صاحب كتاب (نور العين في المشي لزيارة الحسين)^(٢) حيث جمع الروايات المتعلقة بالمشي لزيارة الإمام وبوبها تبويماً رائعاً، والمطلع على تلك الروايات يجد الإطلاق والعموم واضحاً تجاه مطلق المكلفين رجالاً ونساءً، بل شامل حتى لغير المكلفين؛ وبذلك يكون الاستحباب منصّباً على الرجال والنساء على حد سواء، بل إن في بعض الروايات تصريحاً واضحاً لزيارة النساء وأنها من باب إسعاد فاطمة عليها السلام.

ولنقف على بعض الروايات المطلقة:

١ - عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن علي [بن أبي عثمان، عن عبد الجبار النهاوندي، عن أبي سعيد، عن الحسين] بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسين، مَنْ خرج من منزله يريد زيارة الحسين عليه السلام إن كان ماشياً كتبت له بكل خطوة حسنة، وخطّ بها عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف ناداه ملك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [يقرئك السلام و] يقول لك: استأنف العمل؛ فقد غفر الله لك ما مضى»^(٣)

٢ - عن الحسين بن محمد، عن حميد بن زياد، عن عبيد الله بن نهيك، عن محمد بن فراس، عن إبراهيم بن محمد الطحان، عن بشير الدهان، عن رفاة النخاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أخبرني أبي أن مَنْ خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غير مستكبر، وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء، كان مثل الذي يخرج من

(١) انظر: كامل الزيارات، باب زيارة الامام الحسين عليه السلام

(٢) نور العين في المشي الى زيارة قبر الحسين تاليف محمد حسن الاصطهباناتي.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ١٣٢. الصدوق، ثواب الأعمال: ص ١١٦. الصدوق، تهذيب

الذنوب، وإذا مشى إلى الحسين عليه السلام فرفع قدماً ووضع أخرى، كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات»^(١).

٣ - عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن أبي داود المسترق، عن أم سعيد الأحمسية، قالت: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أم سعيد، تزورين قبر الحسين عليه السلام؟ قالت: قلت: نعم. قال: يا أم سعيد، زوريه؛ فإن زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء»^(٢).

ثم قال صاحب الوسائل: «أقول: وروى ابن قولويه هذا الحديث من عدة طرق بأسانيد كثيرة، وقد تقدم ما يدل على ذلك عموماً، ويأتي ما يدل عليه».

٤ - روى الحسن بن علي بن فضال، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «مرو شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام فإن زيارته تدفع الهدم والفرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل»^(٣).

٥ - عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي المعز، عن عنبسة بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ لم يأت قبر الحسين عليه السلام حتى يموت كان متقص الإيـمان، متقص الدين... دون المؤمنين فيها»^(٤).

إلى غيرها من عشرات - بل مئات - الروايات الموثقة في بطون الكتب: كالبحار،

(١) الطوسي، التهذيب: ج ٦، ص ٥٢. ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ١٨٦.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٣٧.

(٣) الصدوق، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٢.

(٤) الطوسي، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٥.

وكتب المزار، تحكي لنا مشروعية مشي النساء للزيارة والحث عليها كثيراً، ونستفيد هذا من إطلاق الروايات والأدلة.

ولذا؛ أفتي أكثر الأعلام المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين باستحباب مشي النساء؛ تمسكاً بإطلاقات الأدلة.

الدليل الثالث: الروايات التي تخص النساء

ما تقدم معنا من أدلة إنما كان مفادها الحث على المشي للزيارة بصورة مطلقة، والآن نورد بعض الروايات التي تدل على الاستحباب - بل إن في بعضها ما يدل على الوجوب بوضوح كما ذهب إليه بعض الفقهاء، وإن حملها أكثرهم على الاستحباب وبَيَّن أن الوجوب يراد منه شيء آخر انسجماً مع الروايات الواضحة الدلالة على الاستحباب - بخصوص النساء.

وهذا السفر للزيارة سواء كان سفراً قريباً أم بعيداً كما نص على ذلك الاعلام، وكما هو نص بعض الروايات كالرواية الأولى الآتية فلا يصح ما نقل عن بعض التفريق بين السفر القريب والبعيد بمنع الثاني دون الأول.

ومن جملة عباراتهم: ما ذكره صاحب الوسائل من فتوى باب عقده في ذلك: (بَابُ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ النَّسَاءِ الْحُسَيْنِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَائِرِ الْأَيِّمَةِ وَلَوْ مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ)^(١)، ووافقه عليها الاعلام.

وهي على طائفتين:

الأولى: روايات حادثة على الزيارة:

ولعل أشهر تلك الروايات رواية أم سعيد الأحمسية المعاصرة والصحابية والموالية

للإمام الصادق (عليه السلام)، وغيرها:

١- روى ابن قولويه بسناد عن أم سعيد الأحمسية قالت: «جئت إلى أبي عبد الله (عليه السلام) فدخلت، فجاءت الجارية فقالت: قد جئتُكِ بالدابة. فقال (عليه السلام): يا أم سعيد، أي شيء هذه الدابة، أين تبغين، أين تذهبين؟ قالت: قلت: لأزور قبور الشهداء. فقال: ما أعجبكم يا أهل العراق! تأتون الشهداء من سفر بعيد وتتركون سيد الشهداء ولا تأتونهُ؟! قالت: قلت له: مَنْ سيد الشهداء؟ فقال: الحسين بن علي (عليهما السلام) قالت: قلت: إني امرأة. فقال: لا بأس بمن كانت مثلك أن تذهب إليه وتزوره. قلت: أي شيء لنا في زيارته؟ قال: تعدل حجة وعمره واعتكاف شهرين في المسجد الحرام وصيامهم»^(١).

فان الرواية الشريفة دالة على مشروعية واستحباب الزيارة من قبل النساء لسيد الشهداء (عليه السلام) ولو كان من سفر بعيد فلا يتم ما ذهب اليه البعض من التفريق بين السفر القريب والبعيد كما اشرنا، وقد افتى بذلك الاعلام منهم، منهم الشيخ الحر العاملي، فقال: (يستحب زيارة النساء الأئمة (عليهم السلام) ولو من سفر بعيد لما مرّ من العموم ولما يأتي من العموم والخصوص) وغيره من الاعلام.^(٢)

فلم يفرق الإمام بزيارة المرأة من بعيد او قريب وانما جعل المدار على كونها مأمونة وموثوقة والا ليذهب معها محرم ولو كانت قريبة دفعا لفسادها او تعرضها لمخاطر، فالمدار لا على طول المسافة بل على المأمونية.

فالمناط الذي بنى عليه الإمام الحكم بالحث على الزيارة كون المرأة كام سعيدة مأمونة لا كون المسافة قريبة او بعيدة، فما قيمة البعيد او القرب وما مدخلته في فساد او صلاح المرأة، فالمرأة المأمونة والصالحة هي صالحة وان سارت الى الحسين من الصين والفاصلة

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ١١٨.

(٢) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ج- ٥، ص: ٤٥٦.

فاسدة وان سارت من اطراف كربلاء.

فمن منع انما عول على مخصصات ذوقية او استحسانية نابعة من موقف عملي لا من مخصص متصل او منفصل لم يذكر في الرواية ولا في خارجها بل ظاهر الرواية والروايات غير ذلك كما عرفت.

٢- عن زرارة عن أحدهما^(١) عليه السلام أنه قال: «يا زرارة، ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تُسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام»^(٢).

فالرواية توجب - من باب الولاء - ان تزور النساء سيد الشهداء عليه السلام فان ذلك اسعاد لسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ولم يقيد الامام كون المؤمنة شابة او عجوز، ولم يقيد كون معها محرم مادامت مأمونة والطريق امن، خصوصاً وان السفر في تلك الاعصار اما سيرا او ركوبا على الحيوانات، فتطول الأوقات وقد يحصل الاختلاط، ومع ذلك وجه الامام لها عتابا ولكل اهل العراق والعراقيات اذا ما تركوا زيارة الحسين وجاءوا لزيارة الشهداء في المدينة المنورة فحسب.

٣- في كتاب فضل زيارة الحسين لمحمد بن علي العلوي، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد النحوي، قال: نا محمد بن علي بن شاذان، قال: نا حسن بن محمد بن عبد الواحد، قال: نا عباد بن جعفر، قال: أخبرني محمد بن عبدويه، عن يحيى بن مساور، قال: كان جعفر بن محمد عليه السلام جالسا فأقبلت امرأة من العرب فقال: «ما لي لم أرك منذ أمس ؟ ! قالت: كنت عند قبور الشهداء. قال: تركت سيد الشهداء عندك ! قالت: مَن هو ؟ قال: الحسين عليه السلام. قالت: أزوره ؟ قال: نعم زوريه؛ فإنه أفضل من حجة وحجة حتى عد عشرأ.

(١) عندما يقال: عن أحدهما، يُراد به إما الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام، وهذا التعبير وارد كثيراً في الكتب الروائية ومستعمل لأغراض يريد بها أصحاب الأئمة عليهم السلام.

(٢) النوري، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٢٥٩.

فقلت: فما لمن زاره ماشياً؟ قال: له بكل خطوة حجة وعمرة^(١).

فإن هذه الروايات وغيرها حثت أم سعيد الأحمسية^(٢) ونساء أخر على الزيارة وحددت لهن أجر المشي وهو بكل خطوة حجة وعمرة ولم يقيد بالمشي عن قرب بل وعاتبتهن على ترك الزيارة بالرغم من انها لوحدها.

الثانية: روايات ممضية لزيارة النساء:

منها:

١ - ما رواه صاحب كامل الزيارات بإسناده عن أبي يعقوب الأبراري عن قائد [فائِدٍ عَنْ عَبْدِ صَالِحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] قَالَ «دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ زَارَهُ النَّاسُ مَنْ يَعْرِفُ هَذَا الْأَمْرَ وَمَنْ يُكْرِهُهُ وَرَكِبَتْ إِلَيْهِ النَّسَاءُ وَوَقَعَ حَالُ الشُّهْرَةِ - وَقَدْ انْقَبَضَتْ مِنْهُ لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ الشُّهْرَةِ قَالَ فَمَكَتْ مَلِيّاً لَا يُجِيبُنِي ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا عِرَاقِي إِنْ شَهَرُوا أَنْفُسَهُمْ فَلَا تَشْهَرِ أَنْتِ نَفْسَكَ فَوَ اللَّهِ مَا أَتَى الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آتٍ عَارِفاً بِحَقِّهِ إِلَّا عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

تقريب الاستدلال: فإن الامام لم يعترض على زيارة النساء بل أمضاها وشمل جميع الزائرين بذلك الثواب رجالاً ونساءً، غاية الامر ان الامام امره بالابتعاد عن الاشتهار^(٣) والوضوح اذا كان يضره مراعاة للوضع الأمني في ذلك الحين كما هو ظاهر الرواية.

(١) العلوي، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين: ص ٦٢.

(٢) ام سعيد الاحمسية عدّها الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وظاهر عدّه آياها من غير غمز في مذهبها كونها امامية ويمكن استفادة حسننها بل وثاقفتها من رواية (ابن أبي عمير) عنها في كتاب كامل الزيارات وهو لا يروي الا عن ثقة كما هو الصحيح الثابت في محله، وروى عنها أيضاً يونس بن يعقوب وابو داود المسترق وحسين الأحمسي واحمد بن رزق الغمشاني عنها عن الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الشهرة كما نص أئمة اللغة انها وضوح الامر وانتشاره وافتضاحه.

٢ - وروى كامل الزيارات أيضا بإسناد عبد الله بن حماد البصري عن أبي عبد الله عليه السلام «... ثُمَّ قَالَ بَلَّغْنِي أَنَّ قَوْمًا يَأْتُونَهُ مِنْ نَوَاحِي الْكُوفَةِ وَنَاسًا [أُنَاسًا] مِنْ غَيْرِهِمْ وَنِسَاءً يَنْدُبْنَهُ وَذَلِكَ فِي النَّصَفِ مِنْ شُعْبَانَ فَمِنْ بَيْنِ قَارِيٍّ يَقْرَأُ وَقَاصٍّ يَقْصُصُ وَنَادِبٍ يَنْدُبُ وَقَائِلٍ يَقُولُ الْمَرَاثِي فَقُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ شَهِدْتُ بَعْضَ مَا تَصِفُ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي النَّاسِ مَنْ يَفِدُ إِلَيْنَا وَيَمْدَحُنَا وَيُرِثِي لَنَا وَجَعَلَ عَدُوَّنَا مَنْ يَطْعُنُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِنَا وَغَيْرِهِمْ يَهْدُوهُمْ [يَهْدِدُونَهُمْ] وَيَقْبَحُونَ مَا يَصْنَعُونَ».

فان الرواية واضحة الدلالة على امضاء هذا الفعل من النساء والرجال وهو الندبة^(١) والزيارة، وان كل من يطعن بهم سواء كان بعيدا او قريبا فهو مبعوض من ال البيت عليه السلام وعدو من اعدائهم.

الدليل الرابع: سيرة الزهراء

إن السيدة الزهراء عليها السلام وهي سيدة العفة والحشمة وقدوة النساء جميعاً ولا تضاهيها أي امرأة لا من الاولين ولا من الآخرين - خرجت في مواطن عديدة ماشية في زمن رسول الله وزمن امير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى الهما.

منها: ما هو واجب كتصديها للخطبة أمام المهاجرين والأنصار لنصرة أمير المؤمنين والدفاع عن حقه عليه السلام بالخلافة وحقها في فدك التي غصبها الظالمون.

ومنها: ما هو مستحب كما في خروجها كراراً لزيارة قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الشهداء وزيارتها لقبر أبيها الأعظم عليه السلام، ولا شك في أن فعلها حجة وسنة تقتدي بها نساء العالمين.

(١) قال في تاج العروس من جواهر القاموس في بيان معنى الندبة؛ ج ٢، ص: ٤٢٥ (أَنْ تَذْكُرَ النَّاتِحَةَ الْمَيِّتَ بِأَحْسَنِ أَوْصَافِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَفِي الْمِصْبَاحِ: تَذَبَّتِ الْمَرْأَةُ الْمَيِّتَ، مِنْ بَابِ قَتَلَ وَهِيَ نَادِبَةٌ، وَالْجَمْعُ نَوَادِبُ، لِأَنَّهُ كَالدَّعَاءِ؛ فَإِنَّهَا تُعَدُّ مُحَاسِنَةً، كَأَنَّهُ يَسْمَعُهَا. قَالَ شَيْخُنَا: فَفِيهِ أَنَّ النَّدْبَةَ خَاصَّةٌ بِالنِّسَاءِ، وَأَنَّ إِطْلَاقَهَا عَلَى تَعْدَادِ مُحَاسِنِ الْمَيِّتِ).

وفي هذا الصدد نذكر بعض الروايات الدالة على خروجها مشياً:

١ - قال الكليني رحمه الله: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً لم تُرْ كاشرةً ولا ضاحكةً تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الإثنين والخميس، فتقول: ها هنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله، وها هنا كان المشركون»^(١).

ثم قال بعد ذلك رحمه الله: «وفي رواية أبان، عمن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنها كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت عليها السلام»^(٢).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أنّ خروج النساء لزيارة قبور الموتى لا ينافي العفة والوقار؛ إذ إن الزهراء - وهي المعصومة من كل خطأ - خرجت ماشية لزيارة القبور؛ فيكون فعلها حجة، ولا شك في أن الخروج لزيارة قبر سيد الشهداء لهو أعظم من زيارة قبور المؤمنين؛ فما تفعله المؤمنات السائرات لقبر الحسين إنما هو اقتداء بسيرة ومسيرة الزهراء، كما إنه إسعاد ومواساة لها كما تقدم ذلك.

بالإضافة لروايات أخرى تدل على اتيانها قبر حمزة عمي النبي صلى الله عليه وآله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينهها النبي منها:

٢ - وروى الشيخ الطوسي في التهذيب عنه عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُبَابٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام كَانَتْ تَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سَبْتِ فَتَأْتِي قَبْرَ حَمْزَةَ وَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ»^(٣).

(١) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٥٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٨٠.

٣- وفى الدعائم عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ «كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام تَزُورُ قَبْرَ حَمْزَةَ وَتَقُومُ عَلَيْهِ وَكَانَتْ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ مَعَ نِسْوَةٍ مَعَهَا فَيَدْعُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ»^(١)

وغيرها من الروايات.

الدليل الخامس: قاعدة الشعائر العامة

واضح لدى الجميع أن قاعدة الشعائر العامة تدل على أهمية تعظيم الشعائر الدينية، وأن من مصاديق الشعائر الدينية هو إبراز الشعائر الحسينية. ولا شك في أن المشي للزيارة من أبرز مصاديق تلك الشعائر، وهذا المشي للزيارة غير مختص بالرجال، بل هو شامل للنساء أيضاً كما هو واضح؛ فخروج هذا الجمهور الإيماني ومن كل الطبقات والأصناف والأجناس مظهر عالمي يبرز شعيرة إعلامية واضحة للجميع.

وعليه؛ فلا داعي للتدليل أو إقامة البراهين والشواهد على ذلك، بعد أن أصبح القريب والبعيد على علم واطلاع بهذا الشأن، وبعد أن أفرد العلماء كتباً مختصة بالبحث عن الشعائر الحسينية^(٢).

الدليل السادس: ما ورد من البحث على المشي إلى بعض المواطن مع اشتغالها على الاختلاط:

وهذا له أمثلة كثيرة:

أولاً: خروج المرأة إلى الحج لوحدها

عقد الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً خاصاً لخروج المرأة إلى حج بيت الله، وذكر

(١) دعائم الإسلام؛ ج ١، ص: ٢٣٩

(٢) أنظر: السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد.

في عدة روايات، نورد بعضاً منها:

١- محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن البنظي، عن صفوان الجمال قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قد عرفنتي بعلمي، تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها وحبها إياكم، وولايتها لكم ليس لها محرم؟ قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها؛ فإن المؤمن محرم المؤمنة، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾»^(١).

وروى الشيخ بإسناده عن موسى القاسم، عن عبد الرحمن، عن صفوان بن مهران نحوه^(٢).

٢- محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام في المرأة تريد الحج ليس معها محرم، هل يصلح لها الحج؟ فقال: «نعم، إذا كانت مأمونة. ورواه الصدوق بإسناده عن هشام مثله»^(٣).

٣- محمد بن الحسن، بإسناده عن موسى بن القاسم، عن صفوان، عن معاوية بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن المرأة تحج إلى مكة بغير ولي؟ فقال: «لا بأس تخرج مع قوم ثقات».

ورواه الصدوق بإسناده عن معاوية بن عمار^(٤).

٤ - وعنه، عن صفوان، عن معاوية بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة تحج بغير ولي؟ قال: «لا بأس، وإن كان لها زوج أو أخ أو ابن أخ فأبوا أن يحجوا بها وليس

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٦٨.

(٢) الطوسي، التهذيب: ج ٥، ص ٤٠١.

(٣) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٢٨٢.

(٤) الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٦٨.

لهم سعة، فلا ينبغي لها أن تقعد، ولا ينبغي لهم أن يمنعوها...»^(١).

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار نحوه^(٢).

٥ - وعنه، عن عبد الرحمن، عن مثنى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المرأة تحج بغير وليها، فقال: «إن كانت مأمونة تحج مع أخيها المسلم، وغيرها»^(٣).

وهذه الروايات تدل على جواز خروج المرأة من دون اصطحابها لشخص من محارمها، وأنها مأمونة ومصونة ما دامت مع أخيها المؤمن، وبذلك أفتى مشهور الفقهاء أيضاً، وهي عامة تشمل الخروج للطاعات الأخرى بهذه الحالة؛ إذ ليس فيها ما يبيِّن خصوصية للحج على غيره.

واليك جملة من كلماتهم:

فى شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام؛ ج ١، ص: ٢٠٤ (الرابعة لا يشترط وجود المحرم في النساء بل يكفي غلبة ظنها بالسلامة...).

ولم يشترطه في المسالك وعلق على الشرائع قائلاً: (المعتبر عدم الخوف على البضع أو العرض بتركه)

وقال فى الجواهر^(٤) معلقاً على الشرائع: بلا خلاف أجده فيه بيننا، لصدق الاستطاعة

(١) الطوسي، التهذيب: ج ٥، ص ٤٠١. وأورد ذيله في الحديث ٣ من الباب ٦٠ من هذه الأبواب.

(٢) الكليني، الكافي: ج ٤، ص ٢٨٢.

(٣) الطوسي، التهذيب: ج ٥، ص ٤٠١.

(٤) جواهر الكلام ج ١٧ ص ٣٣٠.

بعد جواز خروجها مع عدم الخوف نصاً وفتوى بدونه،

وقال السيد الزدي في العروة (مسألة ٨٠): لا يشترط وجود المحرم في حج المرأة إذا كانت مأمونة على نفسها وبضعها، كما دلّت عليه جملة من الأخبار، ولا فرق بين كونها ذات بعل أو لا...^(١)

ووافقه كل المحشين تقريباً في الطبعة التي فيها حاشية (٤١) من الاعلام.

ثانياً: تعاليم النبي ﷺ لكيفية مشي النساء

فقد ذكر صاحب الوسائل أيضاً باباً في مشي النساء مع الرجال في الطريق إلى المسجد، تضمن بعضها الكيفية المثلى لمشيها مع الرجال الأجانب، وإليك بعض هذه الروايات:

عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ليس للنساء من سروات الطريق شيء، ولكنها تمشي في جانب الحائط والطريق»^(٢).

محمد بن علي بن الحسين قال: ذكر النساء عند أبي الحسن عليه السلام فقال: «لا ينبغي للمرأة أن تمشي في وسط الطريق، ولكنها تمشي إلى جانب الحائط»^(٣).

فلم تمنع الروايات النساء من الخروج، ولكن بيّنت أن ليس لهن أن يذهبن في وسط الطريق، بل إن في النص الثاني ورد التعبير بقوله عليه السلام: لا ينبغي. ومعناه أن مشيها في وسط الطريق وإن كان أمراً مرجوحاً وغير محبذ لها إلا أنه جائز، وهذا يدل على جواز خروجهن.

(١) العروة الوثقى كتاب الحج مسألة ٨٠.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ١٨٣.

(٣) المصدر السابق

ثالثاً: الخروج لأجل طلب العلم

فقد صرحت الروايات بأهمية طلب العلم وأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة^(١). ولا إشكال في أن طلب العلم في حالاته الغالبة مشتمل على الاختلاط، ولو على مستوى سماع الصوت من قبل الطالبات للأستاذ أو الخروج لمسافات ذهاباً وإياباً إلى مراكز التعلم.

رابعاً: الخروج لأداء الفرائض والواجبات الكفائية

إن الخروج لممارسة بعض الواجبات الكفائية أو تحصيل مقدماتها - كالطب النسوي والتعليم النسوي وتضميد الجرحى في الحروب وغيرها - من الأمور المتسالم على ضرورتها وبكثرة كاثرة، وهذه التخصصات لا شك في أهميتها، بل إن بعضها داخل في حفظ النظام العام.

خامساً: ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا شك في أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوظائف الإلهية الواجبة على الرجال والنساء، وبمقتضى هذه الوظيفة وما يكتنفها من كلام وأفعال قد يستلزم بعضها الكلام مع الطرف الآخر أو اتخاذ مواقف عملية تجاهه، وهذا قد يستدعي حصول اختلاط بين الجنسين في سبيل تحقيق بعض مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خصوصاً في الأماكن العامة، كالجامعات والأسواق.

فإذا توفرت شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاز أن تتصدى المرأة لذلك، خصوصاً في حالات الضرورة والانحصار.

وأبرز مصاديق التصدي لذلك من النساء هو تصدي الزهراء عليها السلام لأداء الأمر بالمعروف

والوقوف بوجه من غصب الخلافة وخطبت خطبتها الشهيرة بوجه الظالمين.

وما تصدت له الحوراء زينب عليها السلام في الدفاع عن البيت النبوي أيضاً وعن الثورة الحسينية وحقانيتها، فمارست دوراً مهمة في ثورة الامام الحسين الاصلاحية بل اصبحت الشخصية الثانية في حجم انتاج واستمرار الثورة بعد شخصية قائد الثورة الاول الامام الحسين عليه السلام، وكانت القائدة لما بعد الثورة وسطرت مواقفها في التاريخ البشري عندما فضحت السلطة الجائرة بخطة غراء: فقال لها ابن مرجانه: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم واكذب اخذوتكم. «قالت الحمد لله الذي اكرمنا بمحمد عليه السلام وطهرنا تطهيراً ائماً يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا» فقال كيف رايت صنع الله باهل بيتك. «قالت ما رايت الا جميلاً هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج هبلك املك يا ابن مرجانه...»^(١).

وكذلك ما تصدت له العذراء من الدفاع عن نفسها وكرامتها وشرفها عندما اقدمت مع روح الله على قومها.

وكذلك ما تصدت له اسية بنت مزاحم للدفاع عن عقيدتها، فاستحقت ان يضرب بها القرآن مثلاً للمجتمع الايماني برجاله ونسائه، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

فصبرها كان من جهتين:

الأولى: الصبر على ما تحب: وهو الصبر على ترك الرفاه والنعم المادية والجاه العريض

(١) مثير الاحزان ص ٩٠.

(٢) التحريم: ١١.

الدينوي داخل البيت الفرعوني وكونها سيدة مصر الأولى.

الثانية: الصبر على ما تكره: وهو الصبر على العذاب والقتل الذي تعرضت له من قتل الجيروت الفرعوني الذي عذبها أشد التعذيب وربطها على جذوع النخل^(١).

فوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تكتمل إلا بأن يمارسه كلا الجنسين إما منفرداً أو جماعياً إذا اقتضت الضرورة وتوفرت الموازين، وهذا واضح من الآية الشريفة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾^(٢).

الدليل السابع: اجماع الفقهاء.

اجمع الفقهاء على الجواز بل الاستحباب لزيارة النساء الا من شذ وقال بالكراهة الا مع مراعاة بعض الشروط فلا كراهة.

قال المحقق النجفي في جواهر الكلام عارضا استحباب زيارة مطلق القبور وقبور ال البيت: (استحباب زيارة النساء للقبور كما نص عليه بعضهم خلافا للمصنف في المعتبر، فكرهه لهن، بل ظاهره أو صريحه نسبته ذلك فيه إلى أهل العلم، ولكن علله بمنافاته للستر والصيانة، وهو يومي إلى أن كراهته لأمر خارج عنه، وهو حسن مع استلزامه ذلك، وكذا استلزام الجزع وعدم الصبر لقضاء الله، بل ربما يصل إلى حد الحرمة، وأما بدون ذلك فالظاهر الاستحباب للعموم وخصوص بعض الأخبار ومن العجيب دعواه الكراهة حتى بالنسبة إلى زيارة الأئمة عليهم السلام مع كثرة العمومات الدالة على رجحانها المنجبرة بعمل الأصحاب وغير ذلك، فتأمل ذلك، فتأمل جيدا).^(٣)

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢٨ ص ١١٠.

(٢) سورة التوبة - آية ٧١

(٣) جواهر الكلام شرح شرائع الإسلام؛ ج ٤، ص: ٣٢١

فهو قد اعترض واستنكر على صاحب المعتبر تعميمه الكراهة لزيارة مراقدا البيت من قبل النساء لانه منافي للستر، فلو سلمنا قبوله في زيارة القبور فلا نسلم ذلك في زيارة البيت فانها مستحبة مطلقا الا مع خوف ارتكاب الحرام او معرضية الحرمة. الى غير ذلك من الوجوه التي تصلح للاستدلال ورد المنع.

أدلة المانعين لخروج النساء مشياً للزيارة:

إن ما يمكن أن يُستدل به على مانعية زيارة النساء مشياً إلى كربلاء المقدسة هو مجموعة من الأدلة التي يظهر منها - بواسطة عمومها - أنها تمنع النساء من الخروج، وسوف نستعرضها على التوالي، مع ذكر الردود الواردة أو ما يمكن الرد به عليها:

الدليل الأول: ممنوعية خروج النساء مطلقاً

ذكرنا في حديث متقدم - وبشكل مختصر في مقام ذكر الآيات القرآنية - أن هناك آية يظهر منها نهى النساء عن الخروج من بيوتهن بصورة مطلقة، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١).

لو قلنا بمانعية خروج النساء مطلقاً فإن هذا الحكم الكلي سيشمل أيضاً منع خروجهن مشياً إلى كربلاء، خصوصاً إذا كان خروجهن طويل الأمد نسبياً، كما هو حاصل لبعض السائرات، فهل يمكن إثبات دلالتها على المطلوب أو لا ؟

تقريب الاستدلال:

إن الآية تأمر المرأة - من خلال فعل الأمر الذي في صدر الآية - بأن تفر في بيتها،

بمعنى أنها لا تخرج منه مطلقاً، من جهة وتنتهى عن تبرج الجاهلية الأولى؛ فيكون خروجها مشياً إلى الزيارة منافياً للآية الشريفة المانعة من الخروج.

مناقشة الدليل الأول:

لو أخذنا بظاهر الآية المباركة - ومن دون النظر إلى مناسباتها وأسباب وشأن نزولها - لكان الكلام فيها تاماً، إلا أنه لا يمكن الأخذ به لجهات ثلاثة:

الجهة الأولى: من خلال السياق الذي يكتنف الآية المباركة يتبين لنا أن المخاطب بها - صريحاً - هو نساء النبي، وأن هذا الحكم مختص بهن دون غيرهن، أو لا أقل يحتمل ظهورها بذلك، وهذا الاحتمال - الظاهر بظهور جلي جداً - مبطل للاستدلال بها على مانعية خروج باقي النساء.

وتوجد قرينتان على ذلك:

الأولى: وهي قرينة داخلية؛ فإن الآية التي قبلها ظاهرة بأن الخطاب لنساء النبي لخصوصية فيهن؛ وأنهن لسن كباقي النساء من حيث بعض الأحكام، ومنها منعهن عن الخروج ومضاعفة العذاب على مخالفة الله ورسوله، حيث قالت: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(١).

فصريح الآية يبين لنا أن نساء النبي لسن كبقية النساء، بل لهن خصوصيات ميزتهن عن غيرهن؛ وبطبيعة الحال تكون لهن أحكام خاصة بهن.

الثاني: وضوح خروج النساء مطلقاً بمرأى ومسمع من النبي والأئمة، ومن دون أن

يمنع النبي أو يردع عن ذلك، فلو كانت الآية شاملة لمطلق النساء لبان المنع واتضح في عصر النبي والأئمة وسائر العصور الأخرى، وحيث لا يوجد منع من قبلهم فهناك إقرار بذلك.

بل إن هناك تسالماً ووضوحاً بعدم المانعية، ولم يخالف أحد في جواز خروج المرأة تمسكاً بالآية.

وقد مر في الدليل السادس المتقدم موارد لخروج المرأة منصوص عليها في الروايات.

الجهة الثانية: لو سلمنا شمول الآية لمطلق النساء، فهي في صدد المنع من خروج خاص للمرأة، وهو الخروج الذي يشاكل خروج المتبرجات بتبرج الجاهلية الأولى، لا عن مطلق الخروج حتى لو كان خروج طاعة أو إباحة؛ لوضوح جواز الخروج شرعاً للحج وغيره من الطاعات؛ وللعرف المتشرعي القائم على ذلك.

الجهة الثالثة: لو تنازلنا عما تقدم في الجهتين السابقتين فلا أقل من القول: بأن الآية مخصصة أو مقيدة بأدلة خروج المرأة للواجبات والمستحبات كالحج الواجب والعمرة المفردة والطاعات، بل ومطلق ما كان راجحاً، كالكسب الحلال والتعلم والتعليم، ولا شك في أن الخروج للزيارة من أهم الطاعات والشعائر.

وعليه؛ فلا مانع من خروج المرأة من بيتها إذا كانت غير متبرجة، وكان خروجها بإذن زوجها إن كان لها زوج، ولم نجد ممانع من ذلك بين الأعلام فيما لو كان خروجها طبقاً للموازين الشرعية: غير متبرجة، وغير مهتكة، وكانت مأمونة على نفسها.

وعليه؛ فلا بأس بتصدي المرأة للشؤون الإدارية والتربوية والطبية بقيود وشروط ذكرها الفقهاء في محلها، بل إن بعضها داخل في عمومات وإطلاقات أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أُولِيَاءَ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... ﴿١﴾.

الدليل الثاني: المنع من الاختلاط

إن بعضاً من الأمور التي دفعت بالماعين من خروج النساء مشياً لزيارة سيد الشهداء هو ما يذكر من اختلاط مع الرجال، وبما أن الاختلاط ممنوع شرعاً - وقد يوجب سلب الطاعة من عنوانها - فلا بد من الوقوف أمام حصول عمل كهذا.

تقريب الاستدلال:

لقد ورد الدليل على مانعية مطلق الاختلاط في جملة من الأخبار، ومنها خبر غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل العراق، بُنِتْ أَنْ نساءكم يُدافعن الرجال في الطريق، أما تستحون؟!». وبطريق آخر زاد: «لعن الله من لا يغار». وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أما تستحيون ولا تغارون على نسائكم يخرجن إلى الأسواق، ويزاحمن العلوج ^(٢)؟!». ^(٣).

و يؤيد المنع - ما يظهر منه المنع عن حضور النساء صلاتي الجمعة والعيدين - ما رواه محمد بن شريح، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن خروج النساء في العيدين؟ فقال عليه السلام: «لا، إلا العجوز عليها منقلاها» ^(٤) يعني الخفّين.

وموثّق يونس بن يعقوب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن خروج النساء في العيدين

(١) التوبة: آية ٧١.

(٢) يستخدم لفظ العلج في لغة العرب عموماً للدلالة على الغلظة والجفاء.

(٣) الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٥٣٧.

(٤) العامل، وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٢٣٨.

والجمعة ؟ فقال ﷺ: « لا، إلا امرأة مسنة »^(١).

مناقشة الدليل الثاني:

ويرد على هذا الدليل أمور عدة:

أولاً: إن الأدلة المذكورة في البين ظاهرة في الكراهة لا في التحريم؛ ولا أقل من كون إعراض المشهور عن العمل بمضمونها صارفاً لها من الظهور التحريمي إلى الكراهتي.

ثانياً: إن الاختلاط الممنوع هو الاختلاط بكيفية خاصة لا مطلق الاختلاط، أي: لا بدّ من تفسير الاختلاط المذكور بالتداعك والتدافع بين الجنسين الملازم للتصاق ولو من وراء الثياب؛ وهذا ظاهر من التعبير بالمدافعة والمزاحمة الواردين في الروايات، فلو خلت التجمّعات المذكورة من هذه الحالة لسعة الطرق عمّا كانت عليه سابقاً، وتعدّد مسالك الدخول إلى الصالات ومسارات الحركة، والتجمّع في التظاهرات والاعتراضات لم يكره الحضور المذكور، بل ربّما استحبّ إن فرض وجود غرض راجح أو واجب في ذلك، كما في مثل الاجتماع في مناسك الحجّ من سعي وطواف ووقوف بعرفة ورمي جمرات وغير ذلك.

ثالثاً: من المحتمل جداً أن يراد بالاختلاط معنى آخر، وهو المعاشرة والخلاطة للرجال، كما يحصل في المدارس والدوائر الحكوميّة وغيرها بحيث تحصل مخالطة وعلاقة حميمة بين الجنسين، ولعلّ من أفنى بمنع هكذا اختلاط قد حمل الأدلة على الاختلاط الحميمي.

وهذا ما يظهر من بعض الأساطين المعاصرين:

١. السيد أبو القاسم الخوئي

ذكر السيد الخوئي في جوابه على استفتاء موجّه إليه حول جواز العمل للمرأة - طيبة أو ممرّضة - مع استلزام ذلك للاختلاط بالرجال في أيام الدراسة أو العمل قال: «لا يجوز إلا مع الضرورة المبيحة للمحرّمات»^(١).

وفي استفتاء آخر - عن اختلاط الصبيان والبنات في المدارس الحكوميّة التي يتعلّم فيها العلوم الدينيّة - أجاب: «لا يجوز اختلاط الجنسين مع كونهم في سنّ المراهقة»^(٢).

٢. السيد روح الله الخميني

وممن أفتى بذلك أيضاً هو السيد الخميني رحمته الله، ففي إجابة عن سؤال حول عمل المرأة في المؤسسات قال: «لا بأس بالعمل للمرأة مع رعايتها للتكاليف الشرعيّة الثابتة في حقّها، ومنها تجنّب الاختلاط الكثير بالأجنبي»^(٣).

وعلى هذا الأساس؛ تحمل الروايات الناهية عن الاختلاط على الكراهة ما لم تكتنفه بعض المحرمات أو يكون سبباً لخوف الوقوع في الحرام.

ومن بين هذه الروايات الرواية المشهورة عن فاطمة الزهراء عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله: «خير للنساء أن لا يرين الرجال، ولا يراهنّ الرجال»، فقال عليه السلام: «فاطمة مّي».

وما ورد من قول أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الحسن عليه السلام: «... فإن استطعت أن لا يعرفنّ غيرك من الرجال فافعل»^(٤).

(١) الخوئي، صراط النجاة: ج ١، ص ٣٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الخميني، استفتاءات: ج ٣، ص ٣٥٨ (بالفارسيّة).

(٤) الكليني، الكافي: ج ٥، ص ٣٣٧.

فإن هذه الروايات لا تدلّ على أكثر من الكراهة؛ ولربما يكون هذا المعنى هو الذي جعل بعض الفقهاء يفتي - وهو الصحيح - بالجواز مع الوثوق بعدم الوقوع في المفاصد الدينيّة والأخلاقيّة.

وقال السيد الكلبيگاني في جواب استفتاء عن الدراسة في الجامعات المختلطة: «نظام التعليم المختلط ليس إسلامياً، وأضراره الاجتماعيّة والأخلاقيّة وخيمة... لكن يجوز لمن يثق من نفسه عدم تأثير ذلك على تديّنه مشروطاً بصيانة نفسه عن الوقوع في المحرّمات الملازمة لهذا الاختلاط غير المشروع». وهو تام وصناعي جداً.

وعليه؛ فلا مانع من الاختلاط الحاصل في أثناء المشي أو الزيارة قرب المرقد الشريف، ما لم يكتنفه النظر المحرم أو المماسّة، أو الكلام الممنوع أو خوف الوقوع في الحرام.

وعلى فرض وجود بعض الأفعال الصادرة من بعض السائرين والسائرات - التي ربما تكون خاطئة بنظر بعضهم أو هي خاطئة فعلاً - فهو أيضاً لا تمنع من حقانية الطاعة ولا تصيرها ممنوعة كما توهموه، ويمكن أن يستدل لذلك بقاعدة مقتبسة من الروايات والتي مفادها: (لا يترك الحق إذا شابه منكر).

ثم من يقول بمطلق المنع فعليه ان يمنع الاختلاط في كل مرافق الحياة الذي اصبح ضرورة لا بد منها.

فائدتان: قاعدة فقهية وفائدة رجالية.

١. قاعدة فقهية:

تأسيس قاعدة فقهية في المقام: (لا يترك الحق إذا شابه منكر).

مفاد القاعدة:

إن المراد من القاعدة المذكورة في باب الطاعات: (لا يترك الحق لشوبه بالباطل) هو أن وجود بعض الممارسات السلبية في التجمعات العامة التي فيها طاعة - كالحج والعمرة، وصلاة الجماعة أو الجمعة، والأعياد والاحتفالات بالمولد النبوي، أو الزيارات للأئمة الأطهار أو المشي خلف الجنائز أو غيرها - لا يعني ترك تلك التجمعات من راس، والحكم بحرمة الذهاب أو الحضور عندها، وإلى هذه القاعدة يُشير الحديث الشريف التام سنداً ودلالة.

مدرك القاعدة:

ما رواه الكليني في الكافي بسند صحيح: «عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: حضر أبو جعفر عليه السلام جنازة رجل من قريش وأنا معه، وكان فيها عطاء، فصرخت صارخة، فقال عطاء: لتسكتن أو لنرجعن. قال: فلم تسكت، فرجع عطاء، قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: إن عطاء قد رجع. قال: ولم ؟ قلت: صرخت هذه الصارخة، فقال لها: لتسكتن أو لنرجعن. فلم تسكت فرجع، فقال: امض بنا؛ فلو أننا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقض حق مسلم ! قال: فلما صلى على الجنازة قال وليها لأبي جعفر عليه السلام: ارجع مأجوراً رحمك الله؛ فإنك لا تقوى على المشي. فأبى أن يرجع»^(١).

تقريب الاستدلال:

فالملاحظ من هذه الرواية - الصحيحة - هو أن الإمام استمر على ما هو عليه بالرغم من أن المشي خلف الجنازة من الأمور المستحبة، وليس من الواجبة، فلم يتركه لوجود صرخات وأصوات النساء اللاتي يشيعن معهم، مع أن هذه الصرخات كان فيها نحو من

(١) الكليني، الكافي: ج ٣، ص ١٧٢.

الباطل على مستوى الحرمة أو الكراهة بالنسبة للصارخة، بل أكد ذلك صراحةً بقوله: «فلو أنا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركنا له الحق لم نقض حق مسلم»، فوجود هذه الممارسة المحرمة أو المكروهة بالنسبة إلى المرأة الصارخة لا يبرر ترك الطاعات المستحبة فضلاً عن الواجبة، وهذه القاعدة تصح أن تكون دليلاً عاماً يتمسك به في كل الطاعات التي قد يشوبها باطل من بعض الممارسين لتلك الطاعات، كوجود اختلاط أو كلام باطل أو نظر محرم من بعض الحاضرين للآخرين، ولكن هذا الباطل ليس معناه أن تحرم وتمنع هذه المستحبات بالجملة على النساء.

بعض تطبيقاتها:

ومن أبرز الطقوس التي طبق الفقهاء هذه القاعدة فيها هو الحج، كمثال للواجب الذي يشوبه بعض التصرفات من بعض من حضر الحج، وكذلك العمرة الواجبة والمستحبة، وحضور الجمعة والجماعة، والمشي خلف الجنائز ودفن الأموات، وهكذا من الموارد المشابهة، وهو منطبق أيضاً على الحضور الهائل من كل فج عميق في زيارة العتبات المقدسة، سواء كان حال المشي إليها أو حال التواجد قربها كمثال للطاعة المستحبة.

ومن هذه القاعدة يتضح عدم مانية بعض الممارسات الخاطئة التي تصدر من بعض الداهيين شيئاً إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام عن خروج النساء، وتصبح دليلاً ثامناً يضاف إلى أدلة الجواز الماضية.

٢. فائدة رجالية:

في توثيق إبراهيم بن هاشم:

لا اشكال في اعتبار الرواية الماضية الا انها صحيحة بناء على توثيق إبراهيم بن

هاشم او انها حسنة بناء على مدحه لا توثيقه.

والصحيح انه ثقه وفاقا لجملة من الاعلام فنحكم بصحة الرواية.

ادلة توثيقه:

ويمكن الاستدلال على توثيقه بعدة امارات منها:

فانه لم يرد فيه توثيق خاص في كتب الرجالين، وانما ورد مدحه فقط، فمقتضى ذلك تكون رواياته حسنة لا صحيحة كما هو الميزان في علم الرجال.

ولكن الصحيح القول بوثاقته لعدة قرائن نذكرها اجمالاً، منها:

١- توثيق ابن طاووس له في كتابه (فلاح السائل) فقد ادعى الاتفاق على وثاقته^(١) وهذا يستكشف منه أن القدماء من الأصحاب وثقوه ولكن لم يصل إلينا توثيقه.

ولكن الكلام في نفس حجية توثيق ابن طاووس، لانه من العلماء المتأخرين، والحال ان المناطق في التوثيق الصادر من اصحابنا القدماء.

ولكن يجب: اننا وان لم نقبل توثيق ابن طاووس له باعتباره من المتأخرين، الا اننا نقبل نقله الاتفاق على توثيقه وهذا يكفي في اثبات التوثيق، ففرق بين التوثيق وبين نقل التوثيق، فلاحظ.

٢- أن أبنة (علي) يروي عنه في تفسيره، بل أكثر الروايات عن أبيه، فيكون الاب ثقة لان الابن لا يروي في تفسيره الا عن ثقة كما ذكرنا في الرواية الاولى.

٣- قول النجاشي: (ابو اسحاق القمي له كتب، أول من نشر حديث الكوفيين بقم)^(٢)

(١) فلاح السائل، السيد ابن طاووس: ص ١٥٨، الفصل التاسع عشر

(٢) رجال النجاشي، النجاشي: ص ١٨/١٦

والحال أن القميين يتشددون في الرواة وهذا كاشف أنه ثقة وإلا لم يقبلوا رواياته.

- ٤- انه وقع في أسانيد نواذر الحكمة^(١) ولم يستثنيه ابن الوليد، فيكون ثقة بناءً على كبرى توثيق رجال نواذر الحكمة كما حقق في محله من تنقيح رجال الوسائل.
- ٥- انه وقع في أسانيد كتاب (كامل الزيارات)^(٢) بناءً على صحة الكبرى القائلة (أن كل رجال أسانيده ثقات)، كما حقق في محله من كتابي تنقيح رجال الوسائل.

الدليل الثالث: الضرر على الزوج أو الأطفال بخروجها

من الأمور التي يظهر منها منافاة المشي إلى زيارة أبي عبد الله عليه السلام هو وجود الضرر الذي يتسبب على الزوج والأطفال بخروج النساء مشياً، خصوصاً إذا كان من مكان بعيد.

مناقشة الدليل الثالث:

ويرد على هذا الدليل:

١- ليس الضرر بإطلاقه محرماً، وإنما يحرم منه الضرر الشديد أو الإضرار الشديد بالغير.

٢- إن المتتبع للروايات الواردة في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام يرى أن عنوان الضرر قد أخذ في بعضها؛ مما ينتج لنا بأن الضرر الذي يترتب على الأهل أو الأطفال لا يمنع من الاستحباب؛ لأنه نوع إثارة للمصلحة العامة وتقديمتها على المصالح الخاصة؛ لذا وردت الإشادة والمدح للذين آثروا الالتزام بهذه الشعيرة على مصلحة أبنائهم وأزواجهم؛ ففي الرواية التي رواها سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٧، ح ٨

(٢) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص ١٣٦، ب ١٨، ح ٧

قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلاه، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه ويقول: «... واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واضحَبَهُمْ واكْفَهُمْ شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعظمهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم...»^(١).

كما أن هناك عشرات الروايات التي تُبيِّن اكتناف بعض الشعائر بالضرر وبقاء الاستحباب ومضاعفة الأجر، كما في الروايات الدالة على استحباب المشي حال الخوف من الظالم، أو الروايات الدالة على استحباب المشي في الحر أو البرد وغيرها من موارد الضرر.

٣ - إن كثيراً من روايات المشي فيها ظهور يشير إلى أن الذهاب إلى الزيارة مشياً خارج - موضوعاً أو حكماً - من أدلة الضرر، أو ملاحظ فيها الضرر المناسب لهذه العبادة لا مطلق الضرر، على غرار الخروج إلى الجهاد أو الحج؛ لأنه أُخذ في نفسيهما عنوان الضرر، أو لا أقل أُخذ فيهما الضرر المناسب لهما.

٤ - إن المصالح المترتبة على خروج النساء وإبراز هذه الشعيرة أهم من الضرر العادي الذي يقع على الأطفال والزوج.

نعم؛ لو كان الضرر شديداً أو يؤدي إلى الوقوع بالمحرم أو تضييع الحقوق الواجبة فهو مانع من استحباب الزيارة.

كما ان الزوج يمكنه ان يرفع الضرر من خلال نهيهما عن الذهاب.

تتمة:

إن تعظيم الشعائر أهم من بعض الإشكالات أو الأخطاء الشخصية أو الضرر

الشخصي، فإن الحث الوارد على إحياء الشعائر وبالخصوص شعيرة المشي رغم وجود إمكانية الاختلاط وما يكتنفه من سلبيات يفترضها المانع من المشي - كما هو الحالة الطبيعية لكل اختلاط - يشعر بأن الشعائر أهم ملاكاً من الضرر الشخصي أو حصول بعض السلبيات التي هي حالة طبيعية لكل اختلاط، وهذا لا يعني أن نحكم بمبررية هكذا سلبيات أو محرمات، بل هي باقية على حرمتها، وإن مرتكبها ربما يكون قد تحمل وزراً آخر غير وزر المخالفة في بقية الأوقات، ولكن هذا لا يبرر منع هكذا طاعات ذات ملاكات عالية وفوائد معنوية عظيمة بما كسبت أيدي البعض من المخالفات المزعومة، ولعمري ان فوائد الزيارة والمشي لها لمهي من اعظم النعم على المؤمنين والمؤمنات اجرا واصلاحا وتوفيقا وطاعة ومولاة لإل محمد صلوات الله عليهم اجمعين، وهي من اعظم سبل التربية والتمهيد لظهور صاحب الامر كما بينت في بحث مستقل^(١) بل هي من اعظم سبل الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والتربوي والثقافي والسياسي كما فصلت ذلك في بحث مستقل لم ير النور بعد.

النتيجة:

النتيجة هو الحكم باستحباب مشي النساء إلى كربلاء المقدسة وباقي المراكز المطهرة، وترتب الأجر والثواب على هذا المشي، وأنه كمشي الرجال إستحباً واجراً ومشروعياً، سواء كان من مكان قريب او من بعيد - كما هو صريح الروايات - وسواء كانت الذاهبة شابة أو كبيرة في السن تمسكاً باطلاق الروايات العامة والروايات الخاصة والسيرة الجارية واجماع الفقهاء.

نعم، يشترط أن يكون ذلك الخروج طبقاً للموازين الشرعية ومراعياً للحجاب

والستر التام، والابتعاد عن الاختلاط إذا اكتنفته بعض المحرمات، وأخذ إذن الزوج بالنسبة للمتزوجات، وعدم الخروج في حال تحقق أذى أو حصول نهى الوالدين بالنسبة لغير المتزوجات.

والأفضل إن لم يكن واجباً أحياناً مراعاة المرأة للآداب العامة التي تحفظ حشمتها أكثر، كالابتعاد عن الرجال لمسافة، ولبس النقاب - مثلاً - وعدم التكلم بصوت عال، والمحافظة على الوقار والسكينة والمشي بهدوء وتجنب مواطن الشبهات، وإن تسعى المؤمنات جاهدات في إسعاد السيدة الزهراء - كما عبرت الرواية - بزيارة الحسين عليه السلام وهي بتمام وقارها وعفتها والتزامها وإن لا تغضب الزهراء وتحزنها بفعل ما يشين أو يذهب بكرامتها وسمعتها أو ما يعطي مبرراً لنيل الاعداء من تلك الشعيرة المقدسة أو لقيام البعض من التشكيك فيها أو الطعن وبذلك يحقق بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقى الله المؤمنات من مصائد شياطين الجن والانس، ودفع شبهات المشككين والممانعين من صلة البيت عليه السلام وخصوصاً الامام الحسين عليه السلام، هداًنا الله لحب الحسين ولزيارته ورزقنا شفاعته... والحمد لله أولاً وآخراً.

البحث الخامس:

دور الزيارة الاربعية في الاصلاح

المقدمة:

كانت وما زالت الثورة الحسينية ثورة الاصلاح الاكبر لا عند اتباع مذهب اهل البيت عليه السلام بل عند احرار العالم اجمع، فمع مرور ما يقارب (١٤) قرناً ما زالت شعلتها الوقادة تلهب في قلوب المؤمنين خاصة والاحرار عامة، وما زالت التضحية التي رسمها الحسين في عاشوراء هو والده وصحبة تنير درب الثور وتشحذ الهمم في كل بقاع الارض.

فكان الجود بالنفس سمة النصر الحسيني واصبح هذا الدم الطاهر مادة السقاء لشجرة التحرر والفداء والتضحية من اجل العدل والاصلاح والنهوض والإباء.

ومن عظمة هذه الثورة وديموميتها ان ولدت مظاهرها وشعائرها اضافت اصلاحاً وتوعية الى الاصلاح الذي ولدته اصل الثورة، وهذا ما لا نجده في غيرها.

فكان عنصر الخلود والتجدد والمعاصرة مميزة لثورة الحسين عليه السلام كما ورد في الرواية عن جده العظيم: (ان لمقتل ولدي الحسين حرارة في قلوب المومنين لن تنطفئ الى يوم القيامة).

فبعد ان انحرفت الامة عن مسارها اراد الحسين بدمه ومهجته ان يوقظ الامة مما هي عليه. وهذا اشار اليه في مقولته المشهورة: «أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا

وَلَا ظَالِمًا وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبُولِ الْحَقَّ فَالْحَقُّ
أَوَّلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَضْبِرْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ»^(١).

وهذا الاصلاح الذي استهدفه الامام الحسين هو الاصلاح العام الشامل لكل
النواحي سواء كانت دينية او فكرية او ايدولوجية او تربوية او سياسية.

فهو لم يستهدف الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الممارسات الفردية
فحسب كما هو الاكثر شياعا بل استهدف ما هو اكبر واعظم وهو الاصلاح والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الجماعي.

فكما ان هناك منكرافرديا ومعروفا فرديا كذلك هناك منكر جماعي ومعروف جماعي
قد يمارسه جماعة سياسية فيكون منكر سياسي او جماعة اقتصادية فيكون منكر اقتصادي
او جماعة تربوية او فكرية او اعلامية.. الخ.

ونستطيع القول ان العملية الاصلاحية التي كان يستهدفها الحسين ليس اصلاح
الاورضاع في زمانه فحسب بل الاصلاح في كل الازمنة، بل لعل الاصلاح في كل الازمنة
كان هو المستهدف لمعرفة ﷺ ان اهل زمانه غير قابلين للاصلاح كما اشار في خطبته
حيث قال «وَيَلِكُمْ مَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُنْصِتُوا إِلَيَّ فَتَسْمَعُوا قَوْلِي وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ
فَمَنْ أَطَاعَنِي كَانَ مِنَ الْمُرْشِدِينَ وَمَنْ عَصَانِي كَانَ مِنَ الْمُهْلِكِينَ وَكُلُّكُمْ عَاصٍ لِأَمْرِي غَيْرُ
مُسْتَمِعٍ قَوْلِي فَقَدْ مُلِثْتُ بِطُونُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَلِكُمْ أَلَا تُنْصِتُونَ أَلَا
تَسْمَعُونَ»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨.

توطئة:

ان هناك مظاهر عديدة وصور متنوعة للإصلاح في شعائر الحسين عليه السلام منها مظهر الخطابة الحسينية والشعر الحسيني وغيرهما، ولعل الزيارة الحسينية من اهم تلك المظاهر الإصلاحية خصوصا الزيارات المليونية الراجلة.

وانموذجنا في هذه الكلمات زيارة الاربعين المليونية العالمية المباركة، حيث اصبحت تلك الزيارة مظهرا عالميا ورسالة كبرى في الإصلاح بكل نواحيه، وهنا نقف بصورة مختصرة على مفردة الإصلاح فحسب تاركين فوائد الزيارة الاخرى دفعا للاطالة ولكي لا نخرج من هدف البحث.

ونطرح ذلك في محاور هذا مجملها:

الاول: الإصلاح المعنوي والروحي.

الثاني: الإصلاح الاقتصادي.

الثالث: الإصلاح التعبوي.

الرابع: الإصلاح الاجتماعي.

الخامس: الإصلاح الفكري والعلمي.

السادس: الإصلاح الامني.

السابع: الإصلاح الاخلاقي.

الثامن: الإصلاح العسكري.

التاسع: الإصلاح الاعلامي.

العاشر: الإصلاح التكافلي.

الحادي عشر: الإصلاح السياسي.

الثاني عشر: الإصلاح التمريني والتدريبي.

المحور الأول: الإصلاح المعنوي والروحي

من اهم ما يساهم في الإصلاح الفردي والاجتماعي هو بناء شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تؤهله للقيام بوظيفته الشرعية على اتم وجه تجاه ربه ونفسه ومجتمعه، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الاسلامية عموما ولعل اهم تلك الاليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزود بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الانسان قويا عند الشدائد صبورا عند النوائب عزيزا يأبى الذل شجاعا لا يعرف الجبن صادقا لا يكذب امينا لا يخون... الخ.

ومن الآليات المهمة ايضا هو انتهاج السلوك العبادي واتخاذها وسيلة للتقرب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة مثلا لها اثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات، فهي تعطي حصانة للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر^(١) - وهي وسيلة للتقرب للساحة الالهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية - الصلاة قربان كل تقي^(٢) - وهي سبيل للعروج الى الرب - الصلاة ميزان امتي^(٣) - الى غير ذلك من الآثار.

وهكذا الصوم والحج والجهاد واداء الحقوق الشرعية وغيرها كل له اثاره وبناءه لشخصية الانسان المؤمن وتربيتها تربية اسلامية.

وزيارة الاربعين - وبالخصوص مشيا - تمثل ممارسة عبادية متنوعة وطويلة الامد زمانا ومسافة - تشابه الى حد ما موسم الحج من حيث التنوع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة - خصوصا صلاة الجماعة - والتسبيح

(١) العنكبوت ٤٥

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٦٥.

(٣) الجعفریات ص ٣٣.

والوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي - بناء على عباديته كما هو الصحيح - وغيرها.

وهذه الممارسات العبادية المتنوعة تخلق - خصوصاً مع طول امدها واستمراريتها - جوا روحيا عاليا من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات، وخصوصاً المشي مع تحمل المتاعب والحر والبرد وتورم الاقدام وتغير اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف - كما في زمن الطغاة - وغيرها من الصعوبات. وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الايمان كي تكون مؤهلة لممارسة دورها الشرعي.

بعض روايات المشي واجرها:

لذا وردت روايات في المشي واهميته العبادية نذكر منها وهي مستفيضة بل متواترة وفيها الصحاح فلا حاجة لبحث سندها، منها:

١ - عن ابي الصامت قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَحَمَّاهُ اللَّهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ...»^(١).

٢ - عن علي بن ميمون الصائغ عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «يَا عَلِيُّ زُرْ الْحُسَيْنَ وَلَا تَدَعُهُ قَالَ قُلْتُ مَا لِي مَنْ أَتَاهُ مِنَ الثَّوَابِ قَالَ مَنْ أَتَاهُ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَحَمَّاهُ اللَّهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً فَإِذَا أَتَاهُ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَلَا يَكْتُبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ فَإِذَا انْصَرَفَ وَدَعُوهُ وَقَالُوا يَا وَلِيَّ اللَّهِ مَغْفُوراً لَكَ أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا تَرَى النَّارَ بَعَيْنِكَ أَبَداً وَلَا تَرَكَ وَلَا تَطْعُمُكَ أَبَداً»^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ١٣٢

(٢) المصدر السابق.

٣ - عن بشير الدهان عن ابي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةٌ ذُنُوبِهِ - ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُقَدِّسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَإِذَا أَنَا نَاجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ اذْعُنِي أُجِبَكَ اطْلُبْ مِنِّي أُعْطِكَ سَلْنِي حَاجَةً أَقْضِيهَا»^(١).

وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الاجر الرافع للدرجات وهو مما تحتاجه كل مؤمن لتحقيق سعادة الدارين.

المحور الثاني: الاصلاح الاقتصادي

ان القوة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي من اهم مقومات نجاح الامم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية ادارة المال وعدم الاسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يشكل قوامه اقتصادية اخرى.

فالمال والاقتصاد له اهمية في البناء الاجتماعي والفردى ودوره مهم في خلق حياة سعيدة واسرة صالحة وحياة امانة - كونه احد مقوماتها - ولا يعني ذلك انه علة تامة لتلك الامور بل قد يكون وبالا على الانسان اذا لم يحسن التصرف، فهو سلاح ذو حدين.

والقران في اللحظة التي يبين ان المال زينة - المال والبنون زينة الحياة^(٢) - يبين ان المال فتنة - انما اموالكم واولادكم فتنة^(٣) - فهو زينة ومفاد ايجابي اذا صانه ووضعه في موضعه واتخذة وسيلة للأخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وامته الاسلامية وقضى

(١) المصدر السابق.

(٢) الكهف ٤٦.

(٣) الانفال ٢٨.

حوائجهم، وهو فتنة وعذاب اذا ما ضيعه وبذره وجعله وسيلة للدنيا والشهوة والحرام وانتهاك الاعراض وقتل النفوس. وكذلك الروايات بينت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمت المال اذا كان وسيلة للعصيان ووازنت بين النظرتين.^(١)

ومن الممارسات الايجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من ممارسات عبادية في الاربعين وتوظيف القوة المالية في احياء هذه المناسبة - من خلال الصرف المالي على المواكب واطعام الاطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين - تمثل قوة اقتصادية كامنة في الامة الحسينية، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وانما هي تمويل من شعب الحسين لزوار الحسين، وهذا التمويل الهائل ما هو الا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الحسينيون لتحقيق الإصلاح الاقتصادي في الحياة الفردية والاجتماعي

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف بل والصرف الفعلي لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة، خصوصا وان بعض المؤمنين يقاسم زوار الحسين قوت عياله ومونته السنوية لكي ينقذها في موسم الزيارة بل بعضهم - كما سمعت ورأيت بأمر عيني - يبيع بيته او سيارته ويشترى ما هو اقل منهما اذا لم يكف ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا شعب حسيني يؤهلهم لتكوين مجتمع ملتزم وواع يقود الامة الى بر الامان ويبني اقتصادا رصينا يكف حاجة الامة.

المحور الثالث: الإصلاح التعبوي

من المفاهيم المهمة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والانصار هو مفهوم التعبئة وهي قوة شعبية كامنة او ظاهرة لها حضورها في كل نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهتم الوطن

(١) راجع بحار الانوار ج ٦٩ ص ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين اشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.

او المواطن، وهي على انواع فقد تكون تعبئة عسكرية او اعلامية او اجتماعي او غيرها.

ومن اهم انواعها هو التعبئة الاجتماعية وهي تحريك واستنفار المجتمع بكل قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة. ولا بد أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من مدارسهم).

وهذا ما يحصل فعلا في زيارة الاربعين فان هناك تعبئه جماهيرية عامة لتحقيق هدف ديني هام في حياة الفرد والمجتمع.

فمن اهم ما تحتاجه كل دعوة سماوية اكانت ام ارضية هو وجود قوة مُعنوية او مادية او شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع ان تخلق جمهورا واتباعا من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تقدم الولاء والخدمة مجانا وبلا مقابل.

والذي يلاحظ زيارة الاربعين لا يجد اي مجهود في التعبئة الجماهيرية بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير بل كثير من الجماهير ينفق اموالا وجهدا مضاعفا في تلك الايام ويبتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد.

وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظير في كل العالم وهو مفخرة يتميز بها اتباع ال البيت (عليه السلام) وهو من ثمرات الثورة الحسينية الخالدة.

فدور زيارة الاربعين في تعبئة المؤمنين لاي طارئ واضحة وفعالة من خلال الحرارة التي تكونت في قلوبهم بمقتل الحسين (عليه السلام).

المحور الرابع: الاصلاح الاجتماعي

من اهم ما يميز المجتمع الناجح والصالح هو قوة الترابط الاجتماعي بين افراده وعملهم

كخلية النحل الواحدة لإنجاز مهامهم المناطة بهم، مما يساعد على البناء السليم لكل مفاصل الحياة سواء كانت فردية او اجتماعية ويساعد على ان ينال كل فرد فرصته في الحياة.

لذا نجد الروايات اهتمت كثيرة بالترابط الاجتماعي بين كل افراد المجتمع سواء كانوا من الارحام ام لا، ومن هذه الروايات:

عن مرزم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لا بد لكم من الناس إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته والناس لا بد لبعضهم من بعض»^(١)

وعن حبيب الخثعمي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره»^(٢)

وعن زيد الشحام عن ابي عبد الله: «... صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وادي الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسرنى ذلك ويدخل علي منه السرور...»^(٣)

الى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والترابط الاجتماعي^(٤).

وبالمقابل من اهم ما يدمر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزبات وتحوله الى شيع يتلاعب به الظلمة - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥) - وهذه سنة قائمة يتخذها

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣٥.

(٢) المصدر والصفحة

(٣) المصدر ص ٢٣٦

(٤) راجع آداب العشرة في الوسائل او غيرها من الموسوعات الحديثية.

(٥) القصص ٤.

الظالمون لأضعاف المجتمع.

كما ان التنارع سببا واضحا لهدر الطاقات وضياع الفرص والتراجع الفردي والاجتماعي على كل المستويات.

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جو اجتماعي بين افراد مجتمعاتهم بعيدا عن الخلافات والصراعات والشتات والحرص على خلق روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية والاسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الاربعينية يرى قوة الترابط بين افراد الزائرين كبارا وصغارا رجالا ونساء اثرياء وفقراء رؤساء ومروؤسين، فلا تميز بين غني او فقير ولا بين مشهور او مغمور... الخ.

فانكل سواسية بل في بعض الاحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير او المشهور يخدم المغمور او الرئيس يخدم المروؤوس وهكذا.

فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنك تسير في مجتمع ملائكي وهذا البناء انما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة بل بين دولة ودولة بل بين دول ودول وشعوب وشعوب، فان هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكون اواصر ووشائج قوية.

وهذا فضلا عن ان هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الاخرى بسبب حروب او غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العام الحاصل في زيارة الاربعين.

فزيارة الاربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين ابناء بلد ما فحسب بل بين

الشعوب والبلدان الاخرى مما يعزز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولا وشعوبا فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة او اللون او الثقافة او غيرها لخلق مجتمع صالح ومصلح.

ان زيارة الاربعين تلغي الطبقية وتلغي القطرية وتلغي العرقية وتلغي القومية وتلغي العنصرية وتخلق مجتمع مترابط يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي عليه السلام.

فزيارة الاربعين تعمق الوجود التعارفي الذي خلق له الانسان كما عبرت الاية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)

ان زيارة الاربعين فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين امة الايمان ومجال لحوار الحضارات على اسس دينية تدعونا الى الانتظار للامام والاعداد له كل من دولته ولغته وعرقه وقوميته، فيكون ذلك تمهيد ودعوة الى عالمية الامام الحجة عليه السلام أيضا فضلا عن الإصلاح الانبي.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي

ان تحصين الامة فكريا وعلميا من اهم الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات الدينية، ولعل تسويق المعلومة الى الجمهور يعد من اهم المشكلات التي تواجه المبلغ.

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات الى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي وال البيت عليه السلام يرى انهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحج والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية.

لذا كانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجلها التاريخ ونقلتها الاحاديث.

ولعل شعائر الحسين عليه السلام عموما وزيارة الاربعين خصوصا من اهم ما يسوق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الايام.

ان خلق مجتمع متعلم على سبيل النجاة يعد من اهم ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن امير المومنين: (قوام الدين والدنيا باربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم...) ^(١).

ومن جملة البناء الديني المهم في للمومن هو بنائه على كافة الأصعدة عقيدة وفقها واخلاقا وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ تلك العلوم للناس وتعريفهم بتفاصيلها وتحسينهم فكريا ضد الدجالين والمدعين والمشوهين.

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج وتطبيق للدين والتدين، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع - خصوصا اهل التخصص الديني كطلبة العلوم - من خلال المحاضرات والارشادات والنشرات والكتب وغيرها.

المحور السادس: الاصلاح الامني

تشكل الحصانة الامنية للشعوب والدول ركيزة اساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها، لذلك تقاس قوة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوة نظامها الامني العام.

ان التحصين الامني يعد اليوم من اهم مقومات النجاح لاي حركة تريد الاصلاح

والتغيير، وهذا التحصين الامني لا ينفع كثيرا اذا لم يخرج من النظرية الى التطبيق فلا يكتفى بمعرفة البناء الامني والمباني الامنية من دون ان تحول تلك المعرفة الى تطبيق عملي على ارض الواقع.

وال البيت ﷺ جعلوا نظاما امنيا كبيرا - يستحق دراسات مستقلة - في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعل اهم مفاصلة روايات التقية^(١) وروايات كشف الاسرار والاذاعة^(٢)، فهي تؤسس لنظام امني مركز في التعامل العام وكيفية تحصين الامة المؤمنة.

وزيارة الاربعين هي بناء وتدريب امني معمق لعموم المكلفين وبالأخص لأصحاب المسؤولية في المواقب والزيارات.

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأي شخص غريب او غير معرف سواء داخل الموكب او اثناء المسير او ممن يوزع الطعام او غيرها من الخدمات، وحتى من يشتبه به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتى يرفع اللبس عنه ويتبين امره.

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصا من له تجربة عملية مع اصحاب المواقب والخدمات والزائرين، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجهاته وحتى كلامه ومواقفه، ويسهرون الى الصباح للحفاظ على امن الزائر وممتلكاته وحرمته. خصوصا امن الزائرات المؤمنات، لذا ترى ان المرأة تعيش ايام الزيارة حالة من الامن من كل النواحي فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك، وحتى الزائرات الاجنبيات عن العراق يسرن لوحدهن بل احيانا امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف.

(١) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٣.

(٢) المصدر ص ٢٤٧.

وهذا كله بسبب النظام الامني العالي الذي يكتنف الزيارة، وهو يفوق اي نظام امني في العالم وفي اعظم الدول الامنية، فلا تجد مشاكل ولا تعديا ولا غير ذلك وهذا لا يحصل في اعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط.

وفي هذا الصدد نقل لي احد اساتذتي عن احد السياسيين العراقيين ان احد القادة الامنيين الامريكيين رأى زيارة الاربعين - ابان الاحتلال الامريكي للعراق - وان هذا الامريكي كان يقول: (اني اتعجب من الشعور بالأمن طوال زيارة الاربعين وعدم وجود المشاكل بين الزائرين وعدم التعدي على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة، والحال اننا في امريكا لو اصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن او نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعدي والسرقة والخ، ثم قال لي اي شخص ربي هكذا مجتمع ؟ فقلت ان الذي رباه شخص اسمه الحسين).

فهذا البناء العملي الامني يعطينا دروسا عملية تنفعنا كثيرا في مجالات الحياة والإصلاح.

المحور السابع: الإصلاح الاخلاقي

من اهم المبادئ التي ركز عليها التشريع هو خلق ملكات اخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة وارسل ائمة وانباء بمكارم الاخلاق العظيمة عمليا من جهة اخرى.

وزيارة الاربعين تعتبر من الدروس الاخلاقية العملية التي تكون ملكات اخلاقية من جهة وتكشف عمليا عن مستوانا الاخلاقي ودرجته من جهة اخرى.

ففي زيارة الحسين مشيا عدة معطيات اخلاقية نذكرها اجمالا:

١- الصبر: فان الصبر قيمة اخلاقية عالية اكدت عليها الآيات والروايات واليك جملة

منها:

اما الايات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَكُمْ بِشْيَءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١)

اما الروايات: فتمهما:

ما عن أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «... الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْرًا فَاصْبِرُوا وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تَوَجَّرُوا»^(٢)

وعن حَمْرَةَ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ «الْجَنَّةُ مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرُ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَجَهَنَّمَ مَخْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ - فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ»^(٣)

وعن أَبِي سَيَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ «إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتْ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ وَالْبِرُّ مُطْلُوعًا عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلْيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ دُونَكُمْ صَاحِبِكُمْ فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونُهُ»^(٤)

فتبين ان الصبر له قيمة معنوية عالية ولها اجر عظيم واثر بالغ في الدنيا والبرزخ

والاخرة.

(١) البقرة ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٨٩.

(٣) المصدر والصفحة.

(٤) المصدر ص ٩٠.

والمشي في الاربعين وتحمل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب لهو من المصاديق الواضحة للصبر وخصوصا المشي من اماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات. فزيارة الاربعين تعطينا دروسا عملية في الصبر على ما نكره من تحمل الاذى او الجوع او الالم او غيرها والصبر على ما نحب من طاعات.

٢- التواضع: ان سمة التواضع من اهم سمات وفضائل المؤمن، وهي تقع في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع التواضع موضوعا للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الايات: قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

ومن الروايات نذكر رواية واحدة: فى مستدرک الوسائل عن مِصْبَاحِ الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التَّوَّاضُّعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٌ وَنَفِيسٌ وَمَرْتَبَةٌ رَفِيعَةٌ وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَّاضُّعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مَخْفِيَّاتِ الْعَوَاقِبِ وَالتَّوَّاضُّعُ مَا يَكُونُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ وَمَا سِوَاهُ مَكْرُومٌ وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ شَرَّفَهُ اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ وَلِأَهْلِ التَّوَّاضُّعِ سَيِّئَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ وَقَالَ أَيْضًا ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الْآيَةَ وَأَصْلُ التَّوَّاضُّعِ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَيْسَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابُهَا التَّوَّاضُّعُ وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَّاضُّعِ إِلَّا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدًا ﷺ

بِالتَّوَّاضِعِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالتَّوَّاضِعُ مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالتَّخَضُّوعِ وَالتَّخَشُّعِ وَالتَّحِيَّاءِ وَإِنَّهُمْ لَا يَنْبَغْنَ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا وَلَا يَسْلَمُ الشَّوْقُ النَّامُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا لِلْمُتَوَّاضِعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(١)

وفي المشي الى كربلاء يمر المشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة، فقد يبات على فراش غير لائق او يأكل اقل قليل او يمشي في الطرق الوعرة او يخدم غيره من الزوار او يبتدأ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلها من علامات التواضع كما في الرواية، ففي مشكاة الأنوار قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مِنْ رَأْسِ التَّوَّاضِعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ - وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَا تُحِبَّ الْمِدْحَةَ وَالتَّزْكِيَةَ»^(٢).

كما ان ما يقدمه اصحاب الموكب هو من اعظم صور التواضع فيقومون بفرش الفراش للزوار واطعامهم والسهر على خدمتهم وتوفير كل الامور لهم تواضعا لله وخدمة لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان زائر الحسين.

٣- الايثار: من الكمالات التي تكشف عن رقي نفس الانسان اتصافه بالايثار (هو تقديم الطرف الاخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاة له وتقديمه بمادة (مال مثلا) او منفعة او حق من الحقوق)^(٣).

وقد جاءت الايات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الايات: قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

(١) ج ١١ ص ٢٩٨

(٢) الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ص ٢٠٠

(٣) الايثار في النظمه الخلقية (العباس نموذجاً)

الله وَالله رُؤْفٌ بِالْعِبَادِ»^(١)

ومن الروايات: ما عن عَلِيِّ بْنِ سُؤَيْدٍ السَّائِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ «أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ سَكَتَ فَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا دَا بَ يَدَيَّ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْيِي أَنَّ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيهِمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ بِمَا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرَتْ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢)

عن أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ «كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَعَرَّضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الدَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضًا فَرَأَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ يَا أَبَانَ إِنَّا كُرِيدُ هَذَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَادْهَبْ إِلَيْهِ قُلْتُ فَأَقْطَعُ الطَّوْفَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَدَهَبْتُ مَعَهُ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدُ فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَقَالَ يَا أَبَانَ دَعَاهُ لَا تَرَدُّهُ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَلَمْ أَرُ لَ أَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَانَ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَا لَكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي فَقَالَ يَا أَبَانَ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ الْمُؤْتِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْتِرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْتِرْهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النَّصْفِ الْآخِرِ»^(٣)

وفى الاربعين نجد مصاديق الايثار واضحة فان تقديم الاخرين على النفس من اعظم ما يقوم به السائر الى الحسين والخادم في موكب الحسين فيقدم مصلحة الزائر على مصلحة

(١) الحشر ٩.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٨

(٣) المصدر ج ٢ ص ١٧١

نفسه وراحة الزائر على راحة نفسه وينفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله وهكذا، فيتعلم من الزيارة درساً عظيماً وهو الايثار.

٤- التضحية: فان الماشي الى زيارة الحسين يقدم الجهد الجهيد والتضحية بماله او بوقته او بنفسه تضحيته منه لأجل هذه الشريعة وهذا الدين، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية، وقد اشار الامام الصادق الى ذلك في دعائه لهم: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُورَارِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرٍّ نَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا... وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا آتَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ...»^(١)

٥ - العفة: من الصفات التي ركزت عليها الشريعة صفة العفة في البطن والفرج، بل وصفت العفة بانها من افضل العبادات، وجاءت النصوص مبينة لذلك:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ...﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ...﴾^(٣).

ومن الروايات: ما عَنْ الْمُفَضَّلِ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ «إِيَّاكَ وَالسَّفَلَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَّجُهُ وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ وَعَمِلَ لِحَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ»^(٤).

فان الزيارة فيها نحو من انحاء الاختلاط وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان

(١) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢

(٢) المومنون ٥

(٣) الاحزاب ٣٥

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٣٣

واحد، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غض البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي، ومنع النظرات المحرمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الآخر بانه من المحارم كما ورد في الروايات: صحيح صَفْوَانَ الْجَمَّالِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَدْ عَرَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِينِي الْمَرْأَةُ أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِيَّاكُمْ وَوَلَايَتِهَا لَكُمْ لَيْسَ لَهَا مَحْرَمٌ قَالَ «إِذَا جَاءَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةَ فَأَحْمِلْهَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُحْرَمٌ الْمُؤْمِنَةُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾»^(١).

لذا ذهب الفقهاء الى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها كما بينت ذلك في بحث مستقل بعنوان (مشي النساء الى كربلاء)^(٢).

٦ - الشجاعة: فان الزيارة تعلم الانسان الشجاعة في اتخاذ الموقف والصبر على الخوف وقوة الاقدام خصوصا مع المنع للزيارة كما كان يحصل ايام الطاغية. ففهيها توطين للنفس على المواجهة والتعدي للموت والقتل والسجن والتعذيب وما هذا الا صور رائعة من صور الشجاعة والاقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية. لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتى في مثل هكذا محن وشدائد.

منها:

١ - اجر من حبس في طريق الحسين: في الوسائل عن هشام بن سالم قال: قُلْتُ لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ: فَمَا لِمَنْ حُبِسَ فِي إِثْبَانِهِ قَالَ «لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ يُحْبَسُ وَيَعْتَمُ فَرْحَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٤٣٩

(٢) مشي النساء الى كربلاء مجلة الاصلاح الحسيني العدد ٥.

(٣) ج ١٤ ص ٤٤٢

٢ - اجر من ضرب بطريق الحسين عليه السلام: في مستدرك الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق عليه السلام قُلْتُ فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الْحَبْسِ فِي إِيْتَانِهِ قَالَ «لَهُ بِكُلِّ ضَرْبَةٍ حَوْرَاءٌ وَبِكُلِّ وَجَعٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْفُ الْفِ حَسَنَةٌ وَيُمَحَى بِهَا عَنْهُ الْفُ الْفِ سَيِّئَةٌ»^(١)

٣ - اجر من مات في طريق الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «... فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ فَعَسَلَتْهُ وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَوْحُهَا حَتَّى يُنْشَرَ وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ الْبَابُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَجُعِلَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَذُخِرَ ذَلِكَ لَهُ فَإِذَا حُشِرَ قِيلَ لَهُ لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ لَكَ وَذَخَّرَهَا لَكَ عِنْدَهُ»^(٢).

٤ - اجر من قتل في طريق الحسين عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ قَالَ أَنَّهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هَلْ يُرَازُ وَالِدُكَ قَالَ فَقَالَ «نَعَمْ» إِلَى أَنْ قَالَ قُلْتُ فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ قَالَ «أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتُغْسَلُ طَبِئَتُهُ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ وَيَذْهَبَ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَجْنَاسٍ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَيُغْسَلُ قَلْبُهُ وَيُشْرَحَ صَدْرُهُ وَيُمْلَأُ إِيْتَانًا فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تَخَالِطُهُ الْأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ»^(٣)

فان هذه مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والاقدام وعدم التهيب من الاعداء والطلعة فتكون من اهم وسائل الاعداد الجهادي لانصار الامام الحجة عليه السلام.

٧ - الموالاتة والبراءة: من المفاهيم العقائدية التي ركزها ال البيت في نفوس اتباعهم مفهوم الولاء لاولياء الله والبراءة من اعداء الله تعالى، وهو ان تجعل حبك ومودتك وطاعتك

(١) ج ١٠ ص ٢٧٩

(٢) ج ٤٥ ص ١٧٢

(٣) كامل الزيارات ص ١٢٣

لأولياء الله وبغضك وعصيانك لأعداء الله، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي فلا إيمان حقيقي إلا بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول بل لا صحة للعمل - على خلاف - إلا بهما، وهذا ما أشارت له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات: وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾^(١)
 وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ...﴾^(٢)

ومن الروايات: -

عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ «مَنْ أَوْتَقِ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تَحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ وَتُعْطِيَ فِي اللَّهِ وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ»^(٣)
 وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ»^(٤)

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ قَالَ «رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَحِبَّ فِي اللَّهِ وَابْغِضْ فِي اللَّهِ وَوَالِ فِي اللَّهِ وَعَادِ فِي اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ وَقَدْ صَارَتْ مُوَاحَاةُ النَّاسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ وَعَلَيْهَا يَتَبَاغِضُونَ وَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَالَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

(١) المجادلة ٢٢.

(٢) آل عمران ٢٨

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٢٥

(٤) المصدر ص ١٢٧

وَمَنْ وَلِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أُولَاهُ وَمَنْ عَدُوهُ حَتَّى أَعَادِيهِ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ هَذَا فَقَالَ بَلَى قَالَ وَلِيَ هَذَا وَلِيَ اللَّهُ فَوَالِهِ وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ فَعَادِيهِ وَالِ وَلِيَ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَلَوْلِكَ وَعَادِ عَدُوُّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَلَوْلَكَ»^(١)

وزيارة الاربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لإل البيت عليهم السلام والبراءة من اعدائهم وخصوصا اذا اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك مما يعزز العنصرين المهمين في عقيدة الانسان الحققة وعمله المقبول، وهذا التولي والتبري يفعله زوار الحسين من خلال احياء الشئنا التي يمارسوها في شعيرة الاربعين استجابة لامر ال البيت وغاضة لاعدائهم، الروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب عن الصادق: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُورِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرْنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُورًا أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظًا أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُونَا...»^(٢)

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدة امور:

١ - اىصال رسالة الى العالم اجمع باننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه ال البيت عليهم السلام وخصوصا الامام الحسين في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الامة واصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

٢ - اىصال رسالة باننا رافضون للنهج التكفيري والاموي المستبيح للنفوس والاعراض والاموال لاغراض سلطوية ودينية وان هذا النهج لابد ان يحار كي لا يتكرر في التاريخ.

٣ - اىصال رسالة للعالم بان مذهب ال البيت هو مذهب الاعتدال والانسانية والاصلاح وان معيار مولاة اهل طاعة الله وبغض اهل معصية الله وسيلة لاصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمومنين، وان الناس لا تقاس على اساس العرق او اللون او

(١) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣٦.

(٢) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢

القرباة وانما على اساس الايمان والتقوى والولاء لله واوليائه والبراءة من الشيطان واتباعه من الجن والانس.

وغيرها من الرسائل.

٨ - **التدرب على التعايش السلمي مع الآخر:** من اهم الاشكاليات التي تواجه الامم والديانات هو التدرب على التعايش السلمي مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم الغائهم فكريا او معنويا او حتى ماديا، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظمات الدولية وخصوصا الامم المتحدة، وتجعل برامجا لذلك، وتعمل على نفي الصراعات ونشوء حركات وتوجهات تدعوا للقتل والتقاتل كالحركات النازية او الشعوبية او الوهابية او ما تمخض عن ذلك كداعش والقاعدة والنصرة واخوانتهن.

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الآخر وان اختلف معك في المذهب او العرق او الدين على اساس لا تكفير فيه ولا قتل فيها الا اذا بادرك للحرب والحراية او تعدى على مقدساتك ومعتقداتك، بل الاسلام رسم لنا نمطا في التعاطي مع الاعداء فضلا عن غيرهم^(١).

فامير المومنين حدد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك - عهد مالك الاشر - والذي هو برنامج اساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي منه: «أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووإلى الأمر عليك فوقك، والله

فوق من ولّاك...»^(١)

والزيارة بهذه السعة المليونية تعتبر موسما للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات من كل العالم وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية مع التعامل مع الاخر حتى مع اختلافنا معه في اللون او القومية او الثقافة او البلد او المذهب او حتى الدين.

٩ - الغاء الطبقية والتعالي والتكبير: فان من اهم الامراض التي تتسبب بالمجتمعات هو بروز الطبقية بين افرادها مما ينتج التعالي والتكبر واستبعاد الاخرين بسبب السلطة او المال او الجاه، فيحتاج الانسان ما يكسر جموح النفس ويضعف هذه الصفات، ولعل اهم ما يعمل على ذلك هو التعاطي العملي والسيرة العملية مع افراد المجتمع، وموسم الاربعين انما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي، خصوصا ما يمارسه اصحاب المواقب من الغاء الذات والتواضع وتقديم الخدمات بتفاني لكل الناس، فترى الكبير يخدم الصغير والغني يخدم الفقير بل ورب العمل يخدم عماله كما اشرنا في ما مر من نقطتي التواضع والايثار.

١٠ - الشعور بالمسؤولية: ان تحمل المسؤوليات من اهم المقومات لصناعة الانسان وكلما كانت المسؤوليات اكبر كانت الصناعة اقوى لأنها سوف تدخل في كبرى ان الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

فتبرز امامنا مسؤولية عظمى نسال عنها يوم القيامة وهي نعيم ال البيت ﷺ الذي يجب علينا اداء حقه وابرار الصورة الحقيقية لما هم عليه من اخلاق وقيم ومعارف.

ففي رواية المحاسن: «... ذَكَرْتُ الْآيَةَ الَّتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ - ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ لَا إِنَّمَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ»^(٢)

(١) نهج البلاغة عهد مالك الاشتهر.

(٢) المحاسن ج ٢ ص ٤٠٠

في المحاسن عن أَبِي حَمْرَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةً فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَذَازَةً وَطِيباً حَتَّى تَمَلَّيْنَا وَأَتَيْنَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ فَقَالَ رَجُلٌ ﴿لَتَسْتَئَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نَعْمَتُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام «اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيُسَوِّغَكُمْوهُ ثُمَّ يَسْأَلَكُمْ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام» ^(١)

فان هذه الزيارة تدعونا الى تحمل المسؤولية الدينية في ايصال رسالة عامة لكل العالم باننا مجتمع يملك من الصفات والمقومات الحضارية والاجتماعية والتربوية والادارية العالية.

فهي فرصة لبيان الاسلام المحمدي العلوي الناصع من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل بعض عن تخلف الاسلام والمسلمين من خلال عكس صورة لأناس يدعون انتحالهم للإسلام والاسلام براء منهم كبعض الحركات السلفية والوهابية وبعض الدول المتخلفة دينيا وقيما والمتحللة اخلاقيا وتربويا، وان تلك الفئات لا تمثل الاسلام.

المحور الثامن: الاصلاح العسكري

ان المؤسسة العسكرية لا تقاس بقوة تسليحها فقط وانما الاهم فيها هو وجود الموارد البشرية فيها، خصوصا الموارد البشرية الشابة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والاباء.

وزيارة الاربعين لهي من اهم موارد بناء الشباب المهدوي العسكري المقاوم والمضحي، ولعل تجربة مقاومة الاحتلال الامريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في

العراق من اكبر الشواهد على ذلك فان من اهم ما بنى هذه الشخصيات الشابة والمضحية التي تتحدى الصعاب وتواجه اشرس الاعداء مع قلة العدة والعدد هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهراننا والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مقاومة ومجاهدة.

فما سطره الابطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدي، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعباس والاكر و... وتحركاتهم وتطلعاتهم تطلعات مهدوية تائرة تعد لعصر الظهور.

فالتضحية - بالنفس بالمال بالراحة - لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الاسلام ولأجل المقدسات ولأجل العزة انما هي دروس تعلمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين، ربطت بالموعد ومستقبل العالم الذي يقوده الامام المهدي.

فهناك جيش عالمي قد تم اعداده سابقا وخاض التجارب في عدة دول ونجح نجاحات باهرة قد يكون هو نواة من جيش المهدي المنتظر، وزيارة الاربعين هي الرافد الاساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الامر نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: الاصلاح الاعلامي

من العادات الجارية لدى القوى السياسية او غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات او تجمعات او احتفالات او مناورات او غيرها، وذلك لإيصال رسالة الى الآخر بان لنا جماهير ونحن اقوياء من باب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) كل بحسب موقعه وعمله وقدرته.

والمؤمنون لا بد لهم من ذلك ايضا، وما يحصل من تجمع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وبتنظيم ذاتي وبتمويل شخصي لهو اعظم صور الاستعراض الاعلامي للجمهور المومن، فالشعيرة الاربعينية ليست عبادة فردية فحسب بل اصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحج وصلاة الجمعة، وهذا يعطي اهمية كبرى وثراء معنويا وانفجارا اعلاميا يوصل رسالة واضحة للجميع (... باننا حسينيون... باننا ممهدون... باننا مؤمنون... باننا اقوياء... باننا منظمون... باننا متكافلون... باننا مصلحون... وهكذا).

خصوصا اذا عكسنا الصورة التي اراد لنا ال البيت عكسها للإنسانية وان الدين الاسلامي هو الخاتم وان المهدي هو المخلص وانه لا نجاة الا به.
فبيرز لنا امور:

- ١ - تحقيق منجز عددي وان جماهيرنا مليونيه وبتزايد كل عام بحيث لا يسع المكان الجمهور.
 - ٢ - تحقيق منجز نوعي بان جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة ومطبعة لله ورسوله واله.
 - ٣ - تحقيق منجز دولي بان زيارتنا دولية وليست اقليمية او قطرية اذ يأتيها الناس من كل فج عميق.
 - ٤ - تحقيق منجز حضاري باننا منظمون ولا يتعدى بعضنا على بعض طوال ايام الزيارة.
 - ٥ - تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعددة وقوميات متنوعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الاوضاع والشعور بالآخر.
- وهكذا منجزات جعلت الغرب يقول على لسان احد العلماء الغربيين: (لو قدر لقائد ان ينهض بهكذا جماهير لاحتل العالم كله).

المحور العاشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمة في الشخصية الممهدة للظهور وجود روح التكافل والايثار في تلك الشخصية، ومن اهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرب على التكافل ومساعدة الآخرين واثار راحة الآخرين على راحة النفس حتى مع التعب والخصاصة، والمشي في زيارة الاربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث ان الخدمات تقدم مجاناً بلا منة ولا ضجر بل بفرحة وبهجة، ولعل التكافل الذي يقدمه اصحاب المواكب من اعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكل من مشى للزيارة، وكذلك روح الايثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس وهكذا.

والتكافل والايثار له صور:

منها:

التكافل والايثار بالطعام ولو بقيت جائعا.

التكافل والايثار بالمبيت ولو بقيت سهرانا.

التكافل والايثار بالفراش والغطاء.

التكافل والايثار حال الرجوع من خلال اعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفا.

التكافل والايثار بتفضيل راحة الآخرين على راحة النفس.

وهكذا غيرها من الصور.

المحور الحادي عشر: البناء السياسي:

ان زيارة الحسين موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته ومنها المبدأ السياسي وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم وخلق ارادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج على

الظالمين والاستعداد لذلك تحت قيادة الامام الحجة عليه السلام كي يعز الاولياء ويذل الاعداء ويملئها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، كما انها رفض للاتجاه السياسي المستبد وان تلبس بلبوس الدين وادعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية الى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة تحت ذريعة سياسة الامر الواقع ومداهنة الاعداء مما يضيع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكر شعارات الحسين في الثورة كخطابه - «أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا حُرِّمَ اللَّهُ تَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيَّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»^(١) - يكون حافزا كبيرا للاستعداد السياسي والتمهيد السياسي للامام الحجة من خلال نشر الافكار الدالة على ان الامام هو المخلص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تتخلق ارادة سياسية لدى الامة المؤمنة تحفز المومن للالتحاق بالشخصية المنقذة والبراءة من الامة الظالمة والقاتلة والراضية بذلك كما ورد في الزيارة: (لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَذَلَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَعَتْكَ).^(٢)

خصوصا اذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير الى نصره الى البيت وخاتمهم الامام الحجة عليه السلام كما في الزيارة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ مَوْلَايَ وَوَلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُنْتَصَرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ] - وَمَنْ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِإِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».^(٣)

(١) بحار الانوار ج ٧٨ ص ١٢٨

(٢) كامل الزيارات ص ٤٣

(٣) المصدر ص ٤٥

وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ»^(١).

فزيارة الاربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي الذي يأبى الظلم والظيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يداهن المنحرفين والمستبدين وان علوا وتغطرسوا.

المحور الثاني عشر: الاصلاح التمريني والتدريبي

ان الانسان بطبعة يميل الى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب، فاذا مر بصعوبات قد يودي به الى الضعف او الانهيار او ترك المبادي او التخلي عن بعضها، لذا يحتاج الى دورة تدريبية لرفع ذلك.

و موسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات - خصوصا مع البرد القارص او الحر الشديد او الخوف من الظالم كما في عهد النظام المظبور - لهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل انواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه ال البيت عليه السلام.

فالزيارة تمثل مركزا لتدريب المومن للاستعداد والاعداد للإصلاح والتوجه لعصر الظهور فيدخل ذلك في الاعداد للمهدوي والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب، فلا يتفاجئ اذا ما بلي بصعوبة او شدة بل يواجهها بعزم حسييني ومستقبل مهدي.

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمر بها المومن ما هي الا تقوية لصلبه وتمرينا له لمواجهة العدو.

فالزيارة الاربعينية ورشة عمل معمقة لصناعة الشخصية قوية ومدربة.

والنتيجة ان زيارة الاربعين فيها عظيم البركات في كل المستويات المادية والمعنوية، ومن اعظم البركات دور واهمية هذه الزيارة المليونية في الاعداد العملي للإصلاح في كل مستوياته ومحاربة الفساد ومفسدين تطبيقا لمقولة الامام الحسين انما خرجت لطلب الإصلاح... فحري بنا ان نجعل تلك الزيارة منارا لنا في الإصلاح تنظيرا وتطبيقا.

هذا ما اردنا ذكره من محاور وهناك محاور اخرى قد تظهر للمتتبع لم نذكرها دفعا للإطالة.

البحث السادس:

الامام العباس مدرسة الايثار

مُقَدِّمَةٌ؛

من المفاهيم الأخلاقية التي لها الاثر الأكبر في مسار الإنسان الأخلاقي وسيره إلى الله تعالى والتي تنمُّ عن تربية روحية عالية هو التحلي بصفة الإيثار في التعامل العام مع البشرية بل مع المخلوقات ككل.

إنَّ هذه الصفة العظيمة تكشف عن ملكات أخلاقية كامنة في ذات الإنسان أهْلته أن يكون مقدماً غيره على نفسه، ومتخيراً ما هو أصعب وأحزم كي يأخذ غيره ما هو أسهل وألين، ومتخذاً ذلك وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، فهو من نفسه في تعب والناس منه في راحة.

وهذه الصفة الحميدة نابعة من مجموعة فضائل ولاغية لمجموعة ردائل، فهي نابعة من فضيلة الشجاعة والتواضع والعفاف والسخاء والألفة والمحبة وغيرها، ولاغية لرديلة الجبن والتكبر والشهوة والبخل والانفراد والبغض وغيرها.

فلو لم يكن المؤثر شجاعاً لما أثر غيره عليه، ولو لم يكن متواضعاً لما قدّم غيره على نفسه، ولو لم يكن سخياً لما فضّل غيره عليه وهكذا باقي الصفات.

وعلماء النفس الاجتماعي يرون أن هذه الصفة من أعظم صفات الإنسان فهي سلوك

اجتماعي إيجابي يهدف إلى رعاية الآخرين ورفاهيتهم بلا ملاحظة منفعة شخصية.

وفي هذا البحث نقف إجمالاً على مفهوم الإيثار في النظام الأخلاقي لغة وكتاباً وسنة وما هي آثاره ومعطياته، ونطبق ذلك على ما قام به سيدنا العباس عليه السلام من إيثار في واقعة الطف حيث مارسه في أحلك الظروف وأشدّها وأضرّها، بعد أن سدّ العدو جميع الطرق على الإمام الحسين وآله وأصحابه عليهم السلام وبلغت القلوب الحناجر، فبرز الموقف الحقيقي والمعدن الأصيل والعنصر الطاهر الذي كان عليه العباس بن علي عليه السلام، فأثر بنفسه وفداها – والجود بالنفس أعظم غاية الجود – فاستحق بذلك صفة أبي الفضل، وجاد بالجود ولم يشرب الماء – مع شدة عطشه – حتى كان رمزاً للجود.

عرض البحث:

يقع الكلام في أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإيثار في اللغة

قبل الدخول في صلب البحث لابد أن نستعرض بعض كلمات اللغويين لنقف على الحقيقية اللغوية لهذا المصطلح ومن ثم نبين معناه الشرعي من خلال القيود التي تبينها الآيات والروايات:

١ - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري^(١): (وَأَثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي، مِنْ

الإيثار).

٢ - مفردات ألفاظ القرآن^(٢): (والإيثار للتفضل ومنه: أثرته، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ

عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾^(٣) وقال: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(٤) ﴿وَبَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٥).

(١) ج ٢ ص ٥٧٥.

(٢) ص ٦٢.

(٣) الحشر ٩.

(٤) يوسف ٩١.

(٥) الاعلى ١٦.

٣ - لسان العرب^(١): (وَأَثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي: مِنَ الْإِيثَارِ. الْأَصْمَعِيُّ: أَثَرْتُكَ إِشَارًا أَيْ فَضَّلْتُكَ).

٤- التحقيق في كلمات القرآن الكريم^(٢): (... وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْإِيثَارِ: فَهِيَ إِثْبَاتُ الْأَثَرِ وَتَقْدِيمُ مَا لَهُ الْفَضْلُ وَاتِّخَاذُهُ وَاجْتِيَاؤُهُ عَلَى غَيْرِهِ).

المستفاد من كلماتهم هو التالي:

أولاً: إِنَّ الْإِيثَارَ يَأْتِي بِمَعْنَى التَّفْضِيلِ، أَيْ تَفْضِيلُ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ أَوْ شَخْصٍ عَلَى شَخْصٍ.

ثانياً: إِنَّهُ يَأْتِي بِمَعْنَى الْإِخْتِيَارِ بِنَحْوِ التَّعْيِينِ مِنْ بَيْنِ عِدَّةِ خِيَارَاتٍ وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى تَفْضِيلِ الْمُخْتَارِ عَلَى غَيْرِهِ.

ثالثاً: إِنَّ هَذَا الْإِخْتِيَارَ وَالتَّفْضِيلَ الْحَاصِلَ مِنَ الْإِيثَارِ هُوَ أَنْ يَقْدَّمَ الشَّخْصُ شَخْصاً عَلَى آخَرٍ عَلَى نَفْسِهِ أَيْ يُفْضَلُ الْآخَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِرَاعَاةً لِمَصْلَحَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ أَوْ التَّسْهِيلِ عَلَيْهِ.

رابعاً: إِنَّ الْإِيثَارَ قَدْ يَكُونُ مِنْ شَخْصٍ ثَالِثٍ بِأَنْ يَخْتَارَ فَلَانًا عَلَى فَلَانٍ وَيَقْدِّمُهُ وَيُفْضِلُهُ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ فِي اخْتِيَارِ يُوسُفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَخُوتهِ وَتَفْضِيلِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ﴿لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف: ٩١).

وَيَتَحَصَّلُ مِنْ ذَلِكَ:

إِنَّ الْإِيثَارَ: (هُوَ تَقْدِيمُ مَصْلَحَةِ الطَّرَفِ الْآخَرَ وَتَفْضِيلُهُ عَلَى النَّفْسِ مِرَاعَاةً لَهُ وَتَقْدِيمُهُ بِمَادَّةٍ (مَالٍ مَثَلًا) أَوْ مَنْفَعَةٍ أَوْ حَقٍّ مِنَ الْحَقُوقِ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا).

(١) ج ٤ ص ٧.

(٢) ج ١ ص ٣١.

وقد يقيد ذلك التعريف بالتقديم والتفضيل للآخر على النفس مع الحاجة الماسة والحاجة الملحة وهذا هو ظاهر بعض الروايات الآتية وظاهر بعض آخر أنك لا تكون مؤثراً حتى تقاسمه نصف ما تملك وتعطيه من نصفك أيضاً.

كما يأتي بمعنى اختيار أحد الأطراف لأنه أصلح وأنفع كما في اختيار الله تعالى لبعض دون آخر وتفضيلهم على الآخرين أو اختيارنا لفلان دون فلان، وليس هذا المعنى محل كلامنا.

المبحث الثاني: الإيثار في القرآن والسنة:

أولاً: الآيات الكريمة منها:

إنَّ الآيات أشارت إلى الإيثار مرة بلفظه ومرة بمعناه:

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٤).

(١) الحشر الآية ٩

(٢) الحضر الآية ١٠

(٣) البقرة ٢٠٧

(٤) الانسان ٨

وهذه الآيات تبين أنَّ الإيثار له صورة عديدة فقد يكون بالمال (المادة) أو الدعاء أو النفس، فيكون الإيثار في القرآن أوسع دائرة من الإيثار اللغوي أي بما يشمل الأمور المعنوية كالدعاء للآخرين دون النفس أو تقديم الآخرين بالدعاء لهم قبل الدعاء لنفس الشخص. وتتضح الآيات أكثر من خلال بعض الروايات الآتية المفسرة لها.

ثانياً: الإيثار في السنة:

الروايات الواردة في الإيثار كثيرة نذكر بعضها مع تعليق مختصر عليها:

الرواية الأولى: ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(١) بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَمِيلٍ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَنْ غُرِّ أَصْحَابِي قَالَ «هُمْ الْبَارُونَ بِالْإِخْوَانِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ثُمَّ قَالَ يَا جَمِيلُ أَمَا إِنَّ صَاحِبَ الْكَثِيرِ يَهُونُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ صَاحِبَ الْقَلِيلِ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ^(٢).

بيان الرواية:

الرواية الشريفة تبين أنَّ البر بالأخ صورة من صور الإيثار وأنَّ هذا الإيثار يعظم ويكبر إذا كان المؤثر مقلداً وليس بمكثر تطبيقاً للآية الشريفة للإيثار.

الرواية الثانية: عن أَنَسِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لِعَلِيِّ عليه السلام قَالَ: «يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِفْتَارِ وَإِنْصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ الْعِلْمِ لِلْمُتَعَلِّمِ» ^(٣).

(١) وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٢٩

(٢) الحشر الآية ٩

(٣) الخصال ج ١ ص ١٢٥

بيان الرواية:

هذه الرواية تجعل الانفاق عن حاجة (وهو الإيثار) من الصفات الكاشفة عن حقيقة الإيمان والتدين، فالمؤثر غيره على نفسه في الانفاق قد كسب صفة الإيمان حقيقة.

الرواية الثالثة: مَوْثِقَةُ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الرَّجُلِ لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا قُوْتُ يَوْمِهِ أَوْ يَعْطِفُ مَنْ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ عَلَى مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَيَعْطِفُ مَنْ عِنْدَهُ قُوْتُ شَهْرٍ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَالسَّنَةُ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ أَمْ ذَلِكَ كُلُّهُ الْكَفَافُ الَّذِي لَا يُلَامُ عَلَيْهِ فَقَالَ هُوَ أَمْرَانِ أَفْضَلُكُمْ فِيهِ أَحْرَصُكُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالْأَثَرَةِ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ^(١) — وَالْأَمْرُ الْآخَرُ لَا يُلَامُ عَلَى الْكَفَافِ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» ^(٢).

بيان الرواية:

الرواية تخير بين الإيثار مع الحاجة أو الكفاف ولكن تعطي ميزة وفضل للذي يحرص على الإيثار وتقديم غيره على النفس تطبيقاً للآية الشريفة وتقديمها لفضل اليد العليا التي تنفق على اليد السفلى.

الرواية الرابعة: عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ السَّائِيٍّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: «قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ سَكَتَ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قِلَّةَ ذَاتِ يَدِي وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ غُرْبِي أَنَّ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيَهُمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرْتُ عَلَى نَفْسِكَ» ^(٣).

(١) الحشر الآية ٩

(٢) وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣١

(٣) المصدر والصفحة.

بيان الرواية:

في هذه الوصية أمر بالإيثار ولو بلغ الأمر بأن تبقى بثوب واحد حتى لو كان ذلك الثوب قد تصدق به عليك غيرك، وهذا التصديق من باب إيثار غيرك على نفسك.

الرواية الخامسة: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَحَدِهِمَا عليه السلام قَالَ: «قُلْتُ لَهُ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ جُهِدُ الْمُقْلِ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١) - تَرَى هَاهُنَا فَضْلًا»^(٢).

بيان الرواية:

إنَّ جهد المقل - كما في النهاية وغيرها أي قدر ما يحتمله حال القليل المال - وهو افضل الصدقة ولعل علة افضليته لأنه اتفاق بإيثار بل هو الإيثار المالي بعينه.

الرواية السادسة: عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت: (أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن؟ فقال: «يا أبان، دعه لا ترده»). قلت: بلى جعلت فداك، فلم أزل اردد عليه، فقال: «يا أبان، تقاسمه شطر مالك» ثم نظر إلي فرأى ما دخلني، فقال: «يا أبان، ألم تعلم أن الله عز وجل قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟» قلت: بلى جعلت فداك فقال: «إذا قاسمته، فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما إذا أعطيته من النصف الآخر»^(٣).

بيان الرواية:

وهذا الرواية تضيف مقياسا للإيثار لم تشر اليه الآيات والروايات ولا اللغة وهو أنَّ الإيثار لا يصدق إلا بأن تعطي نصف ما عندك وزيادة، فلو كنت تملك الف دينار واعطيت نصفه فقط فانك منفق وليست مؤثراً حتى تعطي نصفك او بعض نصفك فتكون مؤثراً.

(١) الحشر الآية ٩

(٢) وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣٢.

(٣) المصدر ص ٤٢٧.

الرواية السابعة: الشيخ في (أماليه) باسناده حدثنا عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا الرجل الليلة» ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنا له يا رسول الله، فأتى فاطمة عليها السلام فقال لها: «ما عندك يا ابنة رسول الله ؟» فقالت: «ما عندنا إلا قوت الصبية، لكننا نؤثر ضيفنا». فقال علي عليه السلام: «يا ابنة محمد، نومي الصبية، وأطفئي المصباح» فلما أصبح علي عليه السلام غدا على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

بيان الرواية:

هذه الرواية تبين الحال التي كان يعيشها النبي الاعظم ﷺ من الفقر المدقع مواساة للأمة في فقرها وتقديراً لنفسه بضعة الناس كيلا يتبغ بالفقر فقره، وتبين سبب نزول آية الإيثار وانها نزلت في علي وآل علي عليه السلام بعد أن أثروا غيرهم بكل ما يملكون من طعام وأناموا صبيبتهم جوعاً لكي تشبع بطون الفقراء، وهنا نقول لأنفسنا أين نحن من علي وآل علي عليه السلام ؟

الرواية الثامنة: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «أوتي رسول الله ﷺ بهال وحلل، وأصحابه حوله جلوس، فقسمه عليهم حتى لم يبق منه حلة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين وكان غائباً، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أيكم يعطي هذا نصيبه ويؤثره على نفسه ؟ فسمعه علي عليه السلام فقال: نصيبي. فأعطاه إياه، فأخذه رسول الله ﷺ فأعطاه الرجل، ثم قال: يا علي، إن الله جعلك سباقاً للخير^(٢)، سخاء بنفسك عن

(١) المصدر ص ٤٦٢.

(٢) في المصدر: للخيرات.

المال، أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، والظلمة هم الذين يحسدونك ويبغون عليك ويمنعونك حَقَّك بعدي»^(١).

بيان الرواية:

وهذه الرواية تبين أيضاً ما يتميز به أمير المؤمنين عن كل الباقيين من إشارته غيره على نفسه، وفيها بيان لعظيم منزلته التي خصه الله بها من بين الباقيين.

الرواية التاسعة: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إن رسول الله ﷺ كان جالسا ذات يوم وأصحابه جلوس حوله، فجاء علي عليه السلام وعليه سمل ثوب متخرق عن بعض جسده، فجلس قريباً من رسول الله ﷺ، فنظر إليه ساعة ثم قرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾». ثم قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أما إنك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيدهم وإمامهم. ثم قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أين حلتك التي كسوتكها يا علي؟ فقال: يا رسول الله، إن بعض أصحابك أتاني يشتكي عريه وعري أهل بيته، فرحمته وآثرته بها على نفسي، وعرفت أن الله سيكسوني خيراً منها، فقال رسول الله ﷺ: صدقت أما إن جبرئيل قد أتاني يحدثني أن الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلة خضراء من إستبرق، وصنفتها من ياقوت وزبرجد، فنعم الجواز جواز ربك بسخاوة نفسك وصبرك على شملتك هذه المنخرقة، فأبشر يا علي. فانصرف علي عليه السلام فرحاً مستبشراً بما أخبره به رسول الله ﷺ»^(٢).

بيان الرواية:

هذه الرواية تحكي إثار علي عليه السلام في حوادث متكررة فكانت هذه الصفة من الصفات

(١) بحار الانوار ج ٣٦ ص ٦٠.

(٢) المصدر والصفحة.

التي امتاز بها - وكل صفاته جميلة - وتسلط الضوء على ما للمؤثر من فضل عظيم وجزاء أُخروي جزيل جزاء بما اعطى وبذل.

الرواية العاشرة: قَالَتْ عَائِشَةُ: «مَا شَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةً حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَلَوْ شَاءَ لَشَبَعَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ»^(١).

بيان الرواية:

هذه الرواية تبين إِثَار رسول الله ﷺ بماله وطعامه وما يملك للفقراء بحيث أَنَّ الإِثَار أصبح سمة غالبية لكل حياته من اولها الى آخرها فلم تستهوه الدنيا بالرغم من أَنَّهُ سَيِّد الخلق، فكان كما عبَّر الأمير ﷺ: «قَضِمَ الدُّنْيَا قَضِمًا وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا وَأَخْصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا عَرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا... وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْفَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ»^(٢)، وهذا مما جعل الرسول الاعظم ﷺ هو أعظم الخلق أجمع فلا يدانية نبي مرسل ولا ملك مقرب وهذا ما نطقت به الرواية الآتية:

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ مُوسَى ﷺ: «يَا رَبِّ ارْنِي دَرَجَاتِ مُحَمَّدٍ وَأُمِّتِهِ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أُرِيكَ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِهِ جَلِيلَةً عَظِيمَةً فَضَّلْتُهُ بِهَا عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ فَكَشَفَ لَهُ عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ فَنَظَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ كَادَتْ تَنَلُّفُ نَفْسُهُ مِنْ أَنْوَارِهَا وَقُرْبِهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ يَا رَبِّ بِنَا ذَا بَلَغْتُهُ إِلَى هَذِهِ الْكَرَامَةِ قَالَ بِخُلُقِي اخْتَصَصْتُهُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُوَ الْإِثَار يَا مُوسَى لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدْ عَمِلَ بِهِ وَقَتًا مِنْ عُمْرٍ إِلَّا اسْتَحْيَيْتُ مِنْ مُحَاسِنَتِهِ وَبَوَّأْتُهُ مِنْ جَنَّتِي حَيْثُ يَسَاءُ»^(٣).

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٢ .

(٢) نهج البلاغة.

(٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٣

لذا كان علي عليه السلام سيّد الإيثار بعد النبي صلى الله عليه وآله فما تردد أن يوتر حتى بحياته لأجل الإسلام ونبي السلام، وهذا ما استفاد نقله عن الرواة والمورخين: «وَبَاتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ إِنِّي آخِثُ بَيْنَكُمَا وَجَعَلْتُ عُمُرَ الْوَاحِدِ مِنْكُمَا أَطْوَلَ مِنْ عُمُرِ الْآخَرِ فَابْكُمَا يُؤَثِّرُ صَاحِبُهُ بِالْحَيَاةِ فَاخْتَارَ كِلَاهُمَا الْحَيَاةَ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمَا أَوْفَلَا كُنْتُمَا مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِثُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَبَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ يَفْدِيهِ بِنَفْسِهِ فَيُؤَثِّرُهُ بِالْحَيَاةِ اهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ فَاحْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَكَانَ جَبْرِئِيلُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَمِيكَائِيلُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَجَبْرِئِيلُ يُنَادِي بَخْ بَخْ مَنْ مِثْلُكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ يُبَاهِي اللَّهُ بِكَ الْمَلَائِكَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ»^(١).

فكان الإيثار السمة الأبرز عند آل البيت عليهم السلام وفي حياتهم عشرات بل مئات الحوادث التي أثروا بها الآخرين على أنفسهم، ولم يقتصر الإيثار على الدائرة الأولى (النبي والزهاء والائمة الاثني عشر) بل تعدى إلى أبنائهم وبناتهم، ولعل العباس عليه السلام أبرزهم إيثاراً وسنقف على صورة من إيثاره في مبحث لاحق.

المبحث الثالث : أثر الإيثار في منظومة الأخلاق؛

إنَّ تكوين منظومة الأخلاق عند الفرد المؤمن تعد من أهم ما يقع على عاتقه، فالأخلاق مع العقيدة والفقه تشكل البنى الأساسية للفرد والتي بدونها لا يكون مومنًا حقيقياً، فلا بد من عقيدة حقة وسلوك مستقيم طبقاً لمنظومة الفقه والأخلاق.

والإيثار يعد من أهم الفضائل التي تشكل منظومة الاخلاق والسلوكيات وتحفز للعلو بالدرجات ونيل المكرمات، وهذا ما بينته الروايات، منها ما مر وما سيأتي.

ولعل أبرزها ما يلي:

الأول: ان الإيثار من أعظم ما يرفع درجه الإنسان عند ربه وان أكثرنا إيثاراً أكثرنا درجة عند الله، لذا كان النبي الأعظم ﷺ وعلي عليه السلام هم أعظم الخلق أجمعين لأنهم أشد الخلق إيثاراً كما اتضح من روايات سابقة، لذا ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام «الإيثار أعلى المكارم»^(١) و«الإيثار أشرف الكرم»^(٢)

الثاني: إنَّ الإيثار من أعلى درجات التعبد لله تعالى، لذا ورد في الرواية «الإيثار أفضلُ

(١) على بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (لليثي).

(٢) على بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (لليثي).

عِبَادَةٌ وَأَجَلٌ سَيَادَةٌ^(١)

الثالث: إِنَّ الإِثَارَ كَاشَفٌ عَن دَرَجَةِ الْإِيْمَانِ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْأَشَدَّ إِثَارًا أَشَدَّ إِيمَانًا، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي الرِّوَايَاتِ، مِنْهَا: «الْإِثَارُ أَعْلَى الْإِيْمَانِ»^(٢).

الرابع: إِنَّ الإِثَارَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْجَمِيعُ، لِذَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَةِ: «أَيُّمَا أَمْرٍ اسْتَهَمَى شَهْوَةٌ فَرَدَّ شَهْوَتُهُ وَآثَرَ عَلَى نَفْسِهِ غُفِرَ لَهُ».

الخامس: إِنَّ الْمَكَارِمَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِأَسْبَابٍ وَمِنْ أَسْبَابِهَا هُوَ الْإِثَارُ، لِذَا وَرَدَ: «لَا يَكْمُلُ الْمَكَارِمُ إِلَّا بِالْعَفَافِ وَالْإِثَارِ»^(٣).

السادس: إِنَّ الإِثَارَ عَمَلٌ تُتَالِ بِهِ الْجَنَّةُ كَمَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ مِنْهَا: مَا فِي تَفْسِيرِ الصَّافِي^(٤) قَالَ: «وَفِي الْمَجْمَعِ اشْتَرَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْبًا فَأَعْجَبَهُ فَتَصَدَّقَ بِهِ وَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ أَثَرَ عَلَى نَفْسِهِ آثَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْجَنَّةِ وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَجَعَلَهُ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ كَانَ الْعِبَادُ يَكْفَتُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَا أَكُفِّكَ الْيَوْمَ بِالْجَنَّةِ»^(٥).

وَفِي الْكَافِي^(٦) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَنَّةٌ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثَلَاثَةُ رَجُلٍ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْحَقِّ وَرَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ وَرَجُلٌ أَثَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ».

السابع: لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُتَوَكِّلًا بِحَقِّ إِلَّا بِالْإِثَارِ:

(١) عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَيُونُ الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظُ (لِلثِّي).

(٢) فِي الْغُرَرِ ٩٥١: الْإِحْسَانُ.

(٣) عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَيُونُ الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظُ (لِلثِّي).

(٤) ج ١ ص ٣٥٥.

(٥) مُحَمَّدٌ مَحْسَنٌ بْنُ شَاهٍ مُرْتَضَى، تَفْسِيرُ الصَّافِي.

(٦) ج ٣ ص ١٧٨.

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «أَنَّهُ رَأَى يَوْمًا جَمَاعَةً فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ مَتَوَكِّلُونَ فَقَالَ مَا بَلَغَ بِكُمْ تَوَكُّلَكُمْ قَالُوا إِذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا وَإِذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا فَقَالَ عليه السلام هَكَذَا يَفْعَلُ الْكِلَابُ عِنْدَنَا فَقَالُوا كَيْفَ نَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ كَمَا نَفْعَلُهُ إِذَا فَقَدْنَا شَكَرْنَا وَإِذَا وَجَدْنَا أَثَرْنَا»^(١).

الثامن: من كان مؤثراً كان مودياً لحقوق المؤمنين:

في مستدرك الوسائل عن سبط الشَّيْخِ الطَّبْرِسِيِّ فِي مِشْكَاةِ الْأَنْوَارِ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «أَنَّهُ سُئِلَ مَا أَذْنَى حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ قَالَ أَنْ لَا يَسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ»^(٢).

التاسع: إِنَّ الْإِيثَارَ مِنْ صِفَاتِ الْأَبْرَارِ.

فِي مُسْتَدْرِكِ الْوَسَائِلِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ التَّحَمُّلَ عَلَى الْأَبْرَارِ فِي كِتَابِ اللَّهِ قِيلَ وَمَا التَّحَمُّلُ قَالَ إِذَا كَانَ وَجْهَكَ أَثَرٌ مِنْ وَجْهِهِ التَّمَسَّتْ لَهُ وَقَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَقَالَ لَا تَسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْكَ»^(٣).

هذه بعض آثار الإيثار ولعل المتتبع يجد آثاراً أخرى من خلال استقراء تام للنصوص.

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٧ ص ٢١٧.

(٢) مستدرك الوسائل ج ٧ ص ٢١٢.

(٣) المصدر.

المبحث الرابع: العباس ؑ مدرسة الإيثاري واقعة الطف؛

من أبرز شخصيات واقعة الطف بعد الإمام الحسين ؑ هي شخصية أبي الفضل العباس ؑ بالرغم من وجود شخصيات فذة وكبيرة، فكان بحق وزير الحسين في مشروع كربلاء، وهذا التميز لم يكن نابعاً من كون العباس أخاً للحسين فقط بل لتمييز العباس بصفات قل نظيرها جعلته بهذا التميز وهذه الصفات كما عبر بعض اساتذتنا: (اصطفائية وليس عصبية عشائرية بشرية عرقية عنصرية)^(١).

فكان شجاعاً قوياً صلب الإرادة نافذ البصيرة، كما وصفه الإمام الصادق ؑ فقد روى أبو عمر البخاري عن المفضل بن عمر، أنه قال: قال الصادق ؑ: (كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً)^(٢).

ولكن يبقى هناك شيء كان له الأثر الأوضح في هذا التميز، ألا وهي صفة الإيثار حيث أثر بنفسه وبشبابه وبأخوته وبعطشه، ففدى بنفسه نفس الحسين ؑ وبعطشه عطش الحسين ؑ... فكان مدرسة للإيثار تتعلم منه الأجيال دروساً وعبراً.

فإن الإيثار له أصناف ودرجات فقد يؤثر الانسان بالدعاء والعبادة بأن يُقدّم الدعاء

(١) الشيخ الاستاذ محمد السند في كتابه الدائرة الاصطفائية الثانية.

(٢) شرح الاخبار ج ٣ ص ١٩١.

للناس على الدعاء للنفس كما كان دأبُ الزهراء عليها السلام، أو يؤثر الآخرين بالمال كما ذكرنا ذلك في الروايات المتقدمة، ومنها الإيثار بالنفس كما فعل أبو الفضل العباس عليه السلام.

والإيثار بالنفس يعد من أعلى درجات الإيثار والوجود كما عبر الشاعر:

يجود بالنفس إذ ظنَّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
فالعباس عليه السلام جاد عدة مرات، جادَ على نفسه إذ لم يشرب الماء لأنَّه تذكَّر عطش الحسين كما سنذكر، وجادَ بنفسه عندما نزل للمعركة فداءً للحسين.

وبالرغم من وجود من أثر بنفسه في كربلاء كما دلَّت كلماتهم وهذه جملة من كلماتهم:

أولاً: كلمة أهل بيته والتي يقولون فيها: لِمَ نفعل لنبقى بعدك لا أَرانا الله ذلك أبداً.

ثانياً: كلمة بني عقيل والتي يقولون فيها: لا والله لا نفعل تقديك أنفُسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد مورديك فقتِّحَ الله العيش بعدك.

ثالثاً: كلمة مسلم بن عوسجة والتي يقول فيها: أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي، ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفُتُّهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

رابعاً: كلمة سعد بن عبد الله الحنفي والتي يقول فيها: والله لو علمتُ أني أُقتلُ ثم أحيا ثم أُحرقُ حيّاً ثم أُذرُّ يُفعلُ ذلك بي سبعين مرةً ما فارقْتُك حتى ألقى جِمامي دونك، فكيف لا أفل ذلك وإنما هي قتلةٌ واحدةٌ ثم هي الكرامة لا انقضاء لها أبداً.

خامساً: كلمة زهير بن القين والتي يقول فيها: والله لوددت أني قُتلتُ ثم نُشرتُ ثم قُتلتُ حتى أُقتلَ كذا ألف قتلةٍ وأن الله يدفعُ بذلك القتل عن نفسك وعن أنفُس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

سادساً: كلمة جماعة من أصحابه والتي يقولون فيها: والله لا نُفارقُكَ، ولكن أنفُسنا لك الفداء تقيك نحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قُتلنا كُنّا وفينا وقضينا ما علينا.

سابعاً: كلمة بشر الحضرمي والتي يقول فيها: أكلتني السباعُ حياً إن فارقْتُكَ.

ثامناً: كلمة نافع بن هلال والتي يقول فيها: ثكلتني أمي، إن سيفي بألفٍ وفرسي مثله، فو الله الذي مَنَّ بِكَ عَلَيَّ لا فارقْتُكَ حتى يَكُلا من فري وجري.

تاسعاً: كلمة القاسم بن الحسن عليه السلام لما قال له الحسين عليه السلام يا بني كيف الموت عندك ؟ قال: يا عم فيك أحلى من العسل.

وغيرها من كلماتهم.

ولكن يبقى العباس هو الأكثر إثارةً بينهم.

وإليك جُملة من الروايات الدالة على عظيم إثاره وتضحيته:

وقد نقلت الروايات هذا المعنى بالسن عديدة، نذكر منها:

اللسان الأول: ما ورد فيها كلمة إيثار ومواساة نصاً:

الرواية الأولى في الخصال: عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي صَفِيَّةٍ ^(١) قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام : «رَحِمَ اللهُ الْعَبَّاسَ - يَعْنِي ابْنَ عَلِيٍّ - فَلَقَدْ أَثَّرَ وَأَبْلَى وَفَدَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ فَأَبْدَلَهُ اللهُ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا جَعَلَ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْزِلَةً يَغِطُّهَا بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢).

هذه الرواية واضحة في عظيم إيثار العباس عليه السلام وهي صادرة من شاهد حاضر في

(١) هو أبو حمزة الثمالي - بضم المثناة و اسم أبيه دينار، كوفي مات في خلافة المنصور.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال - ج ١ ص ٤٨

واقعة الطف تحكي لنا قصة إيثار وفداء قام العباس بتسطير حروفها على رمضاء كربلاء كتب فيها فداءه للحسين عليه السلام بنفسه، فحصل بذلك على مرتبة يغطه عليها كل الشهداء، وهذا النص يعطي منزلة للعباس عليه السلام لم تعط لكل الشهداء، وهذا واضح لأن الإيثار الذي قدمه لم يقدمه غيره، وقد بينا سابقاً أن الإيثار كلما كان أكبر كانت المنزلة أعظم والمقام أعلى.

فقد وقى نفس الحسين بنفسه كما نقل عنه مرتجراً:

نفسي لنفس الطاهر الطاهر وقا

الرواية الثانية: قال السيد ابن طاووس في الإقبال بالأعمال الحسنة: (فصل (١٤) فيما نذكره من زيارة الشهداء في يوم عاشوراء، رويناهما بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي عليه السلام قال: حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش، قال: حدثني الشيخ الصالح أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي عليه السلام، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي عليه السلام، وكنت حديث السنّ، وكتبت استأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج إليّ منه ^(١): «... السّلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المؤاسي أخاه بنفسه، الأخذ لغيره من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يده، لعن الله قاتليه ^(٢) يزيد بن الرقاد الحنفي ^(٣) وحكيم بن الطفيل الطائي...» ^(٤).

فالزيارة المهدوية لعمه العباس تبين مقدار ما أثر به في واقعة الطف حيث قدم نفسه فداءً للحسين عليه السلام ولم يشرب الماء مع مكنته منه سعياً لأن يشرب الحسين وآل

(١) ابن طاووس، على بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة ج ٣ ص ٧٣

(٢) (٦) قاتله (خ ل).

(٣) (٧) في البحار: الجهني.

(٤) ابن طاووس، على بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة.

الحسين عليه السلام قبله رغم عظيم عطشه.

وقد نُسبَ لأبي الفضل العباس عليه السلام شعراً بذلك.

ففي شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليه السلام^(١): (فهزم القوم ودخل المشرعة وأراد أن يشرب الماء، فذكر عطش الحسين عليه السلام فصب الماء من يده، ولم يشرب، وملاً القربة وخرج منها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني من بعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون و تشربين بارداً المعين
هيهات ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

اللسان الثاني: ما ورد من تعابير دالة على الإيثار في الزيارة الواردة في حقه:

فقد وردت مجموعة عبارات في زيارته تشير أو تشعر بالفداء العظيم والإيثار الواضح لأخيه الحسين عليه السلام، منها:

العبارة الأولى: إيثار طاعة الله ورسوله وآله وخصوص الحسين على طاعة نفسه وهواها:

ففي كتاب المزار - (للمفيد)^(٢): «وَقُلِّ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ».

العبارة الثانية: إيثار الجهاد على الراحة، والمناصحة على الخيانة، من خلال إبراز عنصر الولاء لآل الله والبراءة من أعداء الله.

ففي كتاب المزار: «أُشْهِدُ اللَّهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمَجَاهِدُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ الذَّاكِرُونَ عَنْ أَحِبَّائِهِ»^(١).

العبارة الثالث: المبالغة في النصيحة واعطاء غاية المجهود وترك الراحة والدعة إشاراً منه لأخيه الحسين ونصيحة لله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، وهذه النصرة والمبالغة في النصيحة لم تكن في امر يسير بل في اعظم مشروع ديني يحفظ الاسلام حتى ظهور القائم، فهو ﷺ لم يبذل المجهود بل أعطى غاية المجهود.

ففي كتاب المزار: «أَشْهَدُ أَنْكَ قَدْ بَالِغْتَ فِي النَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ الْمَجْهُودِ.. أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَأَخِيكَ فَنِعْمَ الْأَخُ الْمُوَاسِي»^(٢).

العبارة الرابعة: إيثار الدفاع عن الأخ والتضحية بالنفس لأجل بقائه وإيثار نصرته والدفاع عنه في أحنك الظروف ولو كلف ذلك الحياة.

ففي كتاب المزار: «فَنِعْمَ الصَّابِرُ الْمُجَاهِدُ الْمُحَامِي النَّاصِرُ وَالْأَخُ الدَّافِعُ عَنْ أَخِي»^(٣).

تتمة:

إيثار العباس في بعض الأشعار:

قد كتبت في سيدنا العباس ﷺ آلاف الأبيات من الأشعار قديماً وحديثاً وثقت بطولاته وتضحياته ومن هذه الأشعار ما وثقت إيثاره الذي هو محل كلامنا، نذكر منها نماذج:

النموذج الأول:

ما جاء في شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ﷺ^(١):

(١) المصدر والصفحة.

(٢) الصفحة.

(٣) ص ١٢٤.

إني لأذكر العباس موقفه
يحمي الحسين ويسقيه على ظما
بكربلاء وهام القوم تختلف
ولا يولي ولا يثني ولا يقف

النموذج الثاني:

وقال شاعر آخر^(٢):

بذلت يا عباس نفسا نفيسة
أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه
فأنت أخو السبطين في يوم مفخر
بنصر حسين عزّ بالنصر من قبل
فحسن فعال المرء فرع من الاصل
وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

النموذج الثالث:

وقال شاعر ثالث^(٣):

أحق الناس أن يبكى عليه
أخوه وابن والده علي
و من واساه لا يثنيه شيء
إذا ابكى الحسين بكربلاء
أبو الفضل المضرج بالدماء
وجاء له على عطش بماء

النموذج الرابع:

حتى حوى بحرهما الطامي فراثهم
فكفّ كفّاً من الورد المباح وفي
والمجاري ببحر من الهندي ملتظم
أحشائه ضرم ناهيك من ضرم

(١) ج ٣ ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وهل ترى صادقاً دعوى إخوته روى حشاً وأخوه في الهجير ظمي
 حتى ملا مطمئن الجاش قربته ثم أنثنى مستهلاً قاصد الحرم
 إلى غيرها من مئات القصائد وآلاف الأبيات.

والنتيجة:

إنَّ الإيثار صفة سامية وخصلة حميدة تدلُّ على علوِّ مقام صاحبها وارتفاع منزلته وتكشف عن وجود ملكات أخلاقية أهَّلتَه أنْ يحصل على هذه الصفة فلا يرى لماله أو منفعه أو نفسه قيمة إذا ما جازَّ له أنْ يؤثر الآخرين بها ويقدمهم على مصالحه ونفسه.

وقد مثلَّ ذلك كله سيدنا العباس عليه السلام - في واقعة الطف - عندما جادَ بكل ما يملك دفاعاً عن أخيه الحسين عليه السلام عن عقل وبصيرة ودين وكان بحق الشخصية الثانية بعد إمامه الحسين عليه السلام في واقعة الطف، فكان حامل اللواء والمواسي للعيال والنساء والمفدي روحه لسيد الشهداء عليه السلام، فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

البحث السابع :
دور زيارة الاربعين
في صناعة الشخصية المهدوية

دور الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية

مقدمة:

من أهم الارصدة المعنوية الماضية التي يمتلكها اتباع مذهب آل البيت عليه السلام هو وجود امام تائر عندهم، كانت وما زالت ثورته نبراس الثورات وتضحيتة ام التضحيات وحرارة مقتله من اشد المهيجات، فتولد لديهم بركة ثورته ما لم يتولد عند غيرهم وهو عنصر الاصلاح لا لمصلحة دنيوية ولو كلف ذلك الحياة، وان الذلة لا وجود لها في صفحة الحياة... ايماننا منهم بتضحياته وبكلماته... والتي منها:

«ما اخرجت اشرا ولا بطرا وانما لطلب الاصلاح...»^(١)

«... هيهات منا الذلة...»^(٢)

«... لا اعطي بيدي اعطاء الذليل ولا اقر لكم اقرار العبيد...»^(٣)

«... مثلي لا يبايع لمثله...»^(٤)

(١) مثير الاحزان: ص ٤.

(٢) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٠٠.

(٣) بحار الانوار: ج ٤٥ ص ٧.

(٤) مثير الاحزان: ص ٢٤.

ومن الارصدة المعنوية المستقبلية التي يمتلكها اتباع مذهب آل البيت عليهم السلام الايمان بالأمام الغائب المنقذ الذي يملؤها قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا، وانه امامهم الثاني عشر وهذا الايمان هو مما يحفزهم على العمل الجاد في التمهيد لظهوره والاستعداد للانخراط تحت قيادته والانتظار لفرجه.

فان الانتظار للامام المنقذ عليه السلام من اهم المحفزات على العمل الديني والاجتماعي والاعداد لذلك من اهم الطاعات.

فبين تراث الماضي وامل المستقبل تكون الحاضر الإيماني والتعبوي لدى اتباع الحق وتولدت حالة معنوية عالية تمخض منها عدة فعاليات وعبادات وتحركات.

منها: الروح الجهادية والقتالية التي يمتلكها اتباع دون غيرهم ونموذج الحشد الشعبي شاهد على ذلك، وهذا يحتاج الى افراد ابحاث مستقلة للوقوف على هذه الظاهرة.

ومنها: عدم الانصياع للحكومات الظالمة وعدم الارتباط بها من كل النواحي.

ومنها: الاستقلالية في ادارة المذهب فكريا واقتصاديا وعدم الارتباط باي اجنده.

وغيرها العشرات.

ومن هذه الفعاليات العبادية المهمة فعالية الزيارة الاربعينية المقدسة، فهذه الفعالية تميزت بربط الماضي الحسيني بالمستقبل المهدي لتوليد حاضر يفرض علينا واقعا يجعلنا ننظم انفسنا من كل النواحي استعدادا وتمهيدا لدولة الحق.

فالذي يطالع على وقائع زيارة الاربعين وما يراه من تجمهر عشرات الملايين زمانا ومكانا وبلغات وقوميات وتوجهات شتى - يجمعهم رجل واحد اسمه الحسين عليه السلام وينادون بنداء واحد هو اللهم عجل لوليک الفرج وسهل له المخرج - يرى بوضوح ان تلك الزيارة من اهم ممهّدات الظهور.

وفي هذا البحث المختصر نقف على اهم تلك المعطيات التي لها دور في الظهور، وسنغض النظر عن ما للزيارة من اهمية واضحة ومعطيات جمة في شتى المجالات، لان هدفنا هو التركيز على هذه المفردة العظيمة وهو دور الاربعين في التمهيد للظهور وصناعة الشخصية المهدوية.

فالتمهيد وانتظار الفرج اهم المفردات التي تشغل ذهن البشرية المؤمنة، فالعمل عليه ومعرفة ما يقرب الظهور ويرفع الموانع من اهم العبادات في الغيبة كما ورد في الروايات افضل الاعمال انتظار الفرج، ففي الإمامة والتبصرة من الحيرة: «ان النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمَالٍ أُمْتِي أَنْتَظَرُ الْفَرَجَ، وَلَا يَزَالُ شَبَعْتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَلَدِي الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مِلْتُ ظُلُمًا وَجَوْرًا»^(١).

ولكن ليس كل انتظار هو ممدوح وانما الانتظار مع الايمان والعمل الجاد في التمهيد للإمام ﷺ والعمل طبقا لمراد الشريعة لا الانتظار مع الخمول والياس وارتكاب المحرمات والتسليم للظلم والظالمين.

وهناك جملة من الاعمال تمهد للظهور وترفع بعض موانعه وهي تقع على عاتق المؤمنين، منها اكمال عدة (٣١٣)^(٢) الذين يشكلون النواة القيادية الاولى حول الامام ﷺ ومنها الدعاء له بالفرج وغيرها، ففي الرواية: «فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرُهُ»^(٣)، فظاهر الرواية ان اجتماع العدة (٣١٣) شرط لإظهار امره.

(١) ابن بابويه، على بن حسين، الإمامة و التبصرة من الحيرة ص ٢١.

(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر؛ ص ٢٨١ ما روي عن ال البيت ﷺ متواترا في ان عدة اصحاب الامام الحجة (٣١٣): منها ما روي: (... يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَيْتٍ ثَلَاثِيَّةٍ وَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرُهُ فَإِذَا أَكْمَلَ لَهُ الْعَقْدَ وَ هِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [الْأَف] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى (...).

(٣) المصدر السابق. وقد بحثت ذلك في بحث مستقل قد يطبع لاحقا.

ومن جملة الممهدات والمريات لمجتمع الظهور هي زيارة الاربعين لما لها من ابعاد مختلفة وعديدة، نحاول التركيز عليها وبيانها وتطويرها والدفع بالمؤمنين نحو جعلها من الطرق العبادية التي يتمسك بها لبناء شخصية الظهور.

ونطرح دور الاربعين في البناء للظهور في محاور هذا مجملها:

- الاول: البناء المعنوي والروحي.
- الثاني: البناء الاقتصادي.
- الثالث: البناء التعبوي.
- الرابع: البناء الاجتماعي.
- الخامس: البناء الفكري والعلمي.
- السادس: البناء الامني.
- السابع: البناء الاخلاقي.
- الثامن: المحور العسكري.
- التاسع: المحور الاعلامي.
- العاشر: المحور التمريني والتدريبي.
- الحادي عشر: المحور التكافلي.
- الثاني عشر: البناء السياسي.

تفصيل المحاور:

المحور الأول: البناء المعنوي والروحي

من أهم ما يساهم في التمهيد للظهور هو بناء شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تؤهله لنصرة القيام المهدوي، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً ولعل أهم تلك الآليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزود بالعلم والمعرفة وغيرها، وبناء هكذا شخصية يجعل الانسان قويا عند الشدائد صبوراً عند النوائب عزيزاً يابى الذل شجاعاً لا يعرف الجبن صادقاً لا يكذب اميناً لا يخون... الخ.

ومن الآليات المهمة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي واتخاذها وسيلة للتقرب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل، فالصلاة مثلاً لها اثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات، فهي تعطي حصانة للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر – ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر^(١) – وهي وسيلة للتقرب للساحة الالهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية – الصلاة قربان كل تقي^(٢) – وهي سبيل للعروج الى الرب – الصلاة

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٦٥.

ميزان امتي^(١) - الى غير ذلك من الاثار.

وهكذا الصوم والحج والجهاد واداء الحقوق الشرعية وغيرها كل له اثاره وبناءه لشخصية الانسان المومن وتربيتها تربية اسلامية.

وزيارة الاربعين - وبالخصوص مشيا - تمثل ممارسة عبادية متنوعة وطويلة الامد زمانا ومسافة - تشابه الى حد ما موسم الحج من حيث التنوع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة - وخصوصا صلاة الجماعة - والتسبيح والوعظ والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي - بناء على عباديته - وغيرها.

وهذه الممارسات العبادية المتنوعة تخلق - خصوصا مع طول امدها واستمراريتها - جوا روحيا عاليا من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات، وخصوصا المشي مع تحمل المتاعب والحر والبرد وتورم الاقدام وتغير اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف - كما في زمن الطغاة - وغيرها من الصعوبات.

وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الايمان كي تكون مؤهلة ومستعدة لنصرة الامام الحجة عليه السلام مما يوفر احد مقتضيات تعجيل الظهور وهو وجود الموارد البشرية الناضجة والمستعدة استعدادا حقا لنصرة المنقذ سواء من عدة (٣١٣) او من عدة (١٠٠٠٠) كما نطقت الروايات، منها: «... فَإِذَا أُكْمِلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [أَلْفٍ] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(٢)، فاكمال العدة يمثل احد المقتضيات المهمة للظهور، فلا يبقى الا بعض المقتضيات الاخرى وزوال المانع.

(١) الجعفریات: ص ٣٣.

(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر ص ٢٨١

بعض روايات المشي وأجرها:

لذا وردت روايات في المشي واهميته العبادية نذكر منها وهي مستفيضة بل متواترة وفيها الصحاح فلا حاجة لبحث سندها، منها:

١ - عن ابي الصامت قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا شِئاً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ فَحَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ الْفَ سَيِّئَةً وَرَفَعَ لَهُ الْفَ دَرَجَةً...»^(١).

٢ - عن علي بن ميمون الصائغ عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «يَا عَلِيُّ زُرِ الْحُسَيْنَ وَلَا تَدَعُهُ قَالَ قُلْتُ مَا لِمَنْ أَتَاهُ مِنَ النَّوَابِ قَالَ مَنْ أَتَاهُ مَا شِئاً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ فَحَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً وَرَفَعَ لَهُ دَرَجَةً فَإِذَا أَتَاهُ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ مَلَكَئِينَ يَكْتَبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَلَا يَكْتَبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ فَإِذَا انْصَرَفَ وَدَعُوهُ وَقَالُوا يَا وَلِيَّ اللَّهِ مَغْفُوراً لَكَ أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا تَرَى النَّارَ بِعَيْنِكَ أَبَداً وَلَا تَرَكَ وَلَا تَطْعُمَكَ أَبَداً»^(٢).

٣ - عن بشير الدهان عن ابي عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةٌ ذُنُوبِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُقَدِّسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَإِذَا أَتَاهُ نَاجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ اذْعُنِي أُجِبَكَ اطْلُبْ مِنِّي أُعْطِكَ سَلْنِي حَاجَةً أَقْضِيهَا»^(٣).

وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل

(١) كامل الزيارات ص ١٣٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الاجر الرافع للدرجات وهو مما تحتاجه الشخصية الممهدة للامام الحجة عليه السلام خصوصاً مع اقتران الزيارة بالدعاء بالفرج من قبل هذا الزائر الذي يقول له الله تعالى - كما في الرواية الماضية - (ادعني اجبك...).

المحور الثاني: البناء الاقتصادي

ان القوة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي من اهم مقومات نجاح الامم والحركات بعد الموارد البشرية، وكذلك معرفة كيفية ادارة المال وعدم الاسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يشكل قوامة اقتصادية اخرى.

فالمال والاقتصاد له اهمية في البناء الاجتماعي والفردى ودوره مهم في خلق حياة سعيدة واسرة صالحة وحياة امنة - كونه احد مقوماتها - ولا يعني ذلك انه علة تامة لتلك الامور بل قد يكون وبالا على الانسان اذا لم يحسن التصرف، فهو سلاح ذو حدين.

والقران في اللحظة التي يبين ان المال زينة - المال والبنون زينة الحياة^(١) - يبين ان المال فتنة - انما اموالكم واولادكم فتنة^(٢) - فهو زينة ومفاد ايجابى اذا صانه ووضع في موضعه واتخذ وسيلة للأخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وامته الاسلامية وقضى حوائجهم، وهو فتنة وعذاب اذا ما ضيعه وبذره وجعله وسيلة للدنيا والشهوة والحرام وانتهاك الاعراض وقتل النفوس. وكذلك الروايات بينت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمت المال اذا كان وسيلة للعصيان ووازنت بين النظرتين^(٣).

ومن الممارسات الايجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) الانفال: ٢٨.

(٣) راجع (بحار الانوار) ج ٦٩ ص ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين اشكالية كون المال فتنة وكونه زينة.

ممارسات عبادية في الاربعين وتوظيف القوة المالية في احياء هذه المناسبة — من خلال الصرف المالي على المواكب واطعام الاطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين — وهذا ما يمثل قوة اقتصادية كامنة في الامة الحسينية التي هي امة الامام المهدي عليه السلام وناصرته، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وانما هي تمويل من شعب الحسين لزوار الحسين عليه السلام، وهذا التمويل الهائل ما هو إلا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الممهدون للظهور وثقافة متقنة على الصرف والبذل في سبيل الدين وانجاح الثورة المهدوية.

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف بل والصرف الفعلي لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة، فاذا كان عصر الظهور فلا يجد المؤمن حرجا في الصرف المالي بعد ان مارس الصرف لعشرات السنين على جمهور الحسين عليه السلام.

خصوصا وان بعض المؤمنين يقاسم زوار الحسين عليه السلام قوت عياله وموته السنوية لكي ينفقها في موسم الزيارة بل بعضهم — كما سمعت ورأيت بأمر عيني — يبيع بيته او سيارته ويشترى ما هو اقل منهما اذا لم يكف ما جمعه للموسم.

فهكذا عمل يصدر من هكذا شعب حسيني يؤهلهم لتكوين مجتمع مهدوي يقود الامة الى بر الامان ويبني اقتصادا رصينا يكف حاجة الامة.

المحور الثالث: البناء التعبوي

من المفاهيم المهمة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والانصار هو مفهوم التعبئة وهي قوة شعبية كامنة او ظاهرة لها حضورها في كل نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهتم الوطن او المواطن، وهي على انواع فقد تكون تعبئة عسكرية او اعلامية او اجتماعي او غيرها.

ومن اهم انواعها هو التعبئة الاجتماعية وهي تحريك واستنفار المجتمع بكل قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة. ولا بد أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من مدارسهم).

وهذا ما يحصل فعلا في زيارة الاربعين فان هناك تعبئه جماهيرية عامة لتحقيق هدف ديني هام في حياة الفرد والمجتمع.

فمن اهم ما تحتاجه كل دعوة سماوية اكانت ام ارضية هو وجود قوة معنوية او مادية او شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع ان تخلق جمهورا واتباعا من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تقدم الولاء والخدمة مجانا وبلا مقابل.

والذي يلاحظ زيارة الاربعين لا يجد اي مجهود في التعبئة الجماهيرية بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير بل كثير من الجماهير ينفق اموالا وجهدا مضاعفا في تلك الايام ويبتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد.

وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظير في كل العالم وهو مفخرة يتميز بها اتباع ال البيت (عليه السلام) وهو من ثمرات الثورة الحسينية الخالدة.

وهذه التعبئة الجماهيرية في الزيارة انما هي صورة من صور التعبئة للإمام المهدي (عجل الله فرجه) حال قيامه بالثورة العالمية المباركة.

فالجمهور الحسيني معاً للحركة المهدوية ومستعدا لها على احسن ما يكون، فلا نحتاج ان نعد برامجاً تعبويه كثيرة لأجل الحركة المهدوية – من هذه الجهة – لانها معدة اعدادا واضحا وبخبرة تمتد مئات السنين، نعم نحتاج الى برامج مهدوية اخرى من جهات اخرى.

فدور زيارة الاربعين في تعبئة المؤمنين تعبئة مهذوية واضحة وفعالة من خلال الحرارة التي تكونت في قلوبهم بمقتل الحسين عليه السلام.

المحور الرابع: البناء الاجتماعي

من أهم ما يميز المجتمع الناجح والصالح هو قوة الترابط الاجتماعي بين افراده وعملهم كخلية النحل الواحدة لإنجاز مهامهم المناطة بهم، مما يساعد على البناء السليم لكل مفاصل الحياة سواء كانت فردية او اجتماعية ويساعد على ان ينال كل فرد فرصته في الحياة.

لذا نجد الروايات اهتمت كثيرة بالترابط الاجتماعي بين كل افراد المجتمع سواء كانوا من الارحام أم لا، ومن هذه الروايات:

عن مرارم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لا بد لكم من الناس إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته والناس لا بد لبعضهم من بعض»^(١).

وعن حبيب الخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره»^(٢).

وعن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام: «... صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وادي الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسري ذلك ويدخل علي منه السرور...»^(٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٣٥.

(٢) المصدر والصفحة.

(٣) المصدر ص ٢٣٦.

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والترابط الاجتماعي^(١).

وبالمقابل من اهم ما يدمر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزبات وتحوله الى شيع يتلاعب به الظلمة - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) - وهذه سنة قائمة يتخذها الظالمون لأضعاف المجتمع.

كما ان التنازع سبباً واضحاً لهدر الطاقات وضياع الفرص والتراجع الفردي والاجتماعي على كل المستويات.

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جو اجتماعي بين افراد مجتمعاتهم بعيدا عن الخلافات والصراعات والشتات والحرص على خلق روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية والاسرية.

والذي يلاحظ الزيارة الاربعينية يرى قوة الترابط بين افراد الزائرين كبارا وصغارا رجالا ونساء اثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميز بين غني او فقير ولا بين مشهور او مغمور... الخ.

فالكل سواسية بل في بعض الاحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير او المشهور يخدم المغمور او الرئيس يخدم المرؤوس وهكذا.

فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنك تسير في مجتمع ملائكي وهذا البناء انما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة.

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة بل بين دولة ودولة بل بين دول ودول

(١) راجع (آداب العشرة في الوسائل) أو غيرها من الموسوعات الحديثة.

(٢) القصص: ٤.

وشعوب وشعوب، فان هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكون اواصر ووشائج قوية.

وهذا فضلا عن ان هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الاخرى بسبب حروب او غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العام الحاصل في زيارة الاربعين.

فزيارة الاربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين ابناء بلد ما فحسب بل بين الشعوب والبلدان الاخرى مما يعزز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولا وشعوبا فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة او اللون او الثقافة او غيرها لخلق مجتمع مهدوي منسجم فيما بينه مما يسهم في الظهور.

ان زيارة الاربعين تلغي الطبقية وتلغي القطرية وتلغي العرقية وتلغي القومية وتلغي العنصرية وتخلق مجتمع مترابط يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي عليه السلام.

فزيارة الاربعين تعمق الوجود التعارفي الذي خلق له الانسان كما عبرت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

ان زيارة الاربعين فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين امة الايمان ومجال لحوار الحضارات على اسس دينية تدعونا الى الانتظار للإمام والاعداد له كل من دولته ولغته وعرقه وقوميته، فيكون ذلك تمهيد ودعوة الى عالمية الامام الحجة عليه السلام.

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي

ان تحصين الامة فكريا وعلميا من اهم الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات

الدينية، ولعل تسويق المعلومة الى الجمهور يعد من اهم المشكلات التي تواجه المبلغ.

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات الى الجمهور، والمتابع لسيرة النبي وال البيت ﷺ يرى انهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحج والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية.

لذا كانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجلها التاريخ ونقلتها الاحاديث.

ولعل شعائر الحسين ﷺ عموما وزيارة الاربعين خصوصا من اهم ما يسوق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الايام.

ان خلق مجتمع متعلم على سبيل النجاة يعد من أهم ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع بل هو قوام للدين والدنيا، كما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ: «قوام الدين والدنيا بأربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستكف ان يتعلم...»^(١).

ومن جملة البناء الديني المهم في عقيدة المومن هو بنائه مهذوبا وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ القضية المهدوية للناس وتعريفهم بتفاصيلها وتحسينهم فكريا ضد الدجالين والمدعين والمشوهين.

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج لقضية الامام المهدي ﷺ، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع - خصوصا اهل التخصص بالقضية المهدوية - من خلال المحاضرات والارشادات والنشرات والكتب وغيرها.

فالزيارة فرصة كبيرة لتسويق القضية المهدوية للعالم ككل وتوعية الجماهير بها

والتركيز على عنصر الانتظار والاستعداد للظهور وبناء الدولة العالمية الالهية المنقذة لكل الشعوب المظلومة.

ومن نماذج ذلك:

أولاً: العمل على ازالة الشبهات التي تثار حول قضية الامام المهدي عليه السلام كولاته وطول عمره وفائدته في زمن الغيبة وارهاسات ظهوره وغيرها.

ثانياً: رد الشبهات المعاصرة كشبهة ابن كويطع وغيره بطرق علمية مبسطة.

ثالثاً: تشخيص القضايا المهدوية المهمة وبيانها للمجتمع بطرق سهلة ومناسبة.

وبتم ذلك من خلال:

١. عقد الندوات والبرامج المهدوية في وسائل الاعلام وخصوصا المرئية.
 ٢. اجراء المسابقات العامة للاستكتاب في قضايا معاصرة تخص القضية المهدوية.
 ٣. اجراء المسابقات العامة بين المؤمنين من خلال طرح اسئلة والاجابة عنها.
 ٤. الكتابة بالصحف والمجلات العامة وخصوصا المجالات العالمية وبلغات مختلفة لإيصال القضية المهدوية للعالم.
 ٥. ارسال المبلغين المتخصصين الى المجتمع لتبليغ القضية المهدوية واستثمار المواسم العامة لذلك.
 ٦. حث الخطباء عموما وخطباء المنبر الحسيني خصوصا على طرح القضية المهدوية وكتابة محاضرات تخصصية لهم في ذلك.
 ٧. انشاء مراكز تخصصية علمية وبحثية في الامام المهدي عليه السلام وابعاد حركته.
 ٨. انشاء مؤسسات تهتم بإقامة فعاليات ميدانية وكشافة ومخيمات ودورات للجامعيين وطلاب المدارس تعرفهم بالأمام المهدي وحركته.
- وغيرها من الوسائل ^(١).

المحور السادس: البناء الامني

تشكل الحصانة الامنية للشعوب والدول ركيزة اساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها، لذلك تقاس قوة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوة نظامها الامني العام.

ان التحصين الامني يعد اليوم من اهم مقومات النجاح لأي حركة تريد الاصلاح والتغيير، وهذا التحصين الامني لا ينفع كثيرا اذا لم يخرج من النظرية الى التطبيق فلا يكتفى بمعرفة البناء الامني والمباني الامنية من دون ان تحول تلك المعرفة الى تطبيق عملي على ارض الواقع.

وآل البيت عليهم السلام جعلوا نظاما امنيا كبيرا - يستحق دراسات مستقلة - في كيفية التعامل مع الصديق والعدو، ولعل اهم مفصلة روايات التقية^(١) وروايات كشف الاسرار والاذاعة^(٢)، فهي تؤسس لنظام امني مركز في التعامل العام وكيفية تحصين الامة المؤمنة.

وزيارة الاربعين هي بناء وتدريب امني معمق لعموم المكلفين وبالأخص لأصحاب المسؤولية في المواكب والزيرة.

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأي شخص غريب او غير معرف سواء داخل الموكب او اثناء المسير او ممن يوزع الطعام او غيرها من الخدمات، وحتى من يشته به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتى يرفع اللبس عنه ويتبين امره.

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصا من له تجربة عملية مع اصحاب المواكب والخدمات والزائرين، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجهاته وحتى

(١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٠٣.

(٢) المصدر ص ٢٤٧.

كلامه ومواقفه، ويسهرون الى الصباح للحفاظ على امن الزائر وممتلكاته وحرمته. خصوصا امن الزائرات المؤمنات، لذا ترى ان المرأة تعيش ايام الزيارة حالة من الامن من كل النواحي فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك، وحتى الزائرات الاجنبيات عن العراق يسرن لوحدهن بل احيانا امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف.

وهذا كله بسبب النظام الامني العالي الذي يكتنف الزيارة، وهو يفوق اي نظام امني في العالم وفي اعظم الدول الامنية، فلا تجد مشاكل ولا تعديا ولا غير ذلك وهذا لا يحصل في اعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط.

وفي هذا الصدد نقل لي احد اساتذتي عن احد السياسيين العراقيين ان احد القادة الامنيين الامريكيين رأى زيارة الاربعين – ابان الاحتلال الامريكي للعراق – وان هذا الامريكي كان يقول: (اني اتعجب من الشعور بالامن طوال زيارة الاربعين وعدم وجود المشاكل بين الزائرين وعدم التعدي على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة، والحال اننا في امريكا لو اصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن او نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعدي والسرقة والخ، ثم قال لي اي شخص ربى هكذا مجتمع ؟ فقلت ان الذي رباه شخص اسمه الحسين (عليه السلام)).

فهذا البناء العملي الامني يعطينا دروسا عملية تنفعنا كثيرا في التمهيد للحركة المهدوية المباركة والحفاظ عليها ومراقبة من يسير فيها.

المحور السابع: البناء الاخلاقي

من اهم المبادئ التي ركز عليها التشريع هو خلق ملكات اخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع، وقد دأب المشرع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات

من جهة وارسل ائمة وانباء بمكارم الاخلاق العظيمة عمليا من جهة اخرى.

وزيارة الاربعين تعتبر من الدروس الاخلاقية العملية التي تكون ملكات اخلاقية من جهة وتكشف عمليا عن مستوانا الاخلاقي ودرجته من جهة اخرى.

ففي زيارة الحسين عليه السلام مشياً عدة معطيات اخلاقية نذكرها اجمالاً:

١. الصبر: فان الصبر قيمة اخلاقية عالية اكدت عليها الآيات والروايات واليك جملة

منها:

اما الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١).

اما الروايات: فمنها:

ما عن أبي بصير قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «... الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْرًا فَاصْبِرُوا وَوَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تَوَجَّرُوا»^(٢).

وعن حمزة بْنِ حُذْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «الْجَنَّةُ مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرُ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَجَهَنَّمُ مُحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ»^(٣).

وعن أَبِي سَيَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتْ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ وَالْبُرُّ مُطْلً عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاجِيَةً فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ

(١) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٨٩.

(٣) المصدر والصفحة.

الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَ لَيْلَتِهِ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونُهُ»^(١).

فتبين ان الصبر له قيمة معنوية عالية ولها أجر عظيم وأثر بالغ في الدنيا والبرزخ والآخره.

والمشي في الاربعين وتحمل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب لهو من المصاديق الواضحة للصبر وخصوصا المشي من اماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات.

فزيارة الاربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر على ما نكره من تحمل الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها والصبر على ما نحب من طاعات.

٢. التواضع: ان سمة التواضع من أهم سمات وفضائل المؤمن، وهي تقع في قبال رذيلة التكبر، وقد وقع التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ومن الروايات نذكر رواية واحدة: في مستدرک الوسائل عن مِصْبَاحِ الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التَّوَّاضَعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٌ وَنَفِيسٌ وَمَرْتَبَةٌ رَفِيعَةٌ وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَّاضَعِ لَعْنَةٌ يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنُطِقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي خُفْيَاتِ الْعَوَاقِبِ وَالتَّوَّاضَعُ مَا يَكُونُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ وَمَا سِوَاهُ مَكْرُومٌ وَمَنْ تَوَّاضَعَ لِلَّهِ شَرَّفَهُ اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ وَلِأَهْلِ التَّوَّاضَعِ سَيِّئَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ

(١) المصدر ص ٩٠.

(٢) الفرقان: ٦٣.

(٣) الحجر: ٨٨.

رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ» الْآيَةَ. وَأَصْلُ التَّوَاضُعِ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَيْسَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابُهَا التَّوَاضُعُ وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَاضُعِ إِلَّا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدًا ﷺ بِالتَّوَاضُعِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» وَالتَّوَاضُعُ مَرْعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَشْيَةِ وَالْحَيَاءِ وَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَبِهُنَّ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا وَلَا يَسْلُمُ الشُّوقُ التَّامُّ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا لِلْمُتَوَاضِعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(١).

وفي المشي الى كربلاء يمر الماشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة، فقد ييات على فراش غير لائق أو يأكل أقل قليل أو يمشي في الطرق الوعرة أو يخدم غيره من الزوار أو يبتدأ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلها من علامات التواضع كما في الرواية، ففي مشكاة الأنوار قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ رَأْسِ التَّوَاضُعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَا تُحِبَّ الْمِدْحَةَ وَالتَّزْكِيَةَ»^(٢).

كما ان ما يقدمه اصحاب الموكب هو من اعظم صور التواضع فيقومون بفرش الفراش للزوار واطعامهم والسهر على خدمتهم وتوفير كل الامور لهم تواضعا لله وخدمة لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان زائر الحسين.

٣- الايثار: من الكمالات التي تكشف عن رقي نفس الانسان اتصافه بالايثار و(هو تقديم الطرف الاخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاة له وتقديمه بمادة (مال مثلاً) أو منفعة أو حق من الحقوق)^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩٨.

(٢) الطبرسی، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ص ٢٠٠.

(٣) الايثار في النظومة الخلقية (العباس نموذجاً).

وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة.

فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١).

ومن الروايات: ما عن عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ السَّائِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: «قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ آمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ سَكَتَ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قِلَّةَ ذَاتِ يَدَيَّ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْبِي أَنَّ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيَهُمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ بِمَا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرَتْ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢).

عن أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَالِّيَ الذَّهَابِ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضاً فَرَأَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: «يَا أَبَانُ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَحِبُّ هَذَا فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَادْهَبْ إِلَيْهِ قُلْتُ فَأَقْطَعُ الطَّوْفَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَإِنْ كَانَ طَوْفَ الْفَرِيضَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَذَهَبْتُ مَعَهُ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ فَسَالَتْهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَقَالَ يَا أَبَانُ دَعَاهُ لَا تَرُدُّهُ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَلَمْ أَرَلْ أُرَدِّدْ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَا لَكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي فَقَالَ يَا أَبَانُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ الْمُؤَثِّرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْثِرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ التَّصَفِّ الْآخِرِ»^(٣).

(١) الحشر: ٩.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ١٨.

(٣) المصدر ج ٢ ص ١٧١.

وفى الاربعين نجد مصاديق الايثار واضحة فان تقديم الاخرين على النفس من اعظم ما يقوم به السائر الى الحسين والخادم في موكب الحسين فيقدم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه وراحة الزائر على راحة نفسه وينفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله وهكذا، فيتعلم من الزيارة درسا عظيما وهو الايثار.

٤- التوضيحية: فان الماشي الى زيارة الحسين يقدم الجهد الجهد والتضحية بماله او بوقته او بنفسه تضحيته منه لأجل هذه الشعيرة وهذا الدين، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية، وقد اشار الامام الصادق الى ذلك في دعائه لهم: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُؤَارِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرْنَا وَرَجَاءٍ لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَعَظِظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا... وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَلُوا مِنْكَ فِي غُرَبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا آثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهْلَائِهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ...»^(١)

٥. العفة: من الصفات التي ركزت عليها الشريعة صفة العفة في البطن والفرج، بل وصفت العفة بانها من افضل العبادات، وجاءت النصوص مبينة لذلك:
فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ...﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ...﴾^(٣).

ومن الروايات: ما عَنْ الْمُفَضَّلِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالسَّفَلَ فَإِنَّهَا شِيعَةٌ عَلِيٌّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَّجُهُ وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ وَعَمِلَ لِحَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ»^(٤).

(١) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢.

(٢) المؤمنون: ٥.

(٣) الاحزاب: ٣٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٣.

فان الزيارة فيها نحو من انحاء الاختلاط وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان واحد، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الاخر من خلال غض البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي، ومنع النظرات المحرمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الاخر بانه من المحارم كما ورد في الروايات: صحيح صَفْوَانَ الْجَمَالِ قَالَ قُلْتُ لِأَيِّ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَزَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِيَنِي الْمَرْأَةُ أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِنَّا كُمْ وَوَلَايَتِهَا لَكُمْ لَيْسَ لَهَا مَحْرَمٌ قَالَ: «إِذَا جَاءَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةَ فَأَحْمِلْهَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُحَرَّمُ الْمُؤْمِنَةِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»^(١).

لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها كما بينت ذلك في بحث مستقل بعنوان (مشي النساء إلى كربلاء)^(٢).

٦. الشجاعة: فان الزيارة تعلم الانسان الشجاعة في اتخاذ الموقف والصبر على الخوف وقوة الاقدام خصوصا مع المنع للزيارة كما كان يحصل ايام الطاغية. ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدي للموت والقتل والسجن والتعذيب وما هذا الا صور رائعة من صور الشجاعة والاقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية.

لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتى في مثل هكذا محن وشدائد.

منها:

١. اجر من حبس في طريق الحسين ﷺ: في الوسائل عن هشام بن سالم قال: قُلْتُ لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ ﷺ: «فَمَا لِمَنْ حُبِسَ فِي إِثْبَانِهِ قَالَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ يُحْبَسُ وَيَعْتَمُ فَرَحَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٤٣٩.

(٢) مشي النساء الى كربلاء مجلة الاصلاح الحسيني العدد ٥.

(٣) ج ١٤ ص ٤٤٢.

٢. أجر من ضرب بطريق الحسين عليه السلام: في مستدرک الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق عليه السلام: «فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الْحَبْسِ فِي إِيْتَانِهِ قَالَ لَهُ بِكُلِّ ضَرْبَةٍ حَوْرَاءُ وَبِكُلِّ وَجَعٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْفُ الْفِ حَسَنَةٌ وَيُمَحَى بِهَا عَنْهُ الْفُ الْفِ سَيِّئَةٌ»^(١).

٣. أجر من مات في طريق الحسين عليه السلام: في بحار الأنوار: «... فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ فَعَسَلَتْهُ وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَوْحُهَا حَتَّى يُنْشَرَ وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ الْبَابُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَجُعِلَ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أُنْفَقَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَذُخِرَ ذَلِكَ لَهُ فَإِذَا حُشِرَ قِيلَ لَهُ لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ لَكَ وَذَخَّرَهَا لَكَ عِنْدَهُ»^(٢).

٤. أجر من قتل في طريق الحسين عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ قَالَ: «أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ إِلَى أَنْ قَالَ قُلْتُ فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ قَالَ أَوَّلَ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتُغَسَّلُ طَبِئَتُهُ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَجْنَسِ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَيُغَسَّلُ قَلْبُهُ وَيُشْرَحُ صَدْرُهُ وَيُمْلَأُ إِيَّانَا فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تَخَالِطُهُ الْأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ»^(٣).

فان هذه مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والاقدام وعدم التهيّب من الاعداء والطغاة فتكون من أهم وسائل الاعداد الجهادي لأنصار الامام الحجة عليه السلام.

٧. الموالاة والبراءة: من المفاهيم العقائدية التي ركزها آل البيت عليهم السلام في نفوس اتباعهم مفهوم الولاء لأولياء الله تعالى والبراءة من أعداء الله تعالى، وهو أن تجعل حبك

(١) ج ١٠ ص ٢٧٩.

(٢) ج ٤٥ ص ١٧٢.

(٣) كامل الزيارات ص ١٢٣

ومودتك وطاعتك لأولياء الله تعالى وبغضك وعصيانك لأعداء الله تعالى، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي فلا إيمان حقيقي إلا بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول بل لا صحة للعمل - على خلاف - إلا بهما، وهذا ما اشارت له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات: وقوله تعالى: ﴿لَا تَحِذُ قَوْمًا يُّؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾^(٢).

ومن الروايات:

عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ أُوْتِقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ وَتُعْطِيَ فِي اللَّهِ وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ»^(٣).

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ»^(٤).

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَحِبَّ فِي اللَّهِ وَابْغِضْ فِي اللَّهِ وَوَالِ فِي اللَّهِ وَعَادِ فِي اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ وَقَدْ صَارَتْ مُوَاحَاةَ النَّاسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ وَعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ وَذَلِكَ

(١) المجادلة ٢٢.

(٢) آل عمران ٢٨

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٢٥

(٤) المصدر ص ١٢٧

لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنِّي قَدْ وَالَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ وَلِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أُوَالِيَهُ وَمَنْ عَدُوُّهُ حَتَّى أُعَادِيَهُ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَتَرَى هَذَا فَقَالَ بَلَى قَالَ وَلِيَ هَذَا وَلِيَ اللَّهُ فَوَالِيهِ وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ فَعَادِيهِ وَإِلَى هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَوَلَدُكَ وَعَادِ عَدُوَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَوَلَدُكَ»^(١).

وزيارة الاربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت ﷺ والبراءة من اعدائهم وخصوصا اذا اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك مما يعزز العنصرين المهمين في عقيدة الانسان الحققة وعمله المقبول، وهذا التولي والتبري يفعله زوار الحسين ﷺ من خلال احياء الشعائر التي يمارسوها في شعيرة الاربعين استجابة لأمر آل البيت ﷺ وغاضة لأعدائهم، الروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب عن الصادق ﷺ: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُورِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرٍّ نَا وَرَجَاءَ لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُورًا أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظًا أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...»^(٢).

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدّة أمور:

١. إيصال رسالة الى العالم اجمع باننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت ﷺ وخصوصا الإمام الحسين ﷺ في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الامة واصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

٢. إيصال رسالة باننا رافضون للنهج التكفيري والاموي المستبيح للنفوس والاعراض والاموال لاغراض سلطوية ودينوية وان هذا النهج لابد ان يحار كي لا يتكرر في التاريخ.

٣. إيصال رسالة للعالم بان مذهب آل البيت ﷺ هو مذهب الاعتدال والانسانية

(١) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣٦.

(٢) المصدر ج ٤ ص ٥٨٢

والاصلاح وان معيار موالاة اهل طاعة الله تعالى وبغض اهل معصية الله تعالى وسيلة لاصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمومنين، وان الناس لا تقاس على اساس العرق او اللون او القرابة وانما على اساس الايمان والتقوى والولاء لله تعالى واوليائه والبراءة من الشيطان واتباعه من الجن والانس.

وغيرها.

٨. **التدرب على التعايش السلمي مع الآخر:** من اهم الاشكاليات التي تواجه الامم والديانات هو التدرب على التعايش السلمي مع الآخرين، وكيفية التعامل معهم وعدم الغائهم فكريا او معنويا او حتى ماديا، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظمات الدولية وخصوصا الامم المتحدة، وتجعل برامجها لذلك، وتعمل على نفي الصراعات ونشوء حركات وتوجهات تدعو للقتل والتقاتل كالحركات النازية او الشعوبية او الوهابية او ما تمخض عن ذلك كداعش والقاعدة والنصرة واخواتهن.

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الآخر وان اختلف معك في المذهب او العرق او الدين على اساس لا تكفير فيه ولا قتل فيها الا اذا بادرك للحرب والحراية او تعدى على مقدساتك ومعتقداتك، بل الاسلام رسم لنا نمطا في التعاطي مع الاعداء فضلا عن غيرهم^(١).

فأمير المؤمنين عليه السلام حدد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك - عهد مالك الاشر - والذي هو برنامج اساسي للعلاقات الداخلية والخارجية، والذي منه: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن سبعا ضاريا تقتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك

(١) راجع بحث (نمط التعاطي مع الاعداء) بحث نشرته في مجلة المنهج العدد ٢.

مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالى الأمر عليك فوقك، والله فوق من وّلاك...»^(١).

والزيارة بهذه السعة المليونية تعتبر موسما للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات من كل العالم وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية مع التعامل مع الآخر حتى مع اختلافنا معه في اللون او القومية او الثقافة او البلد او المذهب او حتى الدين.

٩. إلغاء الطبقية والتعالي والتكبير: فان من اهم الامراض التي تسف بالمجتمعات هو بروز الطبقية بين افراده مما ينتج التعالي والتكبر واستعباد الآخرين بسبب السلطة او المال او الجاه، فيحتاج الانسان ما يكسر جموح النفس ويضعف هذه الصفات، ولعل اهم ما يعمل على ذلك هو التعاطي العملي والسيرة العملية مع افراد المجتمع، وموسم الاربعين انما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي، خصوصا ما يمارسه اصحاب المواكب من الغاء الذات والتواضع وتقديم الخدمات بتفاني لكل الناس، فترى الكبير يخدم الصغير والغني يخدم الفقير بل ورب العمل يخدم عماله كما اشرنا في ما مر من نقطتي التواضع والايتار.

١٠. الشعور بالمسؤولية: ان تحمل المسؤوليات من اهم المقومات لصناعة الانسان وكلما كانت المسؤوليات اكبر كانت الصناعة اقوى لأنها سوف تدخل في كبرى ان الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء.

فتبرز امامنا مسؤولية عظمي نسأل عنها يوم القيامة وهي نعيم آل البيت عليهم السلام الذي يجب علينا أداء حقه وابرار الصورة الحقيقية لما هم عليه من اخلاق وقيم ومعارف. ففي رواية المحاسن: (... دَكَرْتُ الْآيَةَ الَّتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لَا إِنَّمَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ)^(٢).

(١) نهج البلاغة عهد مالك الاشر.

(٢) المحاسن: ج ٢ ص ٤٠٠.

في المحاسن عن أَبِي حَمْرَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَمَاعَةً فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَذَازَةً وَطِيباً حَتَّى تَمَلُّنَا وَأَتَيْنَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ فَقَالَ رَجُلٌ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نُعْمَتُهُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُطْعِمَكُمْ طَعَاماً فَيَسْوَغَكُمْهُ ثُمَّ يَسْأَلَكُمْ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام» (١).

فان هذه الزيارة تدعونا الى تحمل المسؤولية الدينية في ايصال رسالة عامة لكل العالم باننا مجتمع يملك من الصفات والمقومات الحضارية والاجتماعية والتربوية والادارية العالية.

فهي فرصة لبيان الاسلام المحمدي العلوي الناصع من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب، لا كما ينقل بعض عن تخلف الاسلام والمسلمين من خلال عكس صورة لأناس يدعون انتحالهم للإسلام والاسلام براء منهم كبعض الحركات السلفية والوهابية وبعض الدول المتخلفة دينيا وقيميا والمتحللة اخلاقيا وتربويا، وان تلك الفئات لا تمثل الاسلام.

والخلاصة:

ان هذه الصفات والمميزات هي تدريب عملي وتمهيد حقيقي لخلق انسان الظهور وما بعد الظهور، فالزيارة مدرسة اخلاقية كبيرة لشخصية الظهور المهدوي المبارك.

خصوصا وان هذا البناء ليس بناء تنظيريا فحسب بل هو بناء عملي كبير يخلق روحا سامية مؤهلة لمرحلة الظهور وما بعده.

المحور الثامن: المحور العسكري

ان المؤسسة العسكرية لا تقاس بقوة تسليحها فقط وانما الالهم فيها هو وجود الموارد البشرية فيها، خصوصا الموارد البشرية الشابة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والاباء.

وزيارة الاربعين لهي من اهم موارد بناء الشباب المهدي العسكري المقاوم والمضحي، ولعل تجربة مقاومة الاحتلال الامريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في العراق من اكبر الشواهد على ذلك فان من اهم ما بنى هذه الشخصيات الشابة والمضحية التي تتحدى الصعاب وتواجه اشرس الاعداء مع قلة العدة والعدد هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهراننا والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مهدوية.

فما سطره الابطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدي، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعباس والاكبر.... وتحركاتهم وتطلعاتهم مهدوية نائرة تعد لعصر الظهور.

فالتضحية - بالنفس بالمال بالراحة - لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الاسلام ولأجل المقدسات ولأجل العزة انما هي دروس تعلمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين، ربطت بالموعود ومستقبل العالم الذي يقوده الامام المهدي.

فهناك جيش عالمي قد تم اعداده سابقا وخاض التجارب في عدة دول ونجح نجاحات باهرة قد يكون هو نواة من جيش المهدي المنتظر عليه السلام، وزيارة الاربعين هي الرافد الاساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الامر عليه السلام نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

المحور التاسع: المحور الاعلامي

من العادات الجارية لدى القوى السياسية او غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات او تجمعات او احتفالات او مناورات او غيرها، وذلك لإيصال رسالة الى الآخر بان لنا جماهير ونحن اقوياء من باب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) كل بحسب موقعه وعمله وقدرته.

والمؤمنون بالقضية المهدوية لابد لهم من ذلك ايضا، وما يحصل من تجمع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وتنظيم ذاتي وبتمويل شخصي لهو اعظم صور الاستعراض الاعلامي للجمهور المومن، فالشعيرة الاربعينية ليست عبادة فردية فحسب بل اصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحج وصلاة الجمعة، وهذا يعطي اهمية كبرى وثراء معنويا وانفجارا اعلاميا يوصل رسالة واضحة للجميع (... باننا حسينيون... باننا ممهدون... باننا مؤمنون... باننا اقوياء... باننا منظمون... باننا متكافلون... باننا مصلحون... وهكذا).

خصوصا اذا عكسنا الصورة التي اراد لنا ال البيت عكسها للإنسانية وان الدين الاسلامي هو الخاتم وان المهدي هو المخلص وانه لا نجاة الا به.

فيمرر لنا أمور:

١. تحقيق منجز عددي وان جماهيرنا مليونيه وبتزايد كل عام بحيث لا يسع المكان الجمهور.

٢. تحقيق منجز نوعي بان جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة ومطبعة لله ورسوله واله.

٣. تحقيق منجز دولي بان زيارتنا دولية وليست اقليمية او قطرية اذ يأتيها الناس من كل فج عميق.

٤. تحقيق منجز حضاري باننا منظمون ولا يتعدى بعضنا على بعض طوال ايام الزيارة.
٥. تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعددة وقوميات متنوعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الاوضاع والشعور بالآخر.
- وهكذا منجزات جعلت الغرب يقول على لسان احد العلماء الغربيين: (لو قدر لقائد ان ينهض بهكذا جماهير لاحتل العالم كله).

المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي

ان الانسان بطبعة يميل الى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب، فإذا مر بصعوبات قد يؤدي به الى الضعف او الانهيار او ترك المبادي او التخلي عن بعضها، لذا يحتاج الى دورة تدريبية لرفع ذلك.

وموسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات — خصوصا مع البرد القارس او الحر الشديد او الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور — لهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل انواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه ال البيت عليه السلام.

فالزيارة تمثل مركزا لتدريب المومن للاستعداد والاعداد لعصر الظهور فيدخل ذلك في الاعداد للمهدي والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب، فلا يتفاجئ اذا ما بلي بصعوبة او شدة بل يواجهها بعزم حسيني ومستقبل مهدوي.

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمر بها المومن ما هي الا تقوية لصلبه وتمرينا له لمواجهة العدو.

فالزيارة الاربعينية ورشة عمل معمقة لصناعة الشخصية المهدوية للظهور وما بعده.

المحور الحادي عشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمة في الشخصية الممهدة للظهور وجود روح التكافل والايثار في تلك الشخصية، ومن اهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرب على التكافل ومساعدة الآخرين واثار راحة الآخرين على راحة النفس حتى مع التعب والخصاصة، والمشي في زيارة الاربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث ان الخدمات تقدم مجاناً بلا منة ولا ضجر بل بفرحة وبهجة، ولعل التكافل الذي يقدمه اصحاب المواكب من اعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكل من مشى للزيارة، وكذلك روح الايثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس وهكذا.

والتكافل والايثار له صور:

منها:

التكافل والايثار بالطعام ولو بقيت جائعاً.

التكافل والايثار بالمبيت ولو بقيت سهرانا.

التكافل والايثار بالفراش والغطاء.

التكافل والايثار حال الرجوع من خلال اعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفاً.

التكافل والايثار بتفضيل راحة الآخرين على راحة النفس.

وهكذا غيرها من الصور.

المحور الثاني عشر: البناء السياسي

ان زيارة الحسين عليه السلام موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته ومنها المبدأ السياسي وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم وخلق ارادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج

على الظالمين والاستعداد لذلك تحت قيادة الامام الحجة عليه السلام كي يعز الاولياء ويذل الاعداء ويملئها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، كما انها رفض للاتجاه السياسي المستبد وان تلبس بلبوس الدين وادعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية الى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة تحت ذريعة سياسة الامر الواقع ومداهنة الاعداء مما يضيع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكار شعارات الحسين عليه السلام في الثورة كخطابه: «أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُحَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»^(١) - يكون حافزا كبيرا للاستعداد السياسي والتمهيد السياسي للإمام الحجة عليه السلام من خلال نشر الافكار الدالة على ان الامام هو المخلص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تتخلق ارادة سياسية لدى الامة المؤمنة تحفز المومن للالتحاق بالشخصية المنقذة والبراءة من الامة الظالمة والقائلة والراضية بذلك كما ورد في الزيارة: «لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَلَتْكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَعَتْكَ»^(٢).

خصوصا اذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير الى نصره الى البيت وخاتمهم الامام الحجة عليه السلام كما في الزيارة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ مَنَّتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ مَوْلَايَ وَوَلَايَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُنْتَصَرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ] وَمَنْ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِإِدِينِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

(١) بحار الانوار: ج ٧٨ ص ١٢٨.

(٢) كامل الزيارة: ص ٤٣.

(٣) المصدر ص ٤٥.

وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ»^(١).

فزيارة الاربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي الذي يأبى الظلم والظيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يدهن المنحرفين والمستبدين وان علوا وتغطرسوا.

هذا ما اردنا ذكره من محاور وهناك محاور اخرى قد تظهر للمتتبع لم نذكرها دفعا للإطالة.

النتيجة:

ان زيارة الاربعين فيها عظيم البركات في كل المستويات المادية والمعنوية، ومن اعظم البركات دور واهمية هذه الزيارة المليونية في الاعداد العملي للظهور وصناعة شخصيات الظهور ومجتمعه، فحري بنا ان نجعل تلك الزيارة منارا لنا للتمهيد وانطلاقة للانتظار الحقيقي الخالص للإمام عليه السلام فنكون ممن اسهم في تعجيل الظهور المهدوي المقدس ببركة الزيارة الحسينية المقدسة فنحظى بالنصر الالهي التام على اعداء الله تعالى ورسوله واله وبأخذ المهدي عليه السلام بثأر جده الحسين عليه السلام ممن قتلوه وسلبوه وسبوا عياله، ويعز الاولياء ويذل الاعداء ويظهر الدين ولو كره الكافرون، انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا.

البحث الثامن:

اشكالية اخذ الثأر من ذراري قتلة الحسين

من أشدّ الظالّات التي وقعت على أهل البيت (عليه السلام) والتي بكت لها كلّ الكائنات الأرضية والسمّوية واقعة الطفّ الأليمة التي استشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وصحبه بعد أن قُتلوا صبراً في رمضاء كربلاء على يد الدولة الأموية الظالمة وأنصارها واتباعها.

وهذه المقتلة العظيمة كانت وما زالت الواقعة الأكثر إيلاماً على قلوب محمّد وآل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وشيعتهم ومحبيهم حتّى أصبحت القضية الأساسيّة في الثقافة الإسلاميّة العامّة والأكثر إحياءً من باقي القضايا بالرغم من كبر حجم تلك القضايا الأخرى كقضيّة مظلومية النبيّ الأعظم (عليه السلام) ومظلومية السيّدة الزهراء (عليها السلام) ومظلومية أمير المؤمنين (عليه السلام) وباقي مظلوميات أهل البيت (عليهم السلام).

ومن الشؤون العامّة لهذه القضية أنّ لها ارتباطاً بالثورات وحركات الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي، بل وفي غيره، فكانت تُلهِم القادة والثوّار دروساً في التضحية والإباء والصبر والتقدّم، فلذا أخذت هذه الثورات على عاتقها إبراز القضية الحسينية في يومياتها وأدبياتها وانتصاراتها، فلا نجد انفكاً في شعارات تلك الثورات عن القضية الحسينية، وبسبب هذه الحماسة الحسينية كُتِبَ لتلك الثورات النجاح في أكثر من مستوى.

ومن أكبر الحركات الإصلاحية الشاملة كمّاً ونوعاً - كما دلّت النصوص القرآنيّة

والروائية - هي حركة صاحب العصر والزمان الإمام الحجة المنتظر عليه السلام الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فكان من الضروري أن نعرف علاقة الثورة المهدوية بالثورة الحسينية، وما هو نحو الارتباط بين القضية المهدوية والقضية الحسينية.

لا شك أن الارتباط بينهما له حيثيات عديدة وكثيرة، ولكننا - دعاً للإطالة - ركزنا في المقام على مفردة من تلك العلاقة، وهي مفردة أخذ الإمام المهدي عليه السلام بثأر سيد الشهداء عليه السلام ودفع الاشكال عنها.

فلسائل أن يسأل: يا ترى هل لثأر الحسين عليه السلام مساحة في حركة حفيده عليه السلام؟ وما مقدار هذه المساحة؟ وكيف تكون طريقة أخذ الثأر؟

الجواب: نعم هناك مجال واسع ومساحة عريضة في عصر الظهور للأخذ بثارات الإمام الحسين عليه السلام من قبل الإمام المهدي عليه السلام، وهذا سيُتضح جلياً في البحث. وقبل بيان ذلك نُبيِّن الأسباب التي تجعل الإمام المهدي عليه السلام هو الأخذ بالثأر دون غيره.

أسباب أخذ الثأر من المهدي عليه السلام دون غيره:

في الحقيقية أن الأسباب عديدة، منها ما هو فقهي، ومنها ما هو عقدي، ومنها ما هو نسبي، وهكذا.

ومن أبرز تلك الأسباب ولو بنحو الاحتمال والأطروحة:

السبب الأول: ولاية الدم:

إن الإمام الحجة عليه السلام هو ولي دم الإمام الحسين عليه السلام، إذ هو الأقرب نسباً للحسين عليه السلام من كل الأحياء في زمانه، فيكون الأولى بأخذ الثأر، لأنه ولي دم الشرعي،

وهذا من الجانب الفقهي واضح كما عبّرت الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

فالإمام الحجة عليه السلام يأخذ بدم الحسين عليه السلام من عصابة بني أمية ومن ناصرهم في قتله وقتل أهل بيته عليه السلام من باب أنه ولي دم جدّه المظلوم الشهيد عليه السلام.

ولذا علّلت بعض الروايات تسميته بالمنصور لهذا السبب واستشهدت بهذه الآية الكريمة. ففي تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمد الفَرَارِيِّ مُعْتَنًا، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا»، قَالَ: الْحُسَيْنُ عليه السلام ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، قَالَ: «سَمِيَ اللهُ الْمُهْدِيَّ الْمَنْصُورَ كَمَا سُمِّيَ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ وَعُمُودٌ [عُمُودًا] وَكَمَا سُمِّيَ عِيسَى الْمَسِيحَ عليه السلام»^(١).

السبب الثاني: حاكميته الشرعية:

إنَّ الإمام الحجة عليه السلام هو الحاكم الشرعي الأعلى في الأرض، فله إقامة القصاص الفردي والجماعي على المعتدين والظالمين لآل البيت عليه السلام، وهذا واضح فقهيًا كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (البقرة: ١٧٩).

ومن صور القصاص التي يقوم بها الإمام عليه السلام أن يأخذ بثأر الحسين عليه السلام وأصحابه ويأخذ بثأر الأنبياء والأولياء، كما يأخذ بثأر الصديقة الزهراء عليها السلام كما نصّت الروايات.

السبب الثالث: محقق العدل العام:

إنَّ الإمام الحجة عليه السلام هو محقق للعدل الإلهي الشامل التام، وشعار دولته نشر العدل في مشارق الأرض ومغاربها، ومن العدل هو الأخذ بثأر المظلومين وقصم رقاب المعتدين

الظالمين: «أين معزُّ الأولياء ومذلُّ الأعداء»^(١).

ولا شكَّ أنَّ النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ ومنهم الإمام الحسين ﷺ أشدُّ الناس مظلومية على مدى التاريخ.

فهدف من أهداف القيام المهدي هو الأخذ بثأر الأنمة الأطهار والأنبياء الأبرار كما جاء في دعاء الندية المبارك: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ^(٢) الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ»، ثم أعقب ذلك بالدم الأشرف والثأر الأكبر: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ»^(٣).

وفي زيارة الإمام الحجة ﷺ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا طَالِبَ ثَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالثَّائِرِ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ»^(٤).

السبب الرابع: محقق أهداف الثورة:

إنَّ الإمام المهدي ﷺ محقق لأهداف الحسين ﷺ، وهذه الأهداف إنما تتحقق من خلال القضاء على الاتجاهات التي منعت إقامة تلك الأهداف في الأرض من خلال قتلهم للمشروع الحسيني الإلهي، فيأتي الإمام ﷺ ليحقق تلك الأهداف من خلال القضاء على أتباع الخطِّ الأموي الظالم وإن اختلفت مسمياتهم وعناوينهم.

والإصلاح بكلِّ مستوياته هو من أهمِّ تلك الأهداف وأعظمها كما أشار إليه الإمام الحسين ﷺ في خطبته: «أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُسِيرَ بِسِيرَةِ

(١) المزار الكبير لابن المشهدي: ٥٧٩.

(٢) الدُّحُل: الثَّأر.

(٣) المزار الكبير لابن المشهدي: ٥٧٩.

(٤) بحار الأنوار ٩٩: ٨٦ / ط بيروت.

جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ...»^(١).

فالإصلاح المهدوي هو تحقيق للإصلاح الحسيني وتتميم له، ومن جملة الإصلاح القضاء على الفاسدين والمفسدين والظالمين تحقيقاً للعدل الإلهي من جهة، وخلق أجواء خالية من الأوبئة المعنوية من جهة أخرى.

السبب الخامس: رفع مظلومية آل البيت عليه السلام:

إنَّ الأخذ بثأر الحسين عليه السلام من قتلته هو مطلب من مطالب أهل البيت عليه السلام وخصوصاً السيِّدة الزهراء عليها السلام باعتباره رفعاً لمظلومية ولدها الحسين عليه السلام، والإمام الحجة عليه السلام هو أولى الناس بتحقيق مطلبها ورفع الأسى والجوى الذي ألمَّ بها لقتل ولدها الشهيد عليه السلام.

السبب السادس: أنه وفاء للحسين عليه السلام:

إنَّ الحسين عليه السلام في الرجعة هو الذي يُصَلِّي على الإمام المهدي عليه السلام بعد قتله، إذ إنَّ آخر عصر الظهور هو مقتل الإمام المهدي عليه السلام وتبدأ بعده الرجعة برجوع الحسين عليه السلام كما ذكر ذلك صاحب البحار^(٢).

وهذا يجعل الرابط كبير بينهما، فهو عليه السلام ينتقم من أعدائه والإمام يُصَلِّي عليه عليه السلام بعد مقتله. فكما أنَّ الإمام المهدي عليه السلام اقتصَّ من قتلة الحسين عليه السلام فكذلك الحسين في الرجعة يقتصُّ من قتلة الإمام المهدي عليه السلام.

هذه بعض الأسباب التي تشير إلى أنَّ الإمام المهدي عليه السلام هو طالب الثأر الأعظم للإمام الحسين عليه السلام تحقيقاً للعدل الإلهي ودفعاً للباطل الشيطاني.

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٨٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٣ : ١١٥.

أَمَّا مَا أُخِذَ مِنْ ثَارَاتٍ لِلْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الْمَوَالِينِ الَّذِينَ قَامُوا بِالثَّوَرَاتِ كَثُورَةً الْمُخْتَارِ وَالتَّوَابِينَ وَغَيْرَهُمَا، فَلَمْ تَكُنْ كَافِيَةً، وَلَمْ تَكُنْ مُحَقِّقَةً لِأَخْذِ الثَّارِ بِتَمَامِهِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَأْخُذُ بِالثَّارِ التَّامِّ هُوَ الْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) كَمَا نَصَّتِ الرِّوَايَاتُ الْخَاصَّةُ الَّتِي سَنَذْكُرُهَا لَاحِقاً فِي تَقْرِيبِ الرِّوَايَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْآتِيَةِ.

عرض صلب الموضوع:

الروايات الخاصة الدالة على أَنَّ الإمام الحجة (عَلَيْهِ السَّلَام) يأخذ الثَّارَ:

نَصَّتِ الْكَثِيرُ مِنَ الرِّوَايَاتِ - وَلَعَلَّهَا بَلَغَتْ حَدَّ الاسْتِفَاضَةِ - عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ الْحُجَّةَ أَرْوَاحَنَا لِمَقْدَمِهِ الْفِدَاءَ هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ بِثَارِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَام) حَالِ خُرُوجِهِ مِنْ غَيْبَتِهِ، وَقَدْ ذَكَرَهَا أَصْحَابُ الْمَجَامِيعِ الرِّوَايَةِ كَمَا فِي الْبَحَارِ وَغَيْرِهِ.

وإليك جملة من هذه الروايات:

الرواية الأولى:

فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ عَنْ عَلْلِ الشَّرَائِعِ وَعَيُونِ أَخْبَارِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَام): الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ عَلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْهَرَوِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَام): يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي حَدِيثِ رُوِيٍّ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ قَتَلَ ذَرَارِيَّ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) بِفِعَالِ آبَائِهَا؟» فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام): «هُوَ كَذَلِكَ»، فَقُلْتُ: وَقَوْلُ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ، وَلَكِنْ ذَرَارِيُّ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ يَرْضَوْنَ بِفِعَالِ آبَائِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِهِ، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئاً كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ بِالْمَشْرِقِ فَرَضِي بِقَتْلِهِ رَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَكَانَ الرَّاضِي عِنْدَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) شَرِيكَ الْقَاتِلِ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُهُمُ الْقَائِمُ (عَلَيْهِ السَّلَام) إِذَا خَرَجَ لِرِضَاهُمْ بِفِعَالِ آبَائِهِمْ»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ يَبْدَأُ الْقَائِمُ

مِنْكُمْ إِذَا قَامَ؟ قَالَ: «يُبْدَأُ بِنَبِيِّ سَيِّئَةٍ فَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ، لِأَنَّهُمْ سُرَّاقُ بَيْتِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)»^(١).

تقريب الدلالة: الرواية واضحة الدلالة على أَنَّ الإمام الحجة عليه السلام يأخذ بثأر سيّد الشهداء عليه السلام حال خروجه، ويكون أخذ الثأر من أتباع الخطّ الأموي، سواء كانوا من بني أُمّية أو من أنصارهم، والجامع المشترك بينهم أَنَّهُمْ شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الميامين، وهذا القتل للذراري لأنَّهُمْ ساروا على هذا النهج الشيطاني في القتل والتنكيل بأبناء آل البيت عليهم السلام من جهة، ولأنَّهُمْ رضوا وافتخروا بذلك الفعل الشنيع.

فالإمام المهدي عليه السلام هو الآخذ بالثأر الأكبر كما هو واضح من الرواية.

إشكال ودفعه:

قد يقال: لماذا يقتل الإمام الحجة عليه السلام ذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام وهم لم يرتكبوا القتل ولم يشهدوا تلك الجريمة؟

فإنّه يقال: إنّ الجواب على ذلك له عدّة مستويات، وبعضها بنحو الاحتمال والأطروحة، وكلّ مستوى يصحّ أن يكون جواباً مستقلاً:

المستوى الأول: الرضا بالأفعال - مجرّد الرضا -

ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في الرواية أعلاه من تعليل قتلهم: «يَرْضَوْنَ بِفَعَالِ آبَائِهِمْ وَيَفْتَحِرُونَ بِهَا، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئاً كَانَ كَمَنْ أَنَا».

فهم ساروا على هذا النهج العدائي للنهج النبوي الحسيني، ورضوا وأبدوا هذه الجرائم، ولو أَنَّهُمْ تمكّنوا من قتل الحسين عليه السلام ثانيةً لقتلوه، فاستحقّوا بذلك القتل.

وهذا ما حصل ويحصل من النهج العدائي لآل البيت عليهم السلام وللحسين عليه السلام، وما يُفعل

الآن من قتل شيعة آل البيت ﷺ نكايةً وتشقياً منهم لأنهم اتبعوا هذا الخط النبوي العلوي.
وما يُمَارَس اليوم من جرائم في حق أتباع آل البيت ﷺ ما هو إلا امتداد للنهج الأموي والعباسي الذي قتل آل البيت ﷺ وأتباعهم في سالف الدهر.
فإن هؤلاء هم أبناء أولئك تشابهت قلوبهم وأفعالهم ولم تتغير إلا أسماؤهم، فما تمارسه اليوم المنظّمات الإرهابية كداعش وجبهة النصرة وبوكو حرام وغيرها وبعض الأنظمة والدول الأموية إنما هي تكملة لمسلسل القتل والذبح والحرق الذي مارسه أسلافهم باسم الدين والسلطة والخلافة الدنيوية.

فيأتي الإمام المنقذ ﷺ ليُطَهِّر الأرض من هذه الرُمرِ والمسميات ثاراً لآل البيت ﷺ وشيعتهم على مرّ التاريخ، بل ثاراً لكلّ المظلومين والمستضعفين في المعمورة.

المستوى الثاني: العلم الإلهي بالسير العملي للذراري:

قد يقال: إنّه في علم الله وتقديره أنّ جميع ذراري قتلة الحسين ﷺ أو غالبهم يسيرون على نهج آبائهم في القتل لآل البيت ﷺ وأتباعهم والإفساد في البلاد والعباد، وبذلك استحقّوا القتل، كما في الدعاء على لسان النبيّ نوح ﷺ عندما دعا الله باستئصال جميع الظالمين: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ۖ ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (النوح: ٢٦ و٢٧).

المستوى الثالث: المداينة:

إنّه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما دلّت الروايات، منها: ما عن الإمام الباقر ﷺ: «أَوْحَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَى شُعَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ: أَيُّ مُعَذِّبٍ مِنْ قَوْمِكَ مِائَةَ أَلْفٍ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ شِرَارِهِمْ وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، فَمَا بَالُ

الْأَخْيَارِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَيْهِ: دَاهِنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي ^(١) وَلَمْ يَعْصِبُوا لِعَظَمِيِّ ^(٢).

المستوى الرابع: القصاص الاجتماعي - الجماعي:

إنَّه من باب القصاص الجماعي كما فعل النبي الأعظم ﷺ ببني قريظة وبني النضير حيث عاقب الجميع (جميع الرجال البالغين دون الأطفال والنساء) بعقوبة القتل والإجلاء، لخيانتهم للمعسكر الإسلامي وتواطئهم مع معسكر الشرك.

المستوى الخامس: خاص بالإمام ﷺ:

إنَّه حكم خاص بالإمام المهدي ﷺ أو بعصر الظهور، ككثير من الأحكام الخاصة به ﷺ من خلال حكمه على البواطن والضمائر لا بالظواهر فقط، فيكون قتله لذراري قتلة الحسين ﷺ من الأحكام الخاصة.

المستوى السادس: خاص بقتلة الإمام الحسين ﷺ:

إنَّه حكم خاص بقتلة الإمام الحسين ﷺ بأن تُقتل كل ذراريهم قصاصاً خاصاً بهم لعظيم ما وقع على الحسين ﷺ وعياله وأصحابه من قتل وتنكيل وتمثيل، فكان جزاء من يرضى بهذا الفعل ويسير بهذا النهج أن يُستأصل من الأرض.

المستوى السابع: قضية غيبية:

إنَّ قتلهم وإن كان ظاهره تعدياً أو ظلماً إلا أنَّه في الواقع لعلَّه عدل وحقٌ كما فعل الخضر ﷺ في قصة قتل الغلام، فكان من الصالح للأبوين أن يقتل الخضر ابنهما حتَّى يُبدِّلهما الله خيراً منه، ومن صالح الابن أن يُقتل لكي لا يكبر ويعقهما فيصبح من الظالمين

(١) أي تركوا نصيحتهم ولم يتعرَّضوا لهم ولم يمنعوهم من قبائحهم.

(٢) الكافي ٥: ٥٦ / باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ح ١.

فلا يتعذبان بوجوده، وبزّر ذلك الفعل لموسى عليه السلام كما ذكرت الآيات وتفسيرها.

ففي (مكاتب الأنمة عليه السلام)^(١) كتابه عليه السلام إلى يونس وهشام في قصة موسى عليه السلام حين لقي الخضر عليه السلام: روى محمد بن علي بن بلال، عن يونس، قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام أيهما كان أعلم، وهل يجوز أن يكون على موسى عليه السلام حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا ذلك إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك. فكتب في الجواب:

«... فَنَظَرَ الْخَضِرُ إِلَى غُلَامٍ يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّبِيَّانِ، حَسَنِ الْوَجْهِ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، فِي أُذُنَيْهِ دُرَّتَانِ، فَتَأَمَّلَهُ الْخَضِرُ ثُمَّ أَخَذَهُ فَقَتَلَهُ، فَوُثِبَ مُوسَى عَلَى الْخَضِرِ وَجُلِدَ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً يَغْيِرُ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نَكْرًا﴾. فَقَالَ الْخَضِرُ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا...﴾ [الكهف: ٧٤ و ٧٥]، ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾، وَطُبِعَ كَافِرًا - كَذَا نَزَلَتْ - فَنَظَرْتُ إِلَى جَبِينِهِ وَعَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: طُبِعَ كَافِرًا، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠ و ٨١]، فَأَبْدَلَ اللَّهُ لَوْلَايِهِ بَنَاتًا، وَوَلَدَتْ سَبْعِينَ نَبِيًّا...».

فكذلك الإمام الحجة عليه السلام يعلم بواطن هؤلاء الذراري ويقتلهم ويبيّن وجه ذلك كما فعل الخضر لموسى عليه السلام.

النتيجة: لو صحّت أحد هذه الاحتمالات كما هو الصحيح فهو، وإلا رددنا علم الرواية إلى أهلها.

الرواية الثانية:

روى ابنُ الوليد، عَنِ الصَّغَارِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «الْقَائِمُ وَاللَّهُ يَقْتُلُ ذُرَارِيَّ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بِفِعَالٍ أَبَائِهَا»^(١).

تقريب الدلالة: في هذه الرواية تعليل لقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بسبب فعل آبائهم ممّا فعلوا بواقعة كربلاء، والكلام فيها ما مرّ في التعليق على الرواية الأولى ودفع إشكال قتل الذراري.

الرواية الثالثة:

روى مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّزَّازُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قَالَ: «أَوْلَادُ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام»^(٢).

تقريب الدلالة: في هذه الرواية تعليل لقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام من خلال تفسير الآية المباركة من كونهم ظالمين، فيكون العدوان والقصاص واقعاً عليهم تحقيقاً للعدل الواقعي وإن سُمّي عدواناً ظاهرياً كما احتمل ذلك صاحب البحار، قال عليه السلام معلقاً على الرواية: (لعلّ المراد بالعدوان ما يُسمّى ظاهراً عدواناً وإن كان في الواقع موافقاً للعدل)^(٣).

أقول: أو - لعلّه والله العالم - لأنّ العدوان لا بمعنى الاعتداء الابتدائي وإنّما من باب ردّ الاعتداء الواقع منهم ومن آبائهم، وهو حقّ مشروع كما بيّنت الآية: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٦/ ٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٦ و ٢٩٧/ ٤.

(٣) المصدر السابق.

عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» (البقرة: ١٩٤).

فيكون الاعتداء عليهم مشروعاً تحقيقاً للعدل والقصاص كما بيّنا في بعض مستويات دفع إشكال قتل الذراري المتقدم.

الرواية الرابعة:

عن كامل الزيارات: ابْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الصَّفَّارِ، عَنِ ابْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ رَجُلٍ. قَالَ: سَأَلْتُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣]، قَالَ: «ذَلِكَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ يَخْرُجُ فَيَقْتُلُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَوْ قَتَلَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ سَرَفًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ لَمْ يَكُنْ لِيَصْنَعْ شَيْئًا يَكُونُ سَرَفًا»، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «يَقْتُلُ وَاللَّهِ ذُرَارِيَّ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ بِفَعَالٍ أَبَائِهَا»^(١).

تقريب الاستدلال: في هذه الرواية يُبَيِّنُ الإمام عليه السلام حجم المصيبة والفاجعة والجريمة التي ارتكبتها قتلته الإمام الحسين عليه السلام، فإنهم بقتله قتلوا النبي الأعظم عليه السلام وآله عليهم السلام، وقتلوا شريعة الله، وقتلوا القرآن، وقتلوا العدل... إلى غيرها من مظاهر الخير والصالح، فلو قام الإمام الحجة عليه السلام بالثأر له بقتل كل المعتدين والظالمين على وجه الأرض لما وفى بقتل الحسين عليه السلام، لعظيم شأنه في السماء والأرض كما دلّت الروايات، منها ما قاله في (مصباح الشريعة)^(٢): «قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «رُويَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ عليه السلام: يَا سَلْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) لَنْ يَبْعَثَ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا إِلَّا وَلَهُ اثْنَا عَشَرَ نَقِيًّا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَرَفْتُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ،

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨ / ح ٧.

(٢) مصباح الشريعة: ٦٣.

قَالَ: يَا سَلْمَانُ، هَلْ عَرَفْتَ نُبَّانِي الْإِنْتَنِي عَشَرَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِي؟
فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، خَلَقَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ، وَدَعَانِي
فَاطِمَتُهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُورِي عَلِيًّا، وَدَعَاهُ فَاطَاعُهُ، فَخَلَقَ مِنْ نُورِي وَنُورِ عَلِيٍّ فَاطِمَةَ، وَدَعَاهَا
فَاطَاعَتُهُ، فَخَلَقَ مِنِّي وَمِنْ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ، فَدَعَاهُمَا فَاطَاعَاهُ، فَسَمَّانا اللَّهُ تَعَالَى
بِحَمْسَةِ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ فَاللَّهُ تَعَالَى الْمُحْمُودُ وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَاللَّهُ الْعَلِيُّ وَهَذَا عَلِيٌّ، وَاللَّهُ الْفَاطِرُ
وَهَذِهِ فَاطِمَةُ، وَاللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ وَهَذَا الْحُسَيْنُ، وَاللَّهُ الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ، وَخَلَقَ مِنْ نُورِ
الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أَئِمَّةٍ، فَدَعَاهُمْ فَاطَاعُوهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَأَرْضاً
مَدْحِيَّةً، أَوْ هَوَاءً، أَوْ مَلَكاً، أَوْ بَشِراً، وَكُنَّا أَنْوَاراً نُسَبِّحُهُ وَنُسَمِّعُ لَهُ وَنُطِيعُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا لِمَنْ عَرَفَ هَؤُلَاءِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ؟ فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ، مَنْ عَرَفَهُمْ
حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ، وَافْتَدَى بِهِمْ فَوَالَاهُمْ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، كَانَ وَاللَّهِ مِتّاً يَرُدُّ حَيْثُ نَرُدُّ وَيَكُنْ
حَيْثُ نَكُنْ...».

ثم بين الإمام أنَّ الإمام الحجة عليه السلام يقتل ذراري قتله الإمام الحسين عليه السلام كما ذكرت
الروايات السابقة.

الرواية الخامسة:

تفسير العياشي: عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَزَوِيِّ، يَرْفَعُهُ عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا
عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قَالَ: «إِلَّا عَلَى ذُرِّيَّةِ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

تقريب الاستدلال: هذه الرواية كأخواتها السابقات تدلُّ على أنَّ ذراري قتلة
الحسين عليه السلام مصداق للآية الشريفة، وتبرير قتلهم ما مرَّ من توجيهات، فراجع.

الرواية السادسة:

المناقب لابن شهر آشوب: (تَارِيخُ بَغْدَادَ وَخُرَاسَانَ وَالْإِبَّانَةَ وَالْفَزْدَوْسَ): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنِّي قَتَلْتُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ﷺ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَأَقْتُلُ بِابْنِ بَيْتِكَ سَبْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا»^(١).

تقريب الاستدلال: أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) سَيَقْتُلُ - بيد أوليائه ووليّه الحجة - أكثر ممَّا قتل بقتل النبيّ يحيى ﷺ، فإن كان قتل بقتل النبيّ يحيى ﷺ سبعين ألفاً فإنه يقتل بقتل الحسين ﷺ مضاعفاً، وهذا يدلُّ على أَنَّ شأن الحسين ﷺ أعظم من شأن جميع الأنبياء إِلَّا النبيّ الأعظم ﷺ.

ولا شكَّ أَنَّ قتلة الحسين ﷺ على أكثر الروايات ليسوا بهذا العدد، فلذا القتل يشمل ما هو أوسع من القتلة المباشرين، كقتل الذراري والراضين والفرحين بقتله ﷺ. وروى أيضاً عن الصادق ﷺ: «قُتِلَ بِالْحُسَيْنِ مِائَةُ أَلْفٍ، وَمَا طُلِبَ بِثَأْرِهِ، وَسَيُطْلَبُ بِثَأْرِهِ»^(٢).

هذه الرواية تُبَيِّنُ أَنَّ هناك مقتلة حصلت بقتلة الحسين ﷺ إلى زمن الإمام الصادق ﷺ ولم يتم الثأر، وسيأتي من يطلب بثأره ويأخذ بحقه، وهذا ما يتمُّ على يد الطالب بدم المقتول بكر بلاء.

ثم روى رواية يُبَيِّنُ بها قصّة مقتل يحيى ﷺ وَأَنَّ دمه لم يبرد إِلَّا بعد أن أُخِذَ بِثَأْرِهِ، وكذلك دم الإمام الحسين ﷺ لا يبرد إِلَّا بالأخذ بثأره على يد الإمام الحجة ﷺ.

ففي حَدِيثٍ مُّقَاتِلٍ، عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً مَلَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٤؛ بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨ / ح ١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨١.

كَبُرَتْ وَأَرَادَتْ أَنْ تُزَوِّجَ بِنْتَهَا مِنْهُ لِلْمَلِكِ، فَاسْتَسَارَ الْمَلِكُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَعَرَفَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ، وَرَزَنَتْ بِنْتَهَا وَبَعَثَتْهَا إِلَى الْمَلِكِ، فَذَهَبَتْ وَلَعِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: رَأْسُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عليه السلام، فَقَالَ الْمَلِكُ: يَا بَنِيَّةُ، حَاجَةٌ غَيْرُ هَذَا. قَالَتْ: مَا أُرِيدُ غَيْرُهُ، وَكَانَ الْمَلِكُ إِذَا كَذَبَ فِيهِمْ عَزَلَ عَنْ مُلْكِهِ، فَخَيَّرَ بَيْنَ مُلْكِهِ وَبَيْنَ قَتْلِ يَحْيَى عليه السلام، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَمَرَتْ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْهَا، وَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُحْتَنَصْرًا، فَجَعَلَ يَرْمِي عَلَيْهِمُ بِالْمَنَاجِقِ وَلَا تَعْمَلُ شَيْئًا، فَحَرَجَتْ إِلَيْهِ عَجُوزٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَذِهِ مَدِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَا تَنْفُخُ إِلَّا بِمَا أُدْلِكَ عَلَيْهِ، قَالَ: لَكَ مَا سَأَلْتُ، قَالَتْ: ازْمِمْهَا بِالْحَبْثِ وَالْعَذَرَةِ، فَفَعَلَ، فَتَقَطَّعَتْ، فَدَخَلَهَا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالْعَجُوزِ، فَقَالَ لَهَا: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: فِي الْمَدِينَةِ دَمٌ يَغْلِي، فَأَقْتُلْ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْكُنَ، فَقَتَلَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفًا حَتَّى سَكَنَ. يَا وَلَدِي، يَا عَلِيَّ، وَاللَّهِ لَا يَسْكُنُ دَمِي حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْمَهْدِيَّ عليه السلام، فَيَقْتُلَ عَلَيَّ دَمِي مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْكُفْرَةِ الْفَسَقَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا^(١).

الرواية السابعة:

في علل الشرائع: الدَّقَاقُ وَابْنُ عِصَامٍ مَعًا، عَنْ الْكَلِينِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ الْعَمِّيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ الثُّمَالِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ الْبَاقِرَ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَسْتُمْ كُلُّكُمْ قَائِمِينَ بِالْحَقِّ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ سُمِّيَ الْقَائِمُ قَائِمًا؟ قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ جَدِّي الْحُسَيْنُ عليه السلام صَبَحَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ، وَقَالُوا: إِلَهْنَا وَسَيِّدُنَا، أَتَغْفُلُ عَمَّنْ قَتَلَ صَفْوَتَكَ وَابْنَ صَفْوَتِكَ وَخَيْرَتَكَ مِنْ خَلْقِكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) إِلَيْهِمْ: قَرُّوا مَلَائِكَتِي، فَوَعِزَّتِي وَجَلَّالِي لَا تَنْقِمَنَّ مِنْهُمْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَنِ الْأَيِّمَةِ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام

لِلْمَلَائِكَةِ، فَسَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ، فَإِذَا أَحَدُهُمْ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَقَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): بِذَلِكَ الْقَائِمِ أَنْتَقِمُ مِنْهُمْ»^(١).

تقريب الاستدلال: في هذه الرواية يُبين الإمام عليه السلام وجه تسمية الإمام الحجة القائم، وهو لأنه يقوم بالانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وبأخذ بثأره، وأن ذلك يُشفي صدر الملائكة عليهم السلام.

ولا ينافي ذلك ما ورد من روايات أخرى أنه سُمي القائم لأنه يقوم بالحق كما في رواية الإرشاد: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ جَدِيداً، وَهَدَاهُمْ إِلَى أَمْرِ قَدْ دَثَرَ وَضَلَّ عَنْهُ الْجُمْهُورُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَائِمُ مَهْدِيّاً لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَمْرِ مَضْلُوعٍ عَنْهُ، وَسُمِّيَ الْقَائِمَ لِقِيَامِهِ بِالْحَقِّ»^(٢).

أو لأنه يقوم بعد موت ذكره كما في رواية (معاني الأخبار): «سُمِّيَ الْقَائِمُ عليه السلام قَائِماً لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِهِ [مَوْتِ] ذِكْرِهِ»^(٣).

لأن ذلك من باب تعدد علل التسمية، كما أن الأخذ بثأر الحسين عليه السلام من مصاديق القيام بالحق، فلا منافاة بالتعبير بين الروايات.

فمن جدول أعمال القيام للإمام الحجة عليه السلام أن يطهر الأرض من الظالمين ومن قتلة الإمام الحسين وذراريهم السائرين على نهجهم والراضين بأفعالهم.

وذلك يأخذ بالتأثر التام - كما تقدّم - الذي يشفي صدر النبي الكريم وعموم المؤمنين الصالحين والملائكة الضاحين.

وبذلك يتحقق العدل الإلهي التام، فيمنّ الله على المستضعفين بالفتح، ويقضي على المستضعفين - بالكسر - كما عبّرت الآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٢١ / ح ٤.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٣٠ / ح ٧.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٣٠ / ح ٣.

في الأرض ﴿ (القصص: ٥).

فقد جاء في (تفسير القمي)^(١): «أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَبَشَّرَهُ بِالْحُسَيْنِ ﷺ قَبْلَ حَمَلِهِ، وَأَنَّ الْإِمَامَةَ تَكُونُ فِي وَلَدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمُصِيبَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، ثُمَّ عَوَّضَهُ بِأَنْ جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي عَقِبِهِ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يُقْتَلُ، ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى الدُّنْيَا وَيَنْصُرُهُ حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ، وَيَمْلِكُهُ الْأَرْضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الْآيَةِ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فَبَشَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ أَهْلَ بَيْتِكَ يَمْلِكُونَ الْأَرْضَ وَتَرَجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَيَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ...».

وروى الحصري - قد طَبَّقَ الإمام العسكري ﷺ الآية المباركة على الإمام الحجة ﷺ: قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ﷺ: «يَا عَمَّةُ، اذْهَبِي بِهِ إِلَى أُمِّهِ لِنُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَأُتِينِي بِهِ»، فَمَضَتْ بِهِ إِلَيْهَا، فَسَلِّمَتْ عَلَيْهِ، وَرَدَّتْهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ كَالْجَبَابِ، فَلَمْ أَرِ سَيِّدِي، فَقُلْتُ لِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا سَيِّدِي، أَيْنَ مَوْلَايَ؟ فَقَالَ: «أَخَذَهُ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ، فَإِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَأَتِنَا»، فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ السَّابِعُ أَتَيْتُ وَسَلِّمْتُ وَجَلَسْتُ، فَقَالَ لِي ﷺ: «هَلُمَّ ابْنِي»، فَجِئْتُ سَيِّدِي وَهُوَ فِي ثِيَابٍ صُفْرٍ، فَقَعَلَ بِهِ كِفْعَلِهِ الْأَوَّلَ، وَجَعَلَ لِسَانَهُ فِي فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «تَكَلَّمْ يَا بَنِي»، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَتَيْتُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامَةِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَبِيهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُكَفِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُزَيِّرَنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦٥]»^(٢).

وفي (بحار الأنوار)^(٣): عن الغيبة للشيخ الطوسي: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ

(١) تفسير القمي ٢: ٢٩٧.

(٢) الهداية الكبرى: ٣٥٦.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٥٤ / ح ٣٥، عن الغيبة للطوسي: ١٨٤ و ١٨٥ / ح ١٤٣.

مُحَمَّدٍ الْقَطْعِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ يَحْيَى الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، قَالَ عليه السلام: «هُمْ أَلْ مُحَمَّدٍ، يَبْعَثُ اللَّهُ مُهْدِيَهُمْ بَعْدَ جَهْدِهِمْ، فَيُعِزُّهُمْ، وَيُذِلُّ عَدُوَّهُمْ».

هذا ما اردنا بيانه في رفع اشكالية قتل ذراري قتلة الامام الحسين عليه السلام من قبل ولي
دمه الامام الحجة عليه السلام.

البحث التاسع :

حضور السيدة الزهراء

في مجالس سيد الشهداء

توطئة:

من المسائل التي شاعت وانتشرت في العرف الموالي لال البيت عليه السلام حتى أصبحت من المسلمات بين المؤمنين هو حضور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في مجالس العزاء الحسيني ، فاضاف هذا الحضور اجلال الى اجلال لتلك المجالس المقدسة التي أصبحت اليوم منبرا داعيا لله ورسوله وبيانا للمعالم الدينية على المستوى العقدي والعلمي.

وهذا الامر وان سلم عند اكثر المؤمنين بل حتى في اكثر الاوساط العلمية والعلمائية الا اني وجدت من ينفيه اخيرا بشكل قطعي ويراه صورة من صور الغلو بهذه المجالس المقدسة وبمقامات ال بيت النبي صلوات الله عليهم اجمعين فجاء هذا البحث المختصر كدفاع عن هذا الاعتقاد.

ومن الغريب ان يجزم المنكر بالنفي لان هذا الامر هو اقرب للامر الغيبي والمعنوي الذي لا ينفي بمجرد عدم امكان الوجود المادي او الحسي للسيدة الزهراء عليها السلام او بمجرد عدم امكان تصور ذلك عقلا ، وهذا السبب الاخير هو الذي دعى للانكار ، وهو ان الزهراء عليها السلام امرأة واحدة فكيف لها ان تحضر لمئات او آلاف المجالس الحسينية في آن واحد ، مما دعى بعض لانكار هكذا حضور او اشكالهم بانها ميتة فما معنى حضورها تلك المجالس ؟.

ولا يخفى ان هذه النظرة من المنكرين نظرة مادية بحتة وخالية من البعد الميتافيزيقي الذي تؤمن به كل الشرائع بما فيها شريعة الاسلام بل هو جزء من الدين وصفة من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾^(١).

فلا يجوز بحال من الاحوال قياس الامور الماورائية بالامور المادية لان هذا خلاف نظرة الدين ، وانكارها لمجرد انها غير محسوسة او لا يمكن تخريجها وفق الاطر المادية ، فلا اقل من السكوت عنها وعدم الرجم بالغيب والجزم بانكارها او القول بمغالطات من يومن بها ، خصوصا وان النبي واله والسيدة الزهراء لهم من الخصوصية ما ليس لغيرهم كما نصت الايات والروايات كما ثبت في محله من كتب الحديث والعقائد.

وفي هذا البحث المختصر حاولنا ابراز ادلة وشواهد شرعية معتبرة تدفع اشكال الامتناع لهكذا حضور بل داعمة لوقوع ذلك في مواطن عديدة لال البيت عليه السلام او لخصوص السيدة الزهراء عليها السلام.

فاذا ثبتت تلك الشواهد فمن باب وحدة المناط وإلغاء الخصوصية يمكن التعميم لمسالتنا والقول بإمكان حضور السيدة الزهراء عليها السلام بل ووقوعه لما تكرر من نظائر ذلك من حضور النبي وال البيت والسيدة الزهراء صلوات الله عليهم في مواطن عديدة مشابهة كما سنشير في طيات البحث.

وبهذا يكون الحضور امرا ممكنا لا غلو فيه ، غاية الامر يبحث عن سنخ هذا الحضور ، وهل هو حضور مادي او معنوي او اشرافي ؟ وهذا ما سيأتي بيانه لاحقا ، اما اصل الانكار فلا مجال له ابدا.

مقدمة: نبذة من مقام السيدة الزهراء عليها السلام:

لاشك ان السيدة الزهراء عليها السلام لها مقامات كثيرة لم تثبت لاحد غيرها الا لانيها وبعلمها، وهنا نذكر بعبارة اشارات لبعض تلك المقامات:

المقام الاول: انها سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين.

ورد ذلك في روايات مستفيضة منها ما في معاني الاخبار باسناد عن الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قُلْتُ لِأَيِّ عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ' فِي فَاطِمَةَ أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا فَقَالَ «ذَلِكَ لِزَيْمٍ كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِهَا وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(١).

ودلالة الرواية واضحة في تقددها على جميع نساء العالمين من الاولين والآخرين منذ خلق النبي ادم عليه السلام الى قيام يوم الدين وانها افضل من مريم واسيا وخديجة عليها السلام ونساء الانبياء جميعا فضلا عن غيرهن.

المقام الثاني: انها سيدة نساء اهل الجنة:

ورد ذلك في عدة روايات وزيارات منها ما في زيارة الامام الرضا عليه السلام: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَرَوْجَةِ وَلِيِّكَ وَأُمِّ السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَتِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الطُّهْرَةِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ [النَّقِيَّةِ] الرَّضِيِّةِ الزَّكِيَّةِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَسَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ)^(٢)

دلالة الرواية واضحة بانها كما كانت سيدة نساء اهل الارض اجمعين فهي سيدة نساء اهل الجنة اجمعين فلا تساويها في مقامها كل النساء.

(١) في معاني الأخبار؛ ص: ١٠٧

(٢) كامل الزيارات؛ ص: ٣١٠

المقام الثالث: مقامها في الآخرة (أنها تأمر وتنهى في يوم القيامة):

روى فرات الكوفي في تفسيره بإسناده عن النبي الأعظم: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَمَا تُحْيِيَنَّ أَنْ تَأْمُرِينَ غَدًا [بِأَمْرِ] فَتُطَاعِينَ فِي هَذَا الْخَلْقِ عِنْدَ الْحِسَابِ... أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَنْظُرِينَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ عَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَإِلَى مَا تَأْمُرِينَ بِهِ»^(١)

في الرواية جمل تدل على عظيم ولايتها ، وانها تكون أمرة ناهية يوم القيامة من خلال سلطة تعطى لها من قبل الله تعالى ، وظاهر الرواية ان هذا المقام غير مقام الشفاعة وهو اعلى منه اذ ان الشفيع وسيط ، اما الأمر والناهي فهو قاضي وحاكم.

المقام الرابع: صلتها المباشرة بالسماء:

مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ عليه السلام عَنْ رَجَالِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ السَّكُونِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ «بَيْتٌ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةٌ مِنْ حُجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسَقَفٌ بَيْنَهُمْ عَرْشُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَفِي قَعْرِ بَيْتِهِمْ فُرْجَةٌ مَكْشُوطَةٌ إِلَى الْعَرْشِ مِعْرَاجُ الْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِالْوَحْيِ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَنْقُطِعُ فَوْجُهُمْ فَوْجٌ يَنْزِلُ وَفَوْجٌ يَصْعَدُ وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَشَطَ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام عَنْ السَّمَاوَاتِ حَتَّى أَبْصَرَ الْعَرْشَ وَزَادَ اللَّهُ فِي قُوَّةِ نَظَرِهِ وَإِنَّ اللَّهَ زَادَ فِي قُوَّةِ نَظَرِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنَ عليه السلام وَكَانُوا يُبْصِرُونَ الْعَرْشَ وَلَا يَجِدُونَ لِبَيْتِهِمْ سَقْفًا غَيْرَ الْعَرْشِ فَيُبْصِرُهُمْ مُسَقَّفَةٌ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ وَمَعَارِجُ مِعْرَاجِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فَوْجٌ بَعْدَ فَوْجٍ بِلَا انْقِطَاعٍ لَهُمْ وَمَا مِنْ بَيْتٍ مِنْ بَيْتٍ الْأَيْمَةِ مِنَّا إِلَّا وَفِيهِ مِعْرَاجُ الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بِكُلِّ أَمْرٍ سَلَامٍ قَالَ قُلْتُ ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَالَ بِكُلِّ أَمْرٍ قُلْتُ هَذَا التَّنْزِيلُ قَالَ نَعَمْ»^(٢)

(١) في تفسير فرات الكوفي ؛ ص ١٧٢

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ؛ ص ٧٩٢

فهناك ارتباط روحي مباشر بين الوحي وبين هذا البيت النبوي العلوي الفاطمي ، وإن هذا الارتباط بقي متواصلاً بعد النبي لا من باب النبوة وإنما من باب أنها محدثة كما ورد في الروايات.

ففي بصائر الدرجات حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاطٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: «سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ لَهُ فَمُصْحَفُ فَاطِمَةَ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ إِنَّكُمْ لَتَبْحَثُونَ عَمَّا تَرِيدُونَ وَعَمَّا لَا تَرِيدُونَ إِنَّ فَاطِمَةَ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ يَوْمًا وَقَدْ كَانَ دَخَلَهَا حُزْنٌ شَدِيدٌ عَلَى أَبِيهَا وَكَانَ جَبْرِئِيلُ يَأْتِيهَا فَيُحْسِنُ عَزَاهَا عَلَى أَبِيهَا وَيُطَيِّبُ نَفْسَهَا وَيُخْبِرُهَا عَنْ أَبِيهَا وَمَكَانِهِ وَيُخْبِرُهَا بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا وَكَانَ عَلِيٌّ يَكْتُبُ ذَلِكَ فَهَذَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ»^(١).

المقام الخامس: مقام الكفوية:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ «لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفُوٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ»^(٢).

وهذا يؤكد علو مقامها على جميع الخلق إلا أبايها وعلوها إذ لا مكافئ لها في الخلق من النبي آدم ﷺ فما دون إلا الإمام علي ابن أبي طالب ﷺ.

المقام السادس: مقام الغضب لغضبها والرضا لرضاها

وردت بهذا المضمون روايات مستفيضة منها ما في الإحتجاج عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ﷺ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضَبُ

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ؛ ج ١ ؛ ص ١٥٣

(٢) الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج ١ ، ص : ٤٦١

لِغَضَبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ قَالَ فَقَالَ الْمُحَدِّثُونَ بِهَا قَالَ فَأَتَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا الْيَوْمَ حَدِيثًا اسْتَشْهَرَهُ النَّاسُ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ لِيغْضَبُكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ قَالَ فَقَالَ ﷺ نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ فِيهَا تَرُوْنَ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ ﷺ فَمَا تُنْكِرُونَ أَنْ تَكُونَ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُؤْمِنَةً يَرْضَى اللَّهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِيغْضَبِهَا قَالَ صَدَقْتَ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١).

وغيرها من المقامات العظيمة التي اختصت بها كما اشارت كتب الحديث والعقائد^(٢)

شواهد وادلة الحضور:

الشاهد الاول:

ما روي في كامل الزيارات باسناده عن دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ «إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَحْضُرُ لَزُورِ قَبْرِ ابْنِهَا الْحُسَيْنِ ﷺ فَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ»^(٣).

تقريب الاستدلال: فهذه الرواية وان كانت ضعيفة السند الا متلقة بالقبول والاخذ كما انها موافقة لقواعد واصول المذهب ، وقد رواها المحدث الكبير ابن قولويه في كتابه الجليل كامل الزيارات الذي هو محل قبول من الاصحاب كاستاذ الفقهاء السيد الخوئي + ، ويمكن الاعتماد عليها ممن يقول بمبنى الوثوق بالصدور.

وهي دالة على حضورها عند زوار قبر ولدها الحسين ﷺ بالرغم من كثرة عدد الزائرين والزائرات واختلاف أماكنهم وان زاروا في وقت واحد كما هو الحال في الزيارات العامة

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج ٤٣ ؛ ص ٢٠

(٢) يراجع فيها على سبيل المثال كتاب استاذنا السند دامت افادته مقامات الزهراء عليها السلام

(٣) ص ١١٨ .

وأوضح في الزيارات المخصوصة كزيارة الأربعين وزيارة الخامس عشر من شعبان وزيارة يوم عاشوراء.

والحضور في اللغة هو التواجد اعم من التواجد المادي والمعنوي كما في حضور البدن او حضور النفس او الروح وهي مستعملة في القرآن الكريم كثيرا^(١).

فهي سلام الله عليها تحضر شعيرة الزيارة الحسينية وتستغفر لزوار ولدها الشهيد المظلوم ، فما المانع من انها تحضر شعيرة أخرى من الشعائر الحسينية لا تقل أهمية من شعيرة الزيارة الا وهي حضور مجالس الغزاء الحسيني التي فيها ذكر لمصيبة الحسين وما جرى عليه وعلى اله واصحابه .

فبوحة المناط وهو الحضور عند ذكر الحسين عليه السلام وما جرى عليه من مظلومية تحضر في الزيارة والمجالس على حد سواء ولا خصوصية لحضورها في الزيارة فقط .

الشاهد الثاني :

ما رواه البحار بإسناده عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «بَا زُرَّارَةُ مَا فِي الْأَرْضِ مُؤْمِنَةٌ إِلَّا وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهَا أَنْ تُسْعِدَ فَاطِمَةَ عليها السلام فِي زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ»^(٢).

تقريب ذلك: ان الاسعاد للسيدة الزهراء عليها السلام يتم من خلال توجه المؤمنات الصالحات الى زيارة ابي الاحرار عليه السلام ضمن الضوابط الشرعية التي طرحتها في بحث سابق (مشي النساء).

فان هذا العمل يدخل السعادة والسرور على السيدة الزهراء عليها السلام ، وعادة الاسعاد والسرور ان يكون ملازما للمشاهدة والحضور منها عليها السلام لزيارات ابنها.

(١) مفردات الفاظ القرآن ص ٢٤١ حضر

(٢) بحار الأنوار؛ ج ٩٨، ص: ٧٥.

ولا خصوصية للإسعاد الحال لها من شعيرة زيارة الامام الحسين عليه السلام بل يعم لكل شعائر الحسين عليه السلام مع انطباق عنوان الشعيرية كما في المجالس الحسينية فانها من مظاهر اسعادها وفرحها وحضورها واشرافها بروحها.

الشاهد الثالث:

ما روي في كامل الزيارات ايضا وهي معتبرة الحَرْثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَإِذَا هُمْ بِزِيَارَتِهِ الرَّجُلُ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ ذُنُوبَهُ فَإِذَا خَطَا مَحْوَاهُمْ ثُمَّ إِذَا خَطَا ضَاعَفُوا لَهُ حَسَنَاتِهِ فَمَا تَزَالُ حَسَنَاتُهُ تَضَاعَفُ حَتَّى تُوجِبَ لَهُ الْجَنَّةَ ثُمَّ اكْتَنَفُوهُ وَقَدَّسُوهُ وَيُنَادُونَ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ أَنْ قَدَّسُوا زُورَ حَبِيبِ اللَّهِ فَإِذَا اغْتَسَلُوا نَادَاهُمْ مُحَمَّدٌ عليه السلام يَا وَفَدَ اللَّهُ أَبَشِّرُوا بِمُرَافَقَتِي فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ نَادَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَا ضَامِنٌ لِقَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ وَدَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثُمَّ التَّقَاهُمْ النَّبِيُّ عليه السلام عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ حَتَّى يَنْصَرِفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ».^(١)

تقريب الاستدلال: فالنداء من النبي الاكرم ' لهم مشعر بانه حاضر بين الزائرين حضورا فعليا ومبشرا لهم بانهم رفقاءه في الجنة ، وكذلك نداء امير المؤمنين عليه السلام لهم وضمانه لقضاء حوائجهم في الدارين ، وبعد هذا النداء يكتنفهم النبي ويلتقي بهم عن يمينهم وشمالهم وهذا اشعار بل ظهور بانه حاضر معهم في ميدان الزيارة حتى ينصرفوا الى أهلهم غاية الامر انه حضور روحاني او اشراقي لا مادي .

ورواها ايضا العلامة المجلسي في بحار الأنوار.^(٢)

فهذا اللقاء من النبي والأمير - صلوات الله ليهما - بالزوار لظف البشارة لهم بثبت امكان

الحضور هكذا اماكن مقدسة من قبل هكذا ذوات مقدسة، فبعد سلب خصوصية الحضور عن النبي والأمر عليه السلام وسلب الخصوصية عن أماكن الزيارة، فنوسع المناط الى السيدة الزهراء لأنها تحضر معهم كما دلت الأدلة في مواطن عديدة - يأتي بعضها - وللمجالس الحسينية لما مر في الشاهد الاول.

الشاهد الرابع:

ما رواه المحدث العاملي في وسائل الشيعة: وهي مصححة عبد العظيم الحسيني عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث قال: «مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ - وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يُرْجَى أَنْ تَكُونَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ - وَفِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ - صَافِحَةً أَرْبَعَةً وَعِشْرُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَنَبِيٍِّّ - كُلُّهُمْ يَسْتَأْذِنُ اللَّهَ فِي زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»^(١).

تقريب الاستدلال: فهذه الرواية تثبت خصوصية عظيمة لزوار الحسين عليه السلام في وقت مخصوص وهو ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك التي تشير الروايات انها ليلة القدر على اقرب الاحتمالات وهو مصافحة أربعة وعشرين الف ملك ونبي من الأنبياء عليهم السلام ، وهذه المصافحة سواء كانت معنوية ام غير ذلك فهي تدل على حصولها لكل الزائرين مع كل هذا العدد من الأنبياء والملائكة واحدا واحدا ، ومع الاعداد الهائلة من الزوار فالمصافحة حاصلة لهم.

وهذا المضمون من المصافحة مستفيض في الروايات ولا يسع احد انكاره ، فاذا صح لهم هذا الامر يصح للزهراء عليها السلام وهو حضورها الى زوار الحسين وبوحدة المناط توسع المقام لحضور الزهراء لمجالس النساء مع تعدد المجالس.

الشاهد الخامس:

ما رواه ابن قولوية في كامل الزيارات وهو موثق أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام والْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِي حَمَزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَا «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُصَافِحَهُ مِائَةُ أَلْفٍ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ فَلْيُزِرْ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّ أَرْوَاحَ النَّبِيِّينَ عليهم السلام يَسْتَأْذِنُونَ اللَّهَ فِي زِيَارَتِهِ فَيُؤْذَنُ لَهُمْ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قُلْنَا مَنْ هُمْ قَالَ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ قُلْنَا لَهُ مَا مَعْنَى أُولَى الْعِزْمِ قَالَ بُعِثُوا إِلَى شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا جَنَّتْهَا وَإِنْسَهَا»^(١)

تقريب الاستدلال: مر تقريب الاستدلال في الشاهد السابق على هذه الرواية، غاية الامر ان هذه الخصوصية بالمصافحة تثبت لمن زار الامام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان يوم مولد الاخذ بالثار الذي من يملا الأرض قسطا وعدلا.

كما تبين الرواية ان أرواح الأنبياء تحضر هناك وهذا الحضور هو حضور روحاني لهم ومصافحة روحانية منهم مع الزائرين.

فكذلك حضور الزهراء عليها السلام يكون حضورا روحانيا على اقل التقادير لعظيم مقامها كما مر بيانه في المقدمة.

الشاهد السادس:

ما رواه الحر العاملي في وسائل الشيعة عن الحسن بن محمد الطوسي في أماليه عن أبيه عن المفيد (بسند معتبر) مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ «إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ - يَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ مُعْسِكَرِهِ وَمَنْ حَلَّهُ مِنْ الشَّهَدَاءِ مَعَهُ - وَيَنْظُرُ إِلَى زُؤَارِهِ وَهُوَ أَعْرَفُ بِهِمْ وَبِأَسْمَائِهِمْ - وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ -

وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَحَدِكُمْ بَوْلَدِهِ وَإِنَّهُ لَيَرَى مَنْ سَكَنَهُ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ - وَيَسْأَلُ آبَاءَهُ عليهم السلام أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ - وَيَقُولُ لَوْ يَعْلَمُ زَائِرِي مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ - لَكَانَ فَرْحُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَمِّهِ - وَإِنْ زَائِرُهُ لَيَنْقَلِبُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ»^(١).

وقريب من هذه الرواية رواية مدينة المعاجز^(٢) عن كامل الزيارات بسناده عن عبد الله بن بكير عن الصادق عليه السلام: قَالَ حَجَجْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَوْ نُبِشَ قَبْرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام هَلْ كَانَ يُصَابُ فِي قَبْرِهِ شَيْءٌ فَقَالَ «يَا ابْنَ بُكَيْرٍ مَا أَعْظَمَ مَسْأَلِكَ إِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمَعَهُ يُرْزَقُونَ وَيُحْبَرُونَ وَإِنَّهُ لَعَنَ يَمِينِ الْعَرْشِ مُتَعَلِّقٌ بِهِ يَقُولُ - يَا رَبِّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى زُورَارِهِ وَإِنَّهُ أَعْرَفُ بِهِمْ وَيَأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَمَا فِي رِحَالِهِمْ مِنْ أَحَدِهِمْ بَوْلَدِهِ وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَبْكِيهِ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَسْأَلُ آبَاءَهُ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُ وَيَقُولُ أَيُّهَا الْبَاكِي لَوْ عَلِمْتَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ لَفَرَحْتَ أَكْثَرَ مِمَّا حَزَنْتَ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ»

تقريب الاستدلال: فان الامام الحسين عليه السلام - مع سعة أعداد الزائرين - يشرف عليهم وينظر لهم وهو اعرف بصفاتهم واسمائهم ودرجاتهم ومنزلهم ومن يحضر عنده ، ولا خصوصية للحسين عليه السلام بهذا الحضور والمعرفة فهذا ثابت للزهراء عليها السلام لما مر بيانه في تقريبات ماضية ولعظيم مقامها على مقامه.

الشاهد السابع:

الآيات والروايات الدالة على ان ال البيت عليهم السلام يطلعون ويرون سائر اعمال العباد في اليوم واللييلة ، فان العديد من الروايات المستفيضة قد دلت على ان النبي والائمة صلوات الله

عليهم ومن ضمنهم الزهراء عليها السلام يطلعون على اعمال الناس خيرا وشرها كما اشارت الروايات في تفسير الاية الشريفة: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ...﴾^(١).

تقريب الاستدلال: فالنبي والائمة عليهم السلام يطلعون على كل هذا الكم الهائل مع كثرتة وهذا يشعر بسعة ارواح الائمة الوجودية التي تمكنهم من الاطلاع على ذلك الكم في كل يوم ، فلا يبعد حضورهم عند الزوار او المجالس الحسينية حتى مع سعتها وكمية حاضريها والاطلاع على اعمالهم.

ومن هذه الروايات:

١ - موثقة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ صَبَاحٍ أَبْرَارُهَا وَفُجَارُهَا فَاحْذَرُوهَا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى - ﴿اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ وَسَكَتَ»^(٢).

٢ - معتبرة يعقوب بن شعيب قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ «هُمُ الْأَيُّمَةُ»^(٣).

٣ - معتبرة مغلّي بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام «فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ' وَالْأَيُّمَةُ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ خَمِيسٍ»^(٤).

وغيرها من الروايات المستفيضة مضمونا.

(١) التوبة ١٠٥

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ١، ص: ٢١٩

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ١، ص: ٢١٩

(٤) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ؛ ج ١ ؛ ص ٤٢٧

قال المولى المازندراني في شرحه الكافي: (ظاهر أحاديث هذا الباب أنَّ أعمال كلِّ أحد تعرض على رسول الله ' مفصله في كلِّ يوم وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن تعرض عليه أعمال اليوم واللييلة معا وقت الصبح ويشعر به هذا الخبر، وثانيهما أن تعرض أعمال الليل في الصباح وأعمال النهار في المساء لأنَّهما وقتان لرفع الأعمال).^(١)

الشاهد الثامن:

الروايات المستفيضة الدالة على حضور النبي والأئمة عليهم السلام الى المؤمن قبيل موته وساعة احتضاره وعند النزع.

تقريب الاستدلال: ومع كثرة موتى المؤمنين في نفس الان ولعل هناك مئات يموتون في ان واحد وبالرغم من ذلك يحضر النبي واله عندهم وهذا امر متسالم عليه ، فلماذا نستغرب من حضور الزهراء لمجالس العزاء في أماكن متعددة في ان واحد. فهذه الروايات دلالتها واضحة على امكان حضور النبي واله في أماكن متعددة في ان واحد فلا فرق بين المشهدين من حيث الإمكان.

قال العلامة المجلسي: (باب ٧ ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن وعرض الأعمال عليهم صلوات الله عليهم).^(٢)
ثم روى مجموعة من الروايات في ذلك منها:

الرواية الأولى:

ما في تفسير الإمام عليه السلام: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمَوَالِيَّ لِحَمْدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْمُتَّخِذِينَ لِعَلِيٍّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِمَامَهُ الَّذِي يَحْتَضِي مِثَالَهُ وَسَيِّدَهُ الَّذِي يُصَدِّقُ أَقْوَالَهُ وَيُصَوِّبُ أَفْعَالَهُ وَيُطِيعُهُ بِطَاعَةِ مَنْ

(١) شرح الكافي - الأصول و الروضة ج ٥ ؛ ص ٣٣٩

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت) ؛ ج ٦ ؛ ص ١٧٣ وما بعدها.

يَنْدُبُهُ مِنْ أَطَائِبِ ذُرِّيَّتِهِ لِأُمُورِ الدِّينِ وَسِيَاسَتِهِ إِذَا حَضَرَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يُرَدُّ وَنَزَلَ بِهِ مِنْ قَضَائِهِ مَا لَا يَصُدُّ وَحَضَرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ وَجَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنْ جَانِبِ آخَرٍ عَلِيًّا سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْحَسَنِ سَبْطَ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ وَمِنْ جَانِبِ آخَرِ الْحُسَيْنِ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ أَجْمَعِينَ وَحَوَالِيَهُ بَعْدَهُمْ خِيَارَ خَوَاصِّهِمْ وَمُحِبِّهِمُ الَّذِينَ هُمْ سَادَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ سَادَاتِهِمْ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَنْظُرُ الْعَلِيلُ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهِمْ فَيَحَاطِبُهُمْ بِحَيْثُ يَحْجُبُ اللَّهُ صَوْتَهُ عَنْ آذَانِ حَاضِرِيهِ كَمَا يَحْجُبُ رُؤْيَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرُؤْيَا خَوَاصِّنَا عَنْ أَعْيُنِهِمْ لِيَكُونَ إِيمَانُهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمَ ثَوَابًا لِشِدَّةِ الْمَحَنَةِ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ رَبِّ الْعِزَّةِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا وَصِيَّ رَسُولِ رَبِّ الرَّحْمَةِ بِأَبِي أَنْتُمَا وَأُمِّي يَا شِبْلِي مُحَمَّدٍ وَضِرْعَامِي يَا وَلَدِيهِ وَسِبْطِيهِ يَا سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُقَرَّرِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ مَرْحَبًا بِكُمْ مَعَاشِرَ خِيَارِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَلَدَيْهِمَا مَا كَانَ أَعْظَمَ سُوقِي إِلَيْكُمْ وَمَا أَشَدَّ سُرُورِي».

الرواية الثانية:

ما فى كِتَابِ حُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ وَالْوَادِ الْقَاسِمِ عَنْ كُلَيْبِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ بَلَعْنَا عَنْكَ حَدِيثَ قَالَ «وَمَا هُوَ» قُلْتُ قَوْلُكَ إِنَّمَا يَغْتَبِطُ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا كَانَ فِي هَذِهِ وَأَوْمَاتُ يَدِكَ إِلَى خَلْقِكَ فَقَالَ «نَعَمْ إِنَّمَا يَغْتَبِطُ أَهْلُ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا بَلَغَتْ هَذِهِ وَأَوْمًا بِيَدِهِ إِلَى خَلْقِهِ أَمَّا مَا كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ وَلَّى عَنْهُ وَأَمَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

الرواية الثالثة:

ما فى تفسير القمي أَبِي عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا يَمُوتُ مُوَالٍ لَنَا مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِنَا إِلَّا وَيَحْضُرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنُ

وَالْحُسَيْنُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَيَرُونَهُ وَيُبَشِّرُونَهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُوَالٍ لَنَا يَرَاهُمْ بِحَيْثُ يَسُوؤُهُ
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِحَارِثِ الْأَهْمَدَانِيِّ

يَا حَارِ هَمْدَانُ مَنْ يَمُتْ يَرِنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلَا

الرواية الرابعة:

ما في المحاسن ابنُ فَضَّالٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَوَاضٍ قَالَ
سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ «إِذَا بَلَغَتْ نَفْسٌ أَحَدَكُمْ هَذِهِ قِيلَ لَهُ أَمَا مَا كُنْتَ تَحْزَنُ مِنْ هَمِّ
الدُّنْيَا وَحُزْنِهَا فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ وَيُقَالُ لَهُ أَمَامَكَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام».

الرواية الخامسة:

ما في كتاب حسين بن سعيد والنوادر حَمَّادُ بْنُ عَيْسَى عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَبِي
بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيًّا
بِحَضْرَتِهِ».

ثم قال: أقول قد مر كثير من أخبار هذا الباب في الأبواب السابقة وسيأتي كثير منها
في باب البرزخ وغيرها ^(١).

الرواية السادسة:

قَالَ الْبُزْجِيُّ فِي مَسَارِقِ الْأَنْوَارِ، رَوَى الْمُفِيدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله «يَا عَلِيُّ عليه السلام إِنَّ مُحِبَّكَ يَفْرَحُونَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ عِنْدَ خُرُوجِ
أَنْفُسِهِمْ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَشْهَدُهُمْ وَعِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تُلَقِّتُهُمْ وَعِنْدَ الْعَرْضِ

عَلَى اللَّهِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَعْرِفُهُمْ»^(١).

فهذه الروايات تدل على حضورهم وحضور الزهراء عند المؤمنين في ساعة الاحتضار مع كثرتهم ، فلماذا نشكك بإمكان حضور المجالس مع كثرتها.

الشاهد التاسع :

وهذا اقرب للدليل منه الى الشاهد فيما اذا تمت الرواية سنداً ، ولكننا عبرنا عنها شاهدا لصعوبة اعتبار سندها وان تمت دلالتها بنحو المطابقة على حضور الزهراء عليها السلام لمجالس العزاء بشهادة الامام الصادق عليه السلام.

وقد روى هذه الرواية السيد علي الهاشمي في كتابه ثمرات الاعواد : (ان فضيل صنع مأتماً للحسين عليه السلام ولم يخبر به امامنا الصادق عليه السلام فلما كان اليوم الثاني اقبل الى الامام فقال له يا فضيل اين كنت البارحة ؟ فقال سيدي شغل عاقتني فقال «يا فضيل لا تخفي عليه، اما صنعت مأتماً واقمت بدارك عزاء في مصاب جدي الحسين عليه السلام» فقال بلى سيدي ، فقال عليه السلام «وانا كنت حاضراً» ، قال سيدي اذن ما رايتك ؟ اين كنت جالسا ؟ فقال عليه السلام «لما اردت الخروج من البيت اما عثرت بثوب ابيض». فقال بلى سيدي ، فقال عليه السلام «انا كنت جالسا هناك» ، فقال له سيدي لم جلست بباب البيت ولم تصدرت بالمجلس ؟ فقال الصادق عليه السلام «كانت جدي فاطمة بصدر المجلس جالسة لذا ما تصدرت اجلالا لها»^(٢).

ودلالتها واضحة في المراد المطابق للبحث وهو حضور السيدة الزهراء عليها السلام الا ان سندها مشكل الا ان يقبل متنها لموافقته لما مر من شواهد ، والله العالم .

(١) المصدر والصفحة.

(٢) ثمرات الاعواد ج ١ ص ٣١

تتمتان:

لإكمال الفائدة في البحث ننممه بتتمتين:

الأولى: تحقيق ذكره العلامة الكبير المجلسي في بحار الانوار ، صور فيه حضور النبي والأئمة عند المؤمنين حال الوفاة ، وقدم مجموعة أجوبة في ماهية الحضور المقدس لهذه الذوات ، وهذه الأجوبة التي اعتمدها يمكن ان تجري في مسالتنا وهي حضور الزهراء للمجالس وان كانت المجالس كثيرة كما هو حالها.

الثانية: بيان فتاوى جمع من المراجع المعاصرين ، كمؤيد لفهم الروايات وما بنى عليه من حضورها في المجالس حضوراً فعلياً وان كان الخلاف في حضورها كنور او روح او اشراق ، وان كان الاصح ان لها جسماً مثالياً او روحاً هي التي تحضر وليس حضوراً اشراقاً فقط كما هو ظاهر الروايات ووفقاً لكلام بعض الاعلام.

التتمة الأولى:

تحقيق ذكره العلامة المجلسي مفيد في المقام:

قال المجلسي قدس سره: (تذييل: اعلم أن حضور النبي ' والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخبار وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليه السلام وما يقال من أن هذا خلاف الحس والعقل أما الأول فالأول فلأننا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً وأما الثاني فلأنه يمكن أن يتفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعددة فيمكن الجواب عن الأول بوجه.

الأول: أن الله تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة كما ورد في أخبار الخاصة والعامة في تفسير قوله تعالى ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ إن الله تعالى أخفى شخص النبي ' عن أعدائه مع أن أوليائه كانوا يرونه وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وقد مر فيما نقلنا من تفسير العسكري عليه السلام التصريح بهذا الوجه.

الثاني: أنه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر كحضور ملك الموت وأعوانه وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أن أرواحهم في البرزخ تتعلق بأجساد مثالية وأما الحي من الأئمة عليهم السلام فلا يبعد تصرف روحه لقوته في جسد مثالي أيضاً.

الثالث: أنه يمكن أن يخلق الله تعالى لكل منهم مثالا بصورته وهذه الأمثلة يكلمون الموتى ويبشرونهم من قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: أنه يمكن أن يرسم صورهم في الحس المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلم معهم كما في المبرسم.

الخامس: ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه وهو أن المعنى أنه يعلم في تلك الحال ثمره ولايتهم وانحرافه عنهم لأن المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنه من أهل الجنة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنه من أهل النار فيكون حضورهم وتكلمهم استعارة تمثيلية.

و لا يخفى أن الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار وطعن في الآثار وأما الجواب عن الوجه الثاني فبأنه إنما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتفاق ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك مع أنه إذا قلنا بأن حضورهم في الأجساد المثالية يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها

امتازوا عن سائر البشر وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها وعدم التعرض لخصوصياتها وتفصيلها وإحالة علمها إلى العالم كما مر في الأخبار التي أوردناها في باب التسليم ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

انتهى كلامه رحمته.

وسياتي بيان المختار في كيفية الحضور بعد الإيمان باصل ثبوته.

التتمة الثانية:

مجموعة من كلمات الاعلام المعاصرين حول حضور الزهراء للمجالس الحسينية:

الكلمة الأولى: رأي السيد الخوئي.

ما قاله أستاذ اساتذتنا المحقق السيد الخوئي في جواب على استفتاء موجه له ^(١): في صراط النجاة: (ترشد بعض الروايات الى أن رسول الله ﷺ والزهراء عليها السلام يحضرون ماتم عزاء الامام الحسين عليه السلام فما رأي مولانا الكريم، وعلى فرض الورد فهل يشمل حضور بقية الأئمة عليهم السلام؟

الخوئي: (هذا أمر ممكن، وبعض الروايات دلّت عليه، والله العالم).

الكلمة الثانية: رأي الميرزا التبريزي:

ما افتى به الفقيه الكبير الشيخ جواد التبريزي في كتابه صراط النجاة ^(٢): ج ٣، ص: ٤٣٩ س ١٢٦٣: (هل يجوز الاعتقاد بأن الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام تحضر

(١) صراط النجاة (المحشى للخوئي)؛ ج ٣، ص: ٣١٩ س ١٠٠٠.

(٢) صراط النجاة؛ ج ٣، ص: ٤٣٩ س ١٢٦٣.

بنفسها في مجالس النساء في آن واحد، في مجالس متعدّدة بنفسها ودمها ولحمها؟

الجواب: الحضور بصورتها النورية في أمكنة متعدّدة في زمان واحد، لا مانع منه، فان صورتها النورية خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسما عنصريا ليجتاج الى الزمان والمكان، والله العالم.

الفتوى الثالثة: السيد السيستاني (دام ظله)

نقلت بعض المواقع الالكترونية وكتاب الاستفتاءات، من جواب السيد السيستاني على سؤال وجه له: (ترشد بعض الروايات الى أن رسول الله ' والزهراء عليهما السلام يحضرون ماتم عزاء الامام الحسين عليه السلام فما رأي مولانا الكريم، و على فرض الورد فهل يشمل حضور بقيّة الأئمة عليهم السلام؟

الجواب: الحضور بمعنى الاشراف والعناية الخاصة وهذا شامل للأئمة عليهم السلام.^(١)

النتيجة:

قد تبين مما مر انه لا اشكال في حضور السيدة الزهراء لمجالس العزاء الحسيني من حيث الأصل وان تكررت تلك المجالس وانتشرت في بقاع المعمورة، اما ماهية الحضور وانه بجسد مثالي او بحضور معنوي روحي او اشرافي فهو موطن خلاف، والاصح انه حضور فعلي حقيقي لا تخيلي اما بنحو جسدي مثالي لا يرى من الحاضرين او بنحو روحي معنوي نوري من خلال صور متعددة لها او قد يكون الحضور يختلف من مقام الى اخر بحسب ايمان المحضور عندهم اما الحضور الاشرافي او الحضور بالاحتمال الثالث والرابع والخامس الذي نقله العلامة المجلسي فهو بعيد عن ظاهر الروايات والله العالم.

البحث العاشر:

**أثر النشأة الصالحة في بناء الفرد
- أمّ البنين نموذجاً -**

مقدمة

لا يخفى ما للتربية والنشأة الصالحة من أثرٍ كبيرٍ في بناء الفرد، وهذا الأمر من الأمور الوجدانية التي لا تحتاج إلى مزيد بيان أو إقامة برهان، فكلُّ منّا قد شاهدها، بل وعاشها في بيته وأسرته وأبنائه وإخوته، كما أنّ العكس صحيح، فيما لو كانت التربية والنشأة في بيئة فاسدة، وبيتٍ كبيتِ العنكبوت؛ فإنّ ذلك يُنتج وبالأحرار حياة الفرد ومستقبله من جميع النواحي.

وتكمن أهميّة التربية والنشأة في أنّ الأثر الناشئ منها - سواء كان سلبياً أو إيجابياً - لا يقتصر على الفرد وحياته، بل يشمل الحياة الاجتماعية بكافة مفاصلها، سواء كانت دينية أو دنيوية، وسواء كانت تربوية، أو ثقافية، أو اقتصادية، أو أمنية، أو غيرها.

فينصبّ تأثيرها على علاقة الإنسان بربه ونفسه ومجتمعه، بل على الكون كلّ، فإمّا أن تكون علاقة إيجابية قائمة على أسسٍ ونظمٍ قيّمة، ملؤها التقوى والإيمان، وإمّا أن تكون علاقة سلبية قائمة على أسسٍ منحرفة، ملؤها الضياع والكفران، وتعبير القرآن الكريم: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١).

وهذه المفردة قد وقعت محلاً للبحث والتتبّع والاختلاف عند علماء الدين والاجتماع؛ لما لها من أثرٍ واضحٍ وكبيرٍ في سعادة الدارين أو تعاستهما؛ لذا نرى التركيز الكبير والواضح على هذه المفردة، ودور الآباء في تقويمها والقيام بها، من قبل النصوص القرآنية والروائية، والممارسات العملية التي كان عليها أهل التشريع.

ولا أدعي هنا أنّ تلك التنشئة والتربية هي علّة تامّة للصالح، وإنّما هي جزء علّة، بل هي المقتضي الأكبر له، ويبقى وجود المانع قائماً، ولو من باب القاعدة القرآنية: ﴿يُخْرِجُ الْعِيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْعِيِّ﴾^(١)، التي فسّرت في الروايات^(٢)، بخروج المؤمن من صلب الكافر، وربّما العكس، فعبرت عن الكافر بالميت، وعن المؤمن بالحيّ.

وهناك عدّة عوامل تجتمع لإنجاح هذه التربية والتنشئة، ولعلّ أهم تلك العوامل هي المدرسة الأولى للبناء، وهي الأمّهات والآباء، ودور الأمّ في تلك التربية أكبر وألصق في سنيّ الحياة الأولى، فالطفل يتربّى وينشأ في أحضانها، ويتغذّى من حنانها، ويرتشف من عذب صفاتها وأخلاقها، وينمو متأثراً بشخصيتها والتزامها ومواهبها.

وفي هذا البحث سندرس تلك المفردة من خلال تجربة عملية لامرأة وابنها أصبحا مضرباً للمثل في الأرض والسماء، وموطن الاقتداء والمدح لدى الصلحاء والشرفاء، ومعلماً للإباء والوفاء، إنّها السيّدة الفاضلة (أمّ البنين) وابنها السيّد المقدام (أبو الفضل العباس).

وسندرس في هذا المقال المباحث التالية:

(١) الروم: آية ١٩.

(٢) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٥. المجلسي، محمد باقر، مرآة

العقول: ج ٧، ص ٩.

المبحث الأول: بُذّة من سيرة أمّ البنين ونشأتها

اسمها

هي السيّدة الجليلة أمّ البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، وأبوها من الشخصيات المرموقة المعروفة بالشجاعة والجود والسخاء. لم يذكر لنا التاريخ في أيّ عام وُلدت، ولكن يُرجّح أنّ ولادتها كانت بين عامي (٥ - ٩هـ).

واختلف أهل التاريخ والتراجم في أنّ اسمها: أمّ البنين، أو فاطمة، أو غير ذلك، فبعض المؤرّخين يذكرونها بفاطمة، وبعضهم يقولون: أمّ البنين، وذكر بعضهم غير ذلك.

فممن قال إنّ اسمها أمّ البنين: الشيخ الطوسي في رجاله، حيث قال في ترجمة العباس (عليه السلام): «أمّه أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، من بني عامر»^(١)، وكذا في الاختصاص والمقنعة والإرشاد، وغيرها من المصادر، ومنهم الطبري في تاريخه، حيث قال: «أمّ البنين بنت حزام، وهو أبو المجل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأبواب (رجال الطوسي): ص ١٠٢.

عامر بن كلاب»^(١).

وممن قال إنها فاطمة: ابن عمدة في عمدة الطالب، حيث يقول: «أم البنين، فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة...»^(٢).

ورجح التستري القول الأول، ورد القول الثاني، فقال في قاموس الرجال: «ثم تسمية المصنف لها بفاطمة لم أدر إلى أي شيء استند، فلم يذكر الزيري والطبري والأصبهاني والعمدة والمفيد لها اسماً، بل ظاهرهم أن أم البنين اسمها»^(٣).

وقيل: إن اسمها (جعدة)، كما في الهداية الكبرى: «وكان له عبد الله والعباس وجعفر وعثمان من أم البنين، وهي جعدة ابنة خالد بن زيد الكلابية»^(٤).

وأرجح الجمع بين القولين، بأن يكون اسمها فاطمة أو جعدة، وكنيتها أم البنين على كنية جدتها، ويؤيد ذلك أنه لم يعرف كثيراً عند العرب (أم البنين) كاسم، وإنما عُرف ككنية.

ويُستدل على ذلك بأمرين:

الأول: إن الذي كناها بأم البنين هو أبوها حزام؛ تيمناً بجدتها ليلي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، حيث كان لها خمسة أبناء، أكبرهم أبو براء ملاعب الأستة^(٥).

الثاني: كان ذلك بطلبها من زوجها الإمام علي عليه السلام - كما قيل - أن لا يناديها بفاطمة؛ حتى لا يشعر أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام بالحزن عند سماع اسم أمهم في كل مرة، فطلبت

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١١٨.

(٢) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٦.

(٣) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج ١٢، ص ١٩٦.

(٤) الخصبي، حسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص ٩٤.

(٥) أنظر: الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى: ج ١، ص ١٨٩.

منه عليه السلام مناداتها بأُم البنين؛ تفاؤلاً بالبنين بعد ولادتها^(١).

الزوجة الرابعة

اختلف المؤرخون في كون السيدة أُم البنين الزوجة الثانية لأُمير المؤمنين عليه السلام، أو الثالثة، أو الرابعة، وتسبقها أُمّامة بنت العاص، وخولة بنت جعفر بن قيس الحنفية؟ ولعلّ الصحيح أنّها الرابعة.

أما استبعاد كونها الثانية فلأُمور:

الأول: إنّ الإمام علي عليه السلام تزوّجها بعد السنة الرابعة والعشرين للهجرة الشريفة، كما ذكر أهل السير والتراجم^(٢).

الثاني: استبعاد بقاء أمير المؤمنين عليه السلام بلا زوجة من السنة الحادية عشرة للهجرة إلى السنة الرابعة والعشرين هجرية.

ثالثاً: إنّ الزهراء عليها السلام قبل وفاتها أوصته بأن يتزوّج أُمّامة وقد فعل كما نصّت الروايات^(٣).

رابعاً: إنّ عمرها كان صغيراً عند استشهاد الزهراء عليها السلام، إمّا أن يكون سنتين؛ بناءً على أنّ ولادتها سنة تسعة هجرية، أو ستّ سنين؛ بناءً على أنّ ولادتها في السنة الخامسة هجرية، فالمعقول أنّه عليه السلام تزوّجها في السنة الرابعة والعشرين هجرية، كما نصّ أهل التاريخ على ذلك، وعمرها حينذاك تسع عشرة أو خمس عشرة سنة^(٤).

وأما استبعاد كونها الثالثة، فلأنّ محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين عليه السلام - وأُمّه خولة

(١) أنظر: القرشي، باقر شريف، أُم البنين قدوة وجهاد: ص ٢٠.

(٢) موقع ويكيديا.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٩٢. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي،

تذكرة الخواص: ص ٥٩٥.

(٤) موقع ويكيديا.

الحنفية - هو أكبر عمراً من العباس عليه السلام؛ لأنّه وُلد في السنة الحادية والعشرين هجرية، كما نصّ أهل التاريخ^(١)، فعمره وولادته سبقت زواج أمير المؤمنين عليه السلام بأمّ البنين؛ لأنّه تزوّجها في السنة الرابعة والعشرين هجرية، ويتمّ هذا الوجه بقرينة الاستبعاد في الثانية أيضاً، كصغر عمرها مثلاً، فالأرجح أنّها الزوجة الرابعة.

أمّها

«أمّها ليلى بنت السهيل بن مالك، وهو ابن أبي برة عامر ملاعب الأُسّة»^(٢)، وهي أسرة معروفة بالعراقة والأصالة. وقيل: هي ثمامة بنت سهيل بن عامر، وكانت ثمامة هذه أدبية أريية، وعاقلة ليبية، فأدّبت ابنتها أمّ البنين بآداب العرب، وعلمتها ما ينبغي للبنات الرشيدة تعلّمه، من الأخلاق والآداب الحميدة^(٣).

وفاتها

كانت وفاتها في الثالث عشر من جمادى الآخرة في السنة الرابعة والستين هجرية كما ذكر البيرجندي^(٤)، وقد نقل الخبر عن الأعمش، والسيد محمد باقر القره باغي في كتابه المطالب) وغيرهما، حيث جاء في (الاختيارات) عن الأعمش أنه قال: «دخلتُ على الإمام زين العابدين في الثالث عشر من جمادى الآخرة، وكان يوم الجمعة، فدخل الفضل بن العباس وهو باكٍ حزين، يقول له: لقد ماتت جدّتي أمّ البنين»^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٦.

(٣) أنظر: القرشي، باقر شريف، أمّ البنين قدوة وجهاد: ص ١١-١٢.

(٤) أنظر: البيرجندي، محمد حسن، وقائع الأيام والشهور: ص ١٠٧.

(٥) المصدر السابق، وقد نقل الخبر عن الأعمش.

اختيار أمير المؤمنين ﷺ لأم البنين

هناك مجموعة مقومات لاختيار المرأة، نشير إليها إجمالاً قبل بيان اختيار الأمير ﷺ لها^(١)، وأثر اختيار المرأة التي نشأت في أجواء صالحة، في إنشاء الجيل الصالح والذرية الطيبة.

اختيار الزوجة الصالحة

لاختيار الزوجة الصالحة أهمية كبيرة في حياة الأبناء قبل وبعد الولادة، وذلك من خلال ما ثبت من انتقال الصفات الروحية والجسمية من الآباء والأمهات إلى الأبناء، فالزوجة هي أم الأولاد، ومدرستهم الأولى؛ لذا نجد أن الروايات قد أكدت أشد التأكيد على أهمية اختيار الزوجة، فقالت الرواية: «اخترُوا لنطفكم»^(٢)، وقد جاء التأكيد بأساليب متنوعة، فتارةً نجد الروايات تشدد على نسب الزوجة، وتارةً تشدد على بيئة الزوجة، وتارةً على دين الزوجة، وتارةً على سلامة الزوجة من العيوب النفسية والبدنية^(٣).

وهذه الأصناف من الروايات بينت لنا شيئاً مهماً، وهو أن عملية الانتقاء في الزواج لها دور كبير في صلاح الحياة الزوجية من جهة، وصلاح الأولاد من جهة أخرى، فكلما توقرت هذه المواصفات في الأم انعكست إيجاباً على الأبناء، وهذا ما جعل أمير المؤمنين ﷺ يختار أمّاً صالحة لأبنائه، اسمها أم البنين.

هذه الصفات التي كانت لها ولأهلها أهلتها لأن يختارها أمير المؤمنين ﷺ من بين كل النساء في زمانه؛ وذلك لعظيم النشأة الصالحة التي نشأتها، ولا شك أنه باختياره لها لم

(١) وقد بينت ذلك تفصيلاً في كتابي: (تربية الأبناء من منظور إسلامي)، في فصل: (صفات الزوجة الصالحة).

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٣٣٢.

(٣) أنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢٧-٨٤.

يخترها كزوجة فحسب، بل كأُم لأعظم خلق الله في زمانهم، كأُم لأيتام السيِّدة المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي ذات دين وحسب ونسب، وبيئة جغرافية سليمة، وكمال روحي ومادي انعكس على كل أبنائها، فأنشأتهم نعم النشأة.

استشارة أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً في زواجه بأُم البنين

قد نقل المؤرخون أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام استشار عقيلاً في اختيار زوجة له، ففي عمدة الطالب: «روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل - وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم - أنظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها، فتلد لي غلاماً فارساً. فقال له: تزوج أُم البنين الكلاية، فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها. فتزوجها»^(١).

(١) ابن عتبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٧.

المبحث الثاني: التربية والنشأة وتأثيرهما في بناء الفرد

أما ما يرتبط بالتربية والنشأة فقد لخصنا أهم المطالب ضمن النقاط الآتية:

النقطة الأولى: التربية والنشأة في اللغة والاصطلاح

التربية لغةً: مشتقة من (ربا) بمعنى (زاد ونما)، وتأتي بمعنى التغذية^(١)، وهكذا تشتق التربية من الرب الذي يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربي^(٢)... ويكون المعنى: القيام بأمر الطفل على وجه أحسن.

والحاصل: أنَّ الاستفادة من كلمات اللغويين في مفهوم التربية، هو: حسن القيام بشؤون الأطفال، بحيث تنمو أجسامهم وعلومهم وعقولهم، والقيام بتدبير أمورهم على نحو يزيد في كلّ ما كان صلاحاً لهم من أمور الدنيا والآخرة.

قال المحقق المصطفوي في التحقيق: «إنَّ الأصل الواحد في هذه المادة سوق شيء إلى جهة الكمال، ورفع النقائص بالتخلية والتحلية، سواء كان من جهة الذاتيات، أو

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٠٤، وج ١٥، ص ١١٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ٤٠٤.

العوارض، أو الاعتقادات والمعارف، أو الصفات والأخلاقيات، أو الأعمال والآداب، أو العلوم المتداولة في إنسان أو حيوان أو نبات، ففي كل شيء بحسبه، وبحسب ما يقتضي- ترفيع منزلته، وتكميل شأنه»^(١).

أما التنشئة: فهي حُسن التربية، وفي الحديث: «عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال: طهارة الولادة، وحسن المنشأ...»^(٢)، و«كأنه من النشء كقفل، اسم من نشأت في بني كذا: أي ربيت فيهم، والمراد حسن التربية، وتنزيهه عن المعاصي»^(٣)، «والناشئ: الشاب الذي نشأ وارتفع وعلا»^(٤).

قال المصطفوي: «إن الأصل الواحد في المادّة هو إحداث أمر مستمرّ، أو حدوثه في استمراره ومع البقاء، ومن مصاديقه: حدوث في بقاء واستمرار وتجدد، وتربية شيء إحداثاً وإبقاءً، وخلق في تربية وتقدير، وإحداث سحاب وسوقه إلى نقطة للإمطار، وإحداث برنامج علمي وإجراؤه، وحدث حالة شباب واستمراره... وفي التنشئة يكون النظر إلى جهة الوقوع والتعلّق بالمفعول، كما قلنا في موارد آخر: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾^(٥)، ﴿أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٦)، ﴿يُنْشِئُ السَّحَابَ﴾^(٧)، ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾^(٨)، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٤، ص ١٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٨٥.

(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٤١٦.

(٤) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ١٢، ص ١١٦.

(٥) الروم: آية ١٤١.

(٦) يس: آية ٧٩.

(٧) الرعد: آية ١٢.

(٨) الواقعة: آية ٧٢.

قَرَأَ آخَرِينَ ﴿١﴾، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿٢﴾، ﴿ثُمَّ أَنْشَأَهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ ﴿٣﴾، فالمادة في هذه الأفعال تدلّ على إحداث في استمرار» ﴿٤﴾.

المستفاد مما تقدّم:

أولاً: إنّ التربية هي تنمية الشيء مادياً أو معنوياً، أو هي «إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام» ﴿٥﴾ ذاتاً وأخلاقاً وعملاً وأدباً وعلماً وترفعاً.

ثانياً: إنّ التربية قد تكون إلهية أو بشرية، ولا تختصّ بالصغار، وإن شاع إطلاقها على ذلك، كما أنّها لا تختصّ بالإنسان، بل تشمل الحيوان والنبات، كلّ بحسبه.

ثالثاً: إنّ التربية قد أخذ فيها حمل المرئي للمرئي - ولو قسراً وإجباراً - على ما يصبّ في مصلحته وتنميته.

رابعاً: إنّ التنشئة هي من أنواع التربية، وتمثّل مرحلة من مراحلها، وهي مرحلة التربية في مراحل العمر الأولى، وقد تُطلق على حسن التربية أيضاً.

خامساً: إنّ التربية قد أخذ فيها الاستمرار، فهي لا تقف عند حدّ معيّن؛ لأنّها انطلاقة نحو الكمال.

النقطة الثانية: أقسام التربية

للتربية أقسام عديدة، ولا تقتصر على ما شاع بين الناس من التربية الجسمية، نذكر

(١) المؤمنون: آية ٣١.

(٢) هود: آية ٦١.

(٣) المؤمنون: آية ١٤.

(٤) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ١٢، ص ١١٧.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ١٨٤.

منها الأقسام الآتية:

التربية الجسمية: وهي العناية التي يوليها المربي - الآباء والأمهات والأجداد - لجسم المربي، بحيث يؤدي فقدانها إلى مرض البدن، أو إيجاد عاهة مؤقتة أو دائمة فيه، ومنها توفير النظافة والتغذية الكافية والصحية، وحفظه عما يضره؛ لينشأ الأولاد «على خير ما ينشؤوا عليه، من قوة الجسم، وسلامة البدن، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط»^(١).

التربية الإيمانية: و«المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان»^(٢)، كالإيمان بالله سبحانه وملائكته ورسله والأنمة المعصومين، وتدريبه منذ صغره على العبادات البدنية والمالية، كالصلاة والصوم والزكاة، وتأديبه على حب رسول الله ﷺ، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، واصطحابه إلى محال الطاعة، كالمرافقة المقدسة والمساجد والمحافل الدينية والشعائر الحسينية.

التربية الخلقية: «وهي مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي ينبغي أن يتلقاها الطفل، ويكتسبها ويعتاد عليها، منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً، إلى أن يتدرج شاباً، إلى أن يخوض خضم الحياة»^(٣)، فيبني له منظومة أخلاقية من خلال تلقينه المفاهيم النظرية، وخلق قدوة صالحة يقتدي بها عملياً.

التربية النفسية: «والمقصود بالتربية النفسية: تربية الولد منذ أن يعقل على الجراءة والصراحة، والشجاعة والشعور، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق»^(٤)، والابتعاد عن الصفات النفسية المنبوذة.

(١) فريجات، حكمت عبد الكريم، فصل الكلام في حقوق الطفل والمرأة في الإسلام: ص ١٠٠.

(٢) أخو رشيدة، عوض خلف، والخزاعلة، ياسر طالب، حقوق الإنسان في الفكر الهاشمي: ص ٤٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٦.

التربية العقلية: والمقصود بالتربية العقلية تكوين منظومة معلوماتية وفكرية واعية ومتناسقة للمرء بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية والعصرية، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج فكراً، ويتكوّن علمياً وثقافياً^(١).

التربية غير التعليم

إنّ مفهوم التربية أعمّ من التعليم؛ لأنّ التربية تشمل كلّ ما يحتاج إليه المرء في نموه ورشده؛ سواء كان من لوازم الجسم أو العقل أو النفس، أمّا التعليم فيختصّ بما يخرج من الجهل إلى العلم، فالتعليم هو أحد أقسام التربية، وكلّ منهما مرتبط بالآخر، ويصحّ أن يُقال: كلّ تعليم هو مصداق للتربية وفرد منها، وليس العكس صحيحاً.

النقطة الثالثة: مراحل التربية والنشأة

للتربية والتنشئة مرحلتان أساسيتان، يُسهم في تكوينهما الأب والأم على حدّ سواء، فكّما كان الاهتمام بتحقيقهما أكبر كانت التربية أجدى وأكمل، وهما مرحلة ما قبل الولادة، ومرحلة ما بعدها.

المرحلة الأولى: وهي المقدمات والأسباب اللازم توفيرها من قبل الزوج؛ للحصول على ذرية صالحة وسليمة من الآفات النفسية والبدنية، وذلك من خلال التركيز على أهميّة اختيار الزوجة ذات المواصفات الجيدة، وأهميّة عامل الوراثة في صلاح الذرية، وأهميّة اتباع الروايات التي حدّدت الزمان المناسب، والكيفية المناسبة، والمكان المناسب للجماع، وأهميّة الدعاء في طلب الولد الصالح، وأهميّة الاهتمام بمرحلة الحمل، وبنوعية الأكل بالنسبة للزوجة، وأمور أخرى قد ذكرت بعضاً منها فيما مضى^(٢).

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) وتفصيل ذلك في كتابي: (بحوث في الفقه الاجتماعي).

وإليك إجمالها:

١. اختيار الزوجة الصالحة: وقد مرّ بيانها.

٢. اختيار وقت الجماع.

وردت روايات كثيرة في مراعاة أوقات الجماع وكيفيته، تحثّ على اتباع الزمان والمكان والكيفية الأمثل، فبعض الأزمنة والكيفيات قد تُسبب ضياع الطفل، أو اكتسابه بعض الصفات البدنية أو النفسية غير الجيدة.

ومن هذه الأزمنة والكيفيات الممنوعة: الجماع في حالة الطمث (الحيض)، أو بعد الاحتلام، أو حال الاختضاب (أي: وضع الحناء)، أو حال كون الزوج والزوجة واقفين، أو كونهما عاريين، أو يتكلمان حال الجماع، أو أن ينظر الرجل في فرج زوجته، أو أن يجامعها في سفينة، أو مستقبلاً للقبلة، أو بين الطلوعين، ووقت خسوف القمر، وكسوف الشمس، أو في وقت هبوب الرياح السوداء أو الصفراء أو الحمراء^(١).

٣. الاهتمام بالدعاء

للدعاء أهمية بالغة في حياة المسلم والمسلمة، فهو الوسيلة المثلى للتقرّب إلى الله تعالى، وجلب المحبوب، ودفع المكروه، وقد تعلّمنا من سيرة أهل بيت النبوة أنّ منهج الدعاء له تأثير كبير في حياة الإنسان.

وجاء الحثّ الكثير في الكتاب والسنة على ضرورة الالتزام بالدعاء، فأحدى الآيات تبين أنّ للدعاء أثراً كبيراً في قبول الإنسان عند ربّه، فتقول الآية: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي

(١) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢٥٠ وما بعدها.

لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ^(١)، وفي آية أخرى تهتد تارك الدعاء بالنار؛ لَأَنَّ الدَّعَاءَ عِبَادَةٌ، والتكبر على العبادة يوجب دخول النار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢)، إلى غيرها من الآيات.

أما الروايات فكثيرة، أذكر منها الرواية التي تبين أن للدعاء أثراً بالغاً في تغيير مصير الإنسان من الأسوأ إلى الأحسن، ومن الشقاء إلى السعادة، فتقول الرواية: «الدعاء يدفع البلاء النازل، وما لم ينزل»^(٣)، كما أن الدعاء مخ العبادة على حدّ تعبير الرواية: «الدعاء مخ العبادة»^(٤)، فدعاء الأب والأم له أثر كبير في حياة الطفل قبل وبعد الولادة، وقد دلّت الروايات على أن هناك أدعية خاصة بطلب الولد الصالح، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت الجماع فقل: اللهم ارزقني ولداً، واجعله نقيّاً، ليس في خلقه زيادة ولا نقصان، واجعل عاقبته إلى خير»^(٥).

٤. الاهتمام بمرحلة الحمل

لهذه المرحلة أثر كبير ومهمّ في عملية تحسين النسل وصلاحه من الناحيتين البدنية والنفسية، لذا جاءت التوصيات تؤكّد الاهتمام بهذه المرحلة، محاولة تجنب المرأة المؤثرات السلبية، كارتفاع درجة الحرارة، أو الصدمة القوية، أو سوء التغذية، أو تعرّج جو العائلة، أو الاضطرابات العصبية، فهذه الأمور تؤدّي إلى إضعاف عقل الجنين وبدنه؛ لذا حثّت الروايات على أمور، منها الاهتمام بالطعام، وركّزت على بعض الأصناف من الطعام، وبيّنت أن للطعام

(١) الفرقان: آية ٧٧.

(٢) غافر: آية ٦٠. (عبادتي: أي دعائي).

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٦٩.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٧، ص ٢٧.

(٥) المصدر السابق: ج ٢١، ص ٣٦٩.

أثراً إيجابياً كبيراً في سمات الطفل وصفاته.

وقد وردت أكثر من رواية تركّز على الطعام الانتقائي للحامل، أذكر منها، الرواية الواردة عن رسول الله ﷺ: «أطعموا حبّالكم السفرجل، فإنّه يحسّن أخلاق أولادكم»^(١)، كما حثّت الروايات على أكل السفرجل من قبل الأب والأم، ففي الرواية: «... المرأة الحامل تأكل السفرجل؛ فإنّ الولد يكون أطيب ريحاً، وأصفى لوناً»^(٢)، كما أنّ أكل الفواكه مثل الرمان والتين والعناب والزبيب، وكذلك أكل اللحم والخضروات والبقول والسلق، ممّا أكّدت عليه الروايات في فترة الحمل.

المرحلة الثانية: ما بعد الولادة

وتتناول الأمور اللازم توفيرها بعد الولادة، ابتداءً من مرحلة النفاس وما بعدها، وانتهاءً بالمرحلة الحادية والعشرين، وقسمت هذه المرحلة على أقسام:

الأول: (المرحلة المبكرة).

الثاني: (مرحلة التعليم الأولى).

الثالث: (مرحلة التعليم الثانية).

تفصيل مراحل التربية بعد الولادة

بعدما عرّفنا في القسم الأول المقدّمات اللازم توفيرها من قبل الزوج للحصول على ذرية صالحة وسليمة من الناحية الجسمية والروحية، ندخل في القسم الثاني، وهذا القسم يعتبر القسم العملي للتربية، وهو أكثر أهميّة من القسم الأول، وقد قسّمته

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٠٢.

إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: (المرحلة المبكرة)

وتبدأ هذه المرحلة من ولادة الطفل إلى سنّ السابعة، والنفاس هو أول شيء نتعرّض له في هذه المرحلة.

١. النفاس:

هو الخطوة الأولى ما بعد الولادة، وهذه المرحلة لها أهمية في إمكان تحسين النسل، والنفاس هو فترة من الزمن يخرج فيها دم يقذفه الرحم بالولادة معها أو بعدها، على نحو يُعلم استناد خروج الدم إليها، ولا حدّ لقليله، وحدّ كثيره عشرة أيام من حين رؤية الدم^(١)، وله أحكام خاصّة تُراجع في الرسائل العملية للفقهاء.

وفي هذه الفترة أوصى أهل البيت بتناول أنواع معيّنة من الأغذية، وأهم ما أكدوا عليه من الطعام الرُّطب، فقد ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: «لا تأكل نفساء - يوم تلد - الرُّطب فيكون غلاماً إلا كان حليماً، وإن كانت جارية كانت حليمة»^(٢).

٢. الرضاعة:

وبعد خطوة النفاس تأتي خطوة الرضاعة، وهذه الخطوة ذات أهمية بالغة في مسار حياة الطفل من الناحية البدنية والنفسية، وهي أهمّ من خطوة النفاس؛ نتيجة لطولها ومقدار ما يتلقاه الطفل من التغذية (الحليب).

(١) من ذلك يتبيّن أنّه لا اعتبار بما تقوله بعض النساء من أنّ فترة النفاس أربعون يوماً. للتفصيل راجع الرسائل العلمية.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٠٣.

وللتغذية الانتقائية في هذه المرحلة أهمية بالغة، فكَلَّمَا كان غذاء الأم جَيِّداً وطاهراً وحالاً لَكان الحليب كذلك؛ لذا فإنَّ الشرع المقدَّس أكَّد واهتمَّ بمسألة التغذية في هذه الفترة، حتَّى أنَّ الروايات في هذا الباب قد فاقت عدد الروايات في الأبواب السابقة التي حثَّت على تحسين النسل.

ونجد الروايات قد اهتمَّت أيضاً بنوع المرضعة وصفاتها الكمالية والجمالية؛ لانعكاس صفاتها على المولود، وقد أكَّدت الروايات على ضرورة وأفضلية إرضاع الأم لولدها، فقد ورد في الرواية: «ليس للصبي خير من لبن أمه»^(١)، فالرواية تدلُّ على أفضلية حليب الأم على كلِّ أنواع الحليب، سواء كان من امرأة أخرى، أم من الحليب المجفَّف، وقد جاءت الآيات القرآنية مبينة فترة الرضاعة، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

وقد وردت روايات تمنع أن تسترضع من كانت غير متديّنة، أو غير سليمة من الناحية الجسدية أو النفسية والعقلية، وإليك بعض الروايات: «أنظروا من يرضع أولادكم؛ فإنَّ الولد يشبُّ عليه»^(٣)، وهناك رواية أخرى تحذّر من استرضاع الحمقاء، كما حذّرت الروايات فيما سبق من الزواج بها، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لا تسترضعوا الحمقاء؛ فإنَّ اللبن يعدي»^(٤).

٣. مراسم الولادة والتسمية:

هناك مجموعة من المراسم التي جعلها الشارع المقدَّس، منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، فمن الأمور المستحبة: غسل الولد بالماء، والأذان في أذنه اليمنى، والإقامة

(١) المصدر السابق: ص ٤٦٨.

(٢) البقرة: آية ٢٣٣.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٦٧.

(٤) المصدر السابق.

في اليسرى، وتحنيكه بماء الفرات، أو تربة الإمام الحسين عليه السلام، أو التمر، وتسميته الأسماء الحسنة، وحلق رأس المولود في اليوم السابع من الولادة، ذكراً كان أو أنثى، والتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضةً، وتستحبّ الوليمة عند الولادة وبعدها، ومن المستحبات أيضاً العقيقة عن المولود - ذكراً كان أم أنثى - في اليوم السابع من الولادة، ولها أحكام خاصة مذكورة في كتب الفقه ^(١).

وهذه المستحبات ذكرت في بعض الروايات، أذكر منها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَلْيُؤَدِّنْ فِي أُذُنِهِ اليمنى بِأَذَانِ الصَّلَاةِ، وَلْيُقِمِّمْ فِي أُذُنِهِ اليسرى؛ فَإِنَّهُ عَصَمَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ^(٢)، وفي الرواية إشارة إلى الجانب الروحي والمعنوي الذي يحصل عليه الطفل بسبب هذه المراسم. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «حَنَكُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْتَمَرِ؛ فَكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ» ^(٣). كما وردت روايات تحت على أهميّة التسمية، وضرورة الالتزام ببعض الأسماء، مثل: (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأسماء الأنبياء، وأسماء العبودية، كعبد الله وعبد الرحمن). وإليك بعض الروايات ^(٤)، فقد ورد في رواية عن أبي جعفر عليه السلام: «أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ مَا سَمَّيَ بِالْعِبُودِيَةِ، وَأَفْضَلُهَا أَسْمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ» ^(٥)، وفي رواية أخرى: «اسْتَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تُدْعُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٦)، وفي رواية ثالثة: «حَقَّ الْوَلَدُ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَأَدْبَهُ...» ^(٧)، وفي

(١) أنظر: المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، المختصر النافع: ص ١٩٣. أبو الحسن الأصفهاني، وسيلة النجاة: ص ٧٥٩.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٠٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٠٧.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٩١ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٩١.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٨٩.

(٧) المصدر السابق: ص ٣٨٩-٣٩٠.

ذلك هناك أسماء ممنوعة، وغير مرغوب فيها، مثل: (حرب ومرة وخالد وحكيم وحارث وظالم)، وأسماء أعداء أهل البيت كيزيد ومرحب وغيرها^(١).

أما المراسم الواجبة فأبرزها الختان، فهو واجب لنفسه، وواجب لغيره، فهو شرط في صحة الطواف، هذا من الناحية الشرعية.

٤. التربية العملية:

وسنقسم هذه التربية بحسب مراحل السن التالية:

أ: الأعمار من (١-٧)

الخطوة الرابعة من هذه المرحلة، مرحلة ممارسة التربية العملية، وقد أولاها علماء التربية (الاتجاه الوضعي) اهتماماً بالغاً، حتى أنّ بعضهم قد رسم شخصيّة الفرد كاملة من خلال استقراءه لهذه المرحلة، أما الاتجاه السماوي فقد أولى هذه المرحلة اهتمامه، ولكن ليس بدرجة كبيرة جداً، فإنّ هناك مراحل متأخرة عنها أهمّ منها.

فهذه المرحلة (١-٧) مرحلة تربية تمهيدية، وقد خلع عليها المشرّع الإسلامي صفة اللعب أو السيودية للطفل، وقد وردت هذه الألفاظ في الروايات، أذكر منها رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فلا خير فيه»^(٢)، أو: «الغلام يلعب سبع سنين...»^(٣)، وفي رواية أخرى: «الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين»^(٤).

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٨٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٧٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٧٦.

فهاتان الروايتان وغيرهما تدلّ على أنّ هذه المرحلة ليست بمستوى المراحل التالية في الأهميّة؛ فإنّ الطفل يُترك فيها يلعب وكأنّه سيّد الموقف، ولكن مع هذا اللعب والسيودية يُعلّم بعض التعاليم الخفيفة السهلة التي تُناسب عمره، فيُدرب على بعض الأشياء المهمّة، ويُعلّم بعض الكلمات الدينية، ومن أمثلة ما يُعلّم في هذا العمر أن يتعلّم قول (الله)، وقول (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، و(اللهم صلّ على محمد وآل محمد)، والتوجّه إلى الصلاة وغيرها من الأفكار.

ب: مرحلة التعليم الأولى (١٤.٧)

نجد الأوصاف قد تغيّرت في هذه المرحلة عما كانت عليه في المرحلة السابقة، فقد كانت الروايات تسمّي الطفل بأنّه سيّد، أو أنّه يلعب، بينما هنا تغيّر لسانها، فالروايات كانت تقول: «دع ابنك يلعب سبع سنين...»، وفي رواية أخرى: «الولد سيّد سبع سنين»، أمّا هذه الفترة فهي مختلفة، فهي فترة عبودية وطاعة للمربي، وفترة يُلزم فيها المربي بمراقبة الطفل أو الحدث، وقد أولاها الشارع المقدّس اهتماماً بالغاً أكثر من الاهتمام بالمرحلة السابقة، وأكدت النصوص أنّ التعلّم هنا تعلّم فيه جدية أكثر، بل إنّها المرحلة التي يتأثر بها سلوك الإنسان وشخصيته في مستقبل حياته، كما دلّت بعض الروايات التي منها: «والزّمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فلا خير فيه»، فهنا دلالة واضحة على أنّ التربية إذا لم تنجح في هذه المرحلة، فمن الصعب السيطرة على الطفل لاحقاً.

وأهمّ التوصيات في هذه المرحلة نستطيع أن نذكرها بعد استعراض روائي لهذه المرحلة، فقد ورد في الرواية «الغلام... يتعلّم الكتاب سبع سنين»^(١)، وفي رواية عن رسول الله ﷺ: «علّموا أولادكم السباحة والرمية»^(٢)، وفي رواية أخرى: «...»

(١) المصدر السابق: ص ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق.

ويؤدّب سبع سنين»^(١).

وهذه الروايات أكّدت على مسألة تعلّم كتاب الله تعالى، وتعلّم السباحة والرماية الشائعتين في ذلك العصر، والآن السباحة كما هي، ولكن الرماية كانت سابقاً بالسهم، ولعلّها الآن بالبندقية، وتعليم الحدث أساليب القتال، لا لأجل العدوان والدموية كما يتصوّر البعض، ولكن لأجل الدفاع عن النفس والعرض والدين إذا ما اعتُدّي عليه.

وهناك روايات أكّدت على ملء قلب الصبي في هذه المرحلة بالأحاديث والتعاليم الصحيحة، باعتبار أنّ قلب الصبي أو الحدث كالإناء الفارغ، يتلوّن بالسائل الذي يُوضع فيه، وحذّرت الروايات من خطر امتلاء قلب الصبي بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة، وإليك بعض الروايات الدالّة على ذلك:

ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»^(٢)، وفي رواية أخرى: «لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا. يا بشير، إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم، وهو لا يعلم»^(٣).

وهذه المرحلة (٧ - ١٤) اتّسمت بصفة الإلزام والإجبار والعقاب فيما لو صدر العصيان

(١) المصدر السابق.

(٢) الإرجاء: هو التأخير. والمرجئة: فرقة ضالّة مضلّة، وقد عُرِفَت هذه الفرقة بتعاريف عديدة، أبرزها: أنّهم فرقة يقولون: «إنّ الواحد من المكلفين إذا قال: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، وفعل بعد ذلك سائر المعاصي، لم يدخل النار أصلاً». الجيلاني، عبد القادر بن أبي صالح، الغنية لطالبي طريق الحقّ (عزّ وجلّ): ج ١، ص ١٨٥، وعُرِفَت بتعريف آخر: «هي التي أرجت حقيقة أفعال الخلق إلى الله». الماتريدي، محمد بن محمد، كتاب التوحيد: ص ٣١٨، وقيل: هم الذين يعتقدون أنّ الإيمان قول فقط.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٣٣١.

(٤) المصدر السابق: ج ٢١، ص ٤٧٧.

أو التمزّد من الأولاد، بخلاف المرحلة السابقة (١-٧) التي خلت من ذلك، وهذا يدلّ على أنّ لكلّ فترة من حياة الطفل وسائل وبرامج خاصّة ينبغي اتّباعها، وأيّ إخلال فيها يؤثّر في تربية الطفل سليماً.

ج: مرحلة التعليم الثانية (٢١.١٤)

وهذه المرحلة من أهمّ المراحل، ونستطيع أن نطلق عليها مرحلة التعليم الكبرى، حيث كُثِّفت الأدوات المعرفية والثقافية على الأولاد في هذا السنّ، فيُعلِّمون فيها أمور الشريعة لكي يطبقوها، ويطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة مرحلة (سنّ الرشد)، وقد تضافرت الروايات على مميّزاتها، واللازم تقديمه للأولاد فيها، ففي رواية: «الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلّم الكتاب سبع سنين، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين»^(١)، وفي الرواية السابقة: «الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين».

إنّ الفقرتين الأخيرتين من الرواية الأولى والثانية تبيّنان سمة هذه المرحلة، وأنّها مرحلة تعليم الحلال والحرام، وأنّ الولد فيها وزير، ففي هذه المرحلة^(٢) يصبح الولد الذكر مكلفاً بتكاليف السماء، وعليه الالتزام بمسائل الشريعة، فيعمل بالواجبات، ويترك المحرمات، وهذا العمل بالواجب والترك للمحرم هو فرع تعلّم مسائل الحلال والحرام، فالعلم ثمّ العمل، فيتحمّل الولد كامل المسؤولية بالالتزام بالأحكام الشرعية حلالها وحرامها.

ثم إنّ الرواية الثانية تبيّن أنّ الولد أصبح وزيراً في هذه المرحلة بعد أن كان سيّداً في المرحلة الأولى، وعبداً في المرحلة الثانية، وإعطاء صفة الوزارة في هذه المرحلة يدلّ على

(١) المصدر السابق: ص ٤٧٥.

(٢) علماً بأنّ الفتاة مكلفة منذ المرحلة السابقة؛ لأنّ سنّ التكليف عندها يتدبّر بإكمال تسع، بخلاف الذكر الذي يبلغ بإكمال خمس عشرة سنة، أو إحدى العلامتين الأخرى، وتفصيل ذلك في محلّه من الفقه.

تطوّر مدركات الولد، ولكن ليس إلى حدّ أن يتصرّف باستقلالية. نعم، له استقلال ولكنّه ناقص، ويكمل استقلاله باستشارة المربي الذي يمثّل رئيس الدولة في مملكتهم الصغيرة التي هي منزلهم، فالمراهق يحسّ ببعض الاستقلالية في إدارة الشؤون خلال هذه المرحلة، ولكنّ القول الفصل ليس بيده، بل بيد رئيس الدولة (المربي)، كما أنّ طاقات الأولاد تبرز في هذه المرحلة خصوصاً في سنّ الثامنة عشرة، كما دلّت الرواية: «لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثماني عشرة سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه»^(١).

المبحث الثالث:

النشأة الصالحة تخلق نشأة صالحة (أم البنين والعباس عليه السلام)

كان لنشأة السيدة أم البنين في أسرة كريمة - كما تبين ممّا مرّ ويأتي - الأثر الأكبر في استقامتها وتميّزها بصفات عظيمة؛ إذ إنّ الأبناء يرثون صفات الآباء، ويكتسبون من أخلاقهم وتربيتهم، وهنا بيان إجمالي لنشأة أم البنين الصالحة، وأثرها في إعداد الجيل الصالح، فقد عُرفت عائلة أم البنين بصفاتٍ، أهمّها:

١- **الشجاعة:** فهذه الأسرة معروفة بهذه الصفة، وكانت محطّاً للأنظار في ذلك الحين، وقد أنجبت تلك القبيلة الفحولة من العرب، ومن فرسانها الشجعان: عامر بن الطفيل، وهو أخو جدّة أم البنين، وعامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنّة، وهو الجدّ الثاني لأم البنين، وغيرهما كالطفيل، وعروة بن عتبة.

وقد أشار الشاعر لبید - وهو من أبناء هذه القبيلة - إلى ذلك في مجلس النعمان بن المنذر ملك الحيرة، حيث يقول:

نحن بنو أم البنين الأربعة سيوف جنّ وجفان مترعة
ونحن خير عامر بن صعصعة الضاربون الهام تحت الخيضة^(١)

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال: ج ٢، ص ١١٧.

جاء في سفينة البحار: «لبيد هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، عم حزام بن خالد بن ربيعة، والد أم البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، أم عباس بن علي وإخوته، وكان من أشرف الشعراء المجيدين المخضرمين، والفرسان المعمرين، عمر مائة وأربعين سنة أو أزيد، وأدرك الإسلام، وأسلم وهاجر وحسن إسلامه، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب، فأقام بها حتى مات في أواخر خلافة معاوية، وهو أحد شعراء الجاهلية أصحاب المعلقة، وكان من أجواد العرب، حكى أنه آلى على نفسه في الجاهلية أن لا تهب صبا إلا أطعم، وكان له جفتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم»^(١).

انعكاس التربية

وهذه التربية على الشجاعة وأجواء القوة والبطولة التي كانت تعيشها أم البنين انعكست إيجاباً على تربيتهما لأبنائهما، فكان العباس عليه السلام وإخوته مضرب الأمثال في الشجاعة والاستبسال، فنشأتهما في بيت شجاع أنجب أبناء شجعاناً، فالأصل إن طاب طاب الفرع والثمر، لذا كانت الشجاعة من مفاخر أبي الفضل، فقد أنشأ في ميدان الطف يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقا^(٢)

٢. الجود والسخاء وطيب النفس

ومن صفات هذه الأسرة التي انعكست على أم البنين الجود والسخاء، فكانت أم البنين طيبة النفس، سخية في المال والنفس والأبناء، فقد أثرت أبناء الزهراء عليها السلام على أبنائها، وافتدتهم بهم، وواقعة كربلاء واضحة الدلالة على الجود والإيثار الذي تحلى به

(١) القمي، عباس، سفينة البحار: ج ٤، ص ٢٨٢.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٠٨.

العباس عليه السلام تجاه الإمام الحسين عليه السلام، وهذا انعكاس لتربيتهما له، وقد بينا ذلك تفصيلاً في بحث مطبوع^(١)، وسنشير إجمالاً إلى ذلك في طيات البحث تحت عنوان خاص مشترك بين أم البنين والعباس عليه السلام.

٣.١ الأدب والشعر

عرفت تلك القبيلة بالأدب والشعر، فكان لديها مجموعة شعراء تميّزوا بالفصاحة والبلاغة ودقّة التصوير، ولعلّ الشاعر لبید من أبرزهم، وهذه أبيات من شعره:

بلينا وما تبلى التجوم الطوالعُ	وتبقى الجبال بعدنا والمصانعُ
وقد كنت في أنفاج جار مضنة	ففارقني جار بأربد نافعُ
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا	فكلّ فتى يوماً به الدهر فاجعُ
وما الناس إلا كالذيّار وأهلها	بها يوم حلّوها وغدوا بلاقعُ
وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه	يحور رماداً بعد إذ هو ساطعُ
وما البرّ إلا مضمرات من التقى	وما المال إلا معمرات ودائعُ
وما المال والأهلون إلا ودائع	ولا بدّ يوماً أن ترّدّ الودائع ^(٢)

وهذا الأدب والشعر ورثته عن أهلها، وأورثته لأبنائها، وشعر العباس عليه السلام في واقعة الطف وارتجاله لهو أكبر الشواهد على أثر الوراثة والتربية الأدبية في ذلك، وقد مرّ سالفاً بعض شعره، وسيأتي أيضاً.

(١) الإيثار في المنظومة الأخلاقية (أبو الفضل العباس نموذجاً)، بحث شاركت به في مهرجان ربيع الشهادة العالمي الثالث عشر، وقد فاز بالمرتبة الأولى.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ج ١، ص ٢٧٠-٢٧١.

العامل الوراثي

وقد أشار الشعراء في أدبهم إلى علاقة طيب أصل أم البنين ونشأتها الكريمة بالصفات التي أخذها العباس عليه السلام وإخوته عنها، ومن ذلك شعر العلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء في مقبولته:

أُمُّ الْبَنِينَ طَابَتْ الْأَبْنَاءُ مِنْكَ كَمَا قَدْ طَابَتْ الْآبَاءُ
أُمُّ الْأَسْوَدِ مِنْ بَنِي عَمْرِو الْعَلَاءِ أُمُّ الْحِمَامَةِ وَالْأَبْهَةِ النَّبَلَاءِ^(١)
وقد انتصفت أم البنين بصفاتٍ أخرى ميّزتها، منها:

الوفاء: فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِهَا الظَّاهِرَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِيهَا هِيَ صِفَةُ: (الوفاء)، فقد عاشت مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفاء وإخلاص، وعاشت بعد شهادته مدة طويلة لم تنزوّج غيره، إذ خطبها أبو الهياج بن أبي سفیان بن الحارث فامتنعت، وقد روت حديثاً عن علي عليه السلام في أَنَّ أزواج النبي والوصي لَا يَتَزَوَّجَنَّ بَعْدَهُ^(٢).

وذكر بعض أصحاب السير أَنَّ شَفَقَتَهَا عَلَى أَوْلَادِ الزَّهْرَاءِ عليهم السلام وَعِنَايَتَهَا بِهِمْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَفَقَتِهَا وَعِنَايَتِهَا بِأَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةِ الْعَبَّاسِ عليه السلام وَإِخْوَتِهِ، بَلْ هِيَ الَّتِي دَفَعَتْهُمْ لِنَصْرَةِ إِمَامِهِمْ وَأَخِيهِمْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَالتَّضَحِّيَةِ دُونَهُ، وَالِاسْتِشْهَادِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى قَدْ اِنْعَكَسَ بوضوح على فداء العباس عليه السلام وَإِخْوَتِهِ لِأَخِيهِمْ وَإِمَامِهِمُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَالتَّربِيَّةُ عَلَى الْوَفَاءِ وَلَدَتْ عِنْدَ أَبْنَائِهَا الْوَفَاءَ.

ومنها: وَلَاوُهَا لِلزَّهْرَاءِ وَآلِ الزَّهْرَاءِ، فَقَدْ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتْ أُمُّ الْبَنِينَ - أُمُّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْإِخْوَةِ الْقَتْلَى - تَخْرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ، فَتَنْدُبُ بَنِيهَا أَشْجَى نَدْبَةً وَأَحْرَقَهَا،

(١) كاشف الغطاء، هادي، المقبولة الحسينية: ص ٩٧.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٩٢.

فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يحيى فيمن يحيى لذلك، فلا يزال يسمع نديتها ويكي^(١)، وكذا كان أبنائها يُكنون كلَّ الحب والإخلاص لأخيهما الحسين عليه السلام.

ومنها: العفة والشرف: فكانت أعف نساء قومها، وأعظمهن شرفاً وحياءً، وكذلك تميّزت بصفاتٍ أخرى، كحسن التربية، والقناعة، والزهد، وغيرها، وهذه الصفات أورشها أبناءها، فكانوا في غاية العفة والوفاء والإخلاص لأبناء الزهراء عليها السلام، ولا سيّما علاقة العباس عليه السلام بأخيه الإمام الحسين عليه السلام كما أشرنا.

العباس عليه السلام ثمرة تربية أم البنين

إنّ هذه الصفات التي اتّصفت بها أم البنين أهلتها لأن تحتضن وتربّي ناصر الحسين عليه السلام، فبين صفاتها الذاتية، ونشأتها الصالحة، ومراعاتها للأدب والأخلاق الإسلامية، نشأ أبو الفضل العباس عليه السلام، وانعكست تربية أم البنين على تربيته، فكان العباس عليه السلام ثمرة ذلك كله، فتربّي هو وإخوته على الشجاعة، والإباء، والوفاء، والأدب، والشعر، وصلابة الإيمان، كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً»^(٢).

صفات العباس عليه السلام وصفات أم البنين

قلنا: إنّ صفات أبي الفضل العباس عليه السلام مشتقة في كثير من جوانبها من أم البنين، طبعاً بغضّ النظر عن الصفات التي ورثها واكتسبها من أمير الموحّدين عليه السلام، فإنّ ذلك خارج عن بحثنا، وهناك صفات كثيرة مشتركة، ولكنّي سأركّز على نموذج واحد، وهو (الإيثارة).

(١) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٥٦.

(٢) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٣٥٦.

صور من إيثارة أم البنين

١- أثرت أبناء الزهراء عليها السلام ورعايتهم على أبنائها، وكانت تقدمهم عليهم، ولم تشعرهم بأنهم ليسوا أبناءها.

٢ - أثرت أن تقضي شبابها في خدمة أبناء الزهراء عليها السلام، ومداراتهم إطعاماً وخدمةً واهتماماً.

٣ - أثرت الحسين عليه السلام بأبنائها وفلذات أكبادها؛ لكي يبقى الحسين عليه السلام سالماً، وهذا خلاف ما عليه جلّ النساء، من تقديم أبنائهنّ على أبناء ضرائهنّ.

٤- عند شهادة أبنائها كان سؤالها الأول عن الحسين عليه السلام دون أبنائها الأربعة، كما ذكرت المصادر التاريخية.

والنص التالي يبين بعض ما مرّ:

ففي هامش شرح الأخبار: «قال صاحب رياض الأحزان ص ٦٠: وأقامت أم البنين زوجة أمير المؤمنين العزاء على الحسين عليه السلام، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين وأهل بيته، وبكت أم سلمة، وقالت: فعلوها ملأ الله قبورهم ناراً. وقال المامقاني في تنقيح المقال: ويُستفاد من قوة إيمانها أنّ بشراً كلّها نعى إليها أحداً من أولادها الأربعة قالت (ما معناه): أخبرني عن الحسين، فلما نعى إليها الحسين، قالت: قد قطعت أنياط قلبي، أولادي كلّهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومن تحت الخضراء... الحديث»^(١).

وكذلك العباس عليه السلام أثر على نفسه عذّة مرّات؛ إذ لم يشرب الماء لأنّه تذكّر عطش الحسين عليه السلام كما سنذكر، وجاد بنفسه عندما نزل للمعركة فداءً للحسين عليه السلام. وإليك جملة من الروايات الدالة على عظيم إيثاره وتضحيته، والتي نُقلت بالسنة عديدة، نذكر منها:

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٨٦.

اللسان الأول: ما ورد فيه كلمة إيثار ومواساة نصاً:

الرواية الأولى في الخصال: عن علي بن الحسين عليه السلام: «رحم الله العباس - يعني ابن علي - فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يده، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنَّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»^(١).

هذه الرواية واضحة الدلالة على عظيم إيثار العباس عليه السلام، وهي صادرة من شاهد حاضر في واقعة الطف، تحكي لنا قصة إيثار وفداء قام العباس عليه السلام بتسطير حروفها على رمضاء كربلاء، كتب فيها فداءه للحسين عليه السلام بنفسه، فحصل بذلك على مرتبة يغطه عليها كل الشهداء، وهذا النص يُعطي العباس عليه السلام منزلة لم تُعطَ لكل الشهداء؛ لأنَّ الإيثار الذي قدّمه لم يقدّمه غيره، وقد بيّنا سابقاً أنَّ الإيثار كلّما كان أكبر كانت المنزلة أعظم، والمقام أعلى، فقد وقى نفس الحسين عليه السلام بنفسه، كما نُقل عنه مرتجزاً:

نفسى لنفس الطاهر الطهر وقى إني صبور شاكر للملقى^(٢)

الرواية الثانية: ما ذكره السيّد ابن طاووس في إقبال الأعمال الحسنة من زيارة الشهداء في يوم عاشوراء: «... السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بهائه، المقطوعة يده، لعن الله قاتليه، يزيد بن الرقاد الحيتي، وحكيم بن الطفيل الطائي...»^(٣).

فالزيارة المهدوية^(٤) لعمّه العباس عليه السلام تُبيّن مقدار ما أثر به في واقعة الطف، حيث قدّم

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٦٨.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٦٧.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٧٤.

(٤) باعتبارها مما خرج من الناحية المقدسة سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

نفسه فداء للحسين ﷺ، ولم يشرب الماء مع مكنته منه؛ سعيًا لأن يشرب الحسين ﷺ وآل الحسين قبله، رغم عظيم عطشه.

وقد نسب لأبي الفضل العباس ﷺ شعر في ذلك، ففي شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: «فهزم القوم، ودخل المشرعة، وأراد أن يشرب الماء، فذكر عطش الحسين ﷺ، فصب الماء من يده ولم يشرب، وملا القربة، وخرج منها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني من بعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون وتشربين ببارد المعين
هيهات ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين»^(١)

اللسان الثاني: ما ورد من تعابير دالة على الإيثار في الزيارة الواردة في حقه ﷺ:

فقد وردت مجموعة عبارات في زيارته تُشير أو تُشعر بالفداء العظيم والإيثار الواضح لأخيه الحسين ﷺ، منها:

العبارة الأولى: إيثار طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وآله والحسين ﷺ خاصة على طاعة نفسه وهواها:

ففي كتاب المزار (للشيخ المفيد): «السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمر المؤمنين وللحسن والحسين صلى الله عليهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه»^(٢).

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٩١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٢٢.

العبارة الثانية: يثار الجهاد على الراحة، والمناصحة على الخيانة، من خلال إبراز عنصر الولاء لآل الله، والبراءة من أعداء الله، ففي كتاب المزار: «أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى به البديرون والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصره أوليائه، الذابون عن أحبائه»^(١).

العبارة الثالثة: المبالغة في النصيحة، وإعطاء غاية المجهود، وترك الراحة والدعة؛ إثاراً منه لأخيه الحسين عليه السلام، ونصيحة لله (عز وجل) ورسوله صلى الله عليه وآله، وهذه النصرة والمبالغة في النصيحة لم تكن في أمر يسير، بل في أعظم مشروع ديني يحفظ الإسلام حتى ظهور القائم عليه السلام، فهو لم يبذل المجهود فحسب، بل أعطى غاية المجهود، ففي كتاب المزار: «أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود.. أشهد لقد نصحت لله ولرسوله، ولأخيك، فنعم الأخ المواسي»^(٢).

العبارة الرابعة: يثار الدفاع عن الأخ، والتضحية بالنفس لأجل بقاءه، وإثار نصرته، والدفاع عنه في أحلك الظروف، ولو كلف ذلك الحياة، ففي كتاب المزار: «فنعم الصابر المجاهد، المحامي الناصر، والأخ الدافع عن أخيه»^(٣).

الخاتمة

كيف نستفيد من تلك التجربة؟

إنّ دراسة تجارب العظماء وسيرهم لها فوائد جمّة، لعلّ أبرزها الاستفادة منها في الحياة الإنسانية؛ فإنّ التجربة علم مستفاد، ولعلّ أهمّ تلك الفوائد اتّخاذهم أسوة وقدوة.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٢-١٢٤.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٤.

دور الأسوة والقُدوة في البناء والإعداد

إنَّ الاقتداء بالعظماء يوفّر فرصة كبيرة للصالح والاستقامة؛ لأنّه يمثّل بُعداً تعليمياً لمبادئ الشريعة من جهة، وبُعداً تطبيقياً من جهة أخرى، ولعلّ الثاني أهمّ؛ لذا جاء عنوان التأسّي بالنبي ﷺ وآل البيت موضعاً للاهتمام الكبير في التشريع، فالقُدوة عامل كبير في صلاح الناس أو فسادهم، لا سيّما في صلاح الصغار أو فسادهم، فإنّ كان المرّبي صادقاً أميناً كريماً عفيفاً نشأ الولد على الصدق والأمانة والشجاعة والعفة، وإن كان خائناً بخيلاً جباناً... نشأ على الكذب والخيانة والجبن والبخل.

لذا أمرنا الله بالاقتداء بالنبي الأعظم ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١)، وكذا أمرنا بالتأسّي بإبراهيم النبي ﷺ: ﴿قَدْ كُنْتَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(٢)، بل غير الأنبياء أيضاً ربّما يكونون أُسوة وقُدوة، كالسيّدة آسيا ؑ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾^(٣).

ومن ذلك التأسّي بالسيّدة أمّ البنين وفاء وإخلاصاً، وتربية وإيثاراً، ومراعاة حتّى لأبناء زوجة الرجل الأخرى (الشريكة) - كما يعبرون - والتأسّي بالعباس ؑ وفاء وإخلاصاً وإيثاراً لعنوان الأخوة، حتّى الإخوة من أبناء الأب، فقد كانت أمّ البنين والعباس ؑ مثلاً أعلى في الإخلاص والوفاء والنصيحة لخلف النبيّ المرسل ﷺ، والسبط المنتجب ؑ، فنشأة الأمّ نشأة صالحة كانت سبباً مباشراً لنشأة الابن نشأة صالحة.

(١) الأحزاب: آية ٢١.

(٢) الممتحنة: آية ٤.

(٣) التحريم: آية ١١.

البحث الحادي عشر:

نظرات في مباني الإصلاح وأحكامه

الحسين نموذجاً

المقدمة:

من المفاهيم الشائعة في النصوص الشرعية مفهوم الإصلاح، اذ انه ارتبط ارتباطا وثيقا بحركة الانبياء والاولياء عليهم السلام، فقد كانوا بحق رواد الإصلاح وأئمة في كل الأمصار والأعصار، فكان لسان مقالهم وحالهم الآية الكريمة: (ان اريد الاصلاح...) ^(١)، وهو لسانهم جميعها لوحدة هدفهم ومصدر تشريعاتهم. وقد كان الامام الحسين عليه السلام - من خلال ثورة الطف الخالدة - سيد الإصلاح ورائده اذ جعل الإصلاح عنوانا لنهضته، وسقى شجرته بدمائه الطاهرة وبتضحياته الباهرة ومواقفه العظيمة وخطبه القيمة، حتى اقترنت كل الثورات من بعده بعناصر ثورته وارتشت من عذب ماء حركته التي اطلق عنصر الإصلاح فيها واتخذ شعارا ودفثارا لها، اذ قال في خطبته: (انما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي محمد...) ^(٢)، فلا تطلق كلمة الإصلاح والا وتبادر منها بنحو الاقتران الاكيد حركة الامام الحسين عليه السلام، اذ لولا اصلاحه لما بقى لهذا المفهوم اسم ولا رسم، ولعد اكثر اهل الإصلاح خوارج واشرارا، ولأعتبر كل من اقدم على التضحية والاصلاح منتحرا وخارجا على امام زمانه وقائلا لنفسه بيده؟. والاصلاح

(١) هود ٨٨.

(٢) بحار الانوار ج ٤٤ ص ٢٢٩.

كمفهوم من المفاهيم الشرعية له مبادئه الفقهية واحكامه العملية التي ترتبط بواقع المكلف عمليا في حياته الفردية والجماعية سواء كانت سياسية او تربوية او اجتماعية، وسواء اكانت مادية ام معنوية، فحتم علينا ان نطرح ذلك المفهوم والاحكام الفقهية التي تتعلق به كونه موضوعا لمجموعة من الاحكام بعضها الزامي وبعضها غير الزامي.

وحقيقة الامر ان الوقوف على كل ابعاد هذا المفهوم وما يرتبط به من جوانب يحتاج الى سبر طويل وغوص عميق، لان زواياها متعددة وكثيرة، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وهذا البحث الذي بين يديك ما هو الا بادرة اولية اجمالية لباب واسع قد يوفق الله لبحثه تفصيلا.

وفي هذا البحث المختصر نقف على محاور ثلاثة وخاتمة:

المحور الاول: نحدد الموضوع من خلال التعرف على معنى الاصلاح والافساد في المدلول اللغوي فنحدد بذلك مفهومهما وحدودهما وتعريفهما.

المحور الثاني: نقف على ادلة الاصلاح والافساد من الكتاب والسنة، وانواعهما، والاستدلال عليهما بالأدلة الخاصة التي ورد فيها مادة الاصلاح والافساد بصورة مطابقة، وبالأدلة العامة التي يستدل بها على الاصلاح والافساد بالاطلاق او العموم او التنظير.

المحور الثالث: نعرض الاحكام الفقهية المستفادة من الادلة الشرعية بصياغات قانونية وفقهية (٤٠ حكما فقهيا).

الخاتمة: الامام الحسين نموذج الاصلاح الاسمي.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله المصلحين المصطفين.

المحور الاول: تنقيح موضوع الإصلاح والافساد: الإصلاح في اللغة:

نعرض ذلك من خلال ذكر بعض كلمات اللغويين في المقام:

- ١- ما في كتاب العين: (الصَّلاح: تقيض الطلاح. ورجل صالح في نفسه ومُصلح في أعماله وأمره. والصُّلح: تَصْلُحُ القوم بينهم. وَأَصْلَحْتُ إلى الدابة: أَحسنت إليها)^(١).
- ٢- وفي الصحاح: (الصَّلَاحُ: ضِدُّ الفساد.... والصَّلاح بكسر الصاد: الْمُصَالِحَةُ، والاسم الصُّلح، يَذْكُر ويؤنَّث... والإصلاح: تقيض الإفساد. والاسْتِصْلَاحُ: تقيض الاستفساد)^(٢).
- ٣- وفي مقاييس اللغة: (صلح الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدل على خِلاف الفَسَاد)^(٣).
- ٤- وفي المفردات: (صلح الصَّلَاحُ: ضِدُّ الفساد، وهما مختصَّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيِّئة...) ^(٤).
- ٥- وفي لسان العرب: (صلح: الصَّلَاح: ضِدُّ الفساد؛ والإصلاح: تقيض الإفساد. والمُصْلِحَةُ: الصَّلَاحُ. والمُصْلِحَةُ واحدة المصالح. والاسْتِصْلَاح: تقيض الاستفساد. وَأَصْلَحَ الشيء بعد فساده: أَقامه. وَأَصْلَحَ الدابة: أَحسن إليها فَصْلَحَتْ. وفي التهذيب: تقول أَصْلَحْتُ إلى الدابة إِذا أَحسنت إليها)^(٥).
- ٦- وفي تاج العروس: (الصَّلَاح: ضِدُّ الفَسَادِ، وقد يُوصف به آحادُ الأُمَّةِ، ولا يوصف به

(١) كتاب العين؛ ج ٣، ص: ١١

(٢) الصحاح - تاج اللغة و صحاح العربية؛ ج ١، ص: ٣٨٣

(٣) معجم مقانيس اللغة؛ ج ٣، ص: ٣٠٣

(٤) مفردات ألفاظ القرآن؛ ص: ٤٨٩

(٥) لسان العرب؛ ج ٢، ص: ٥١٦

الأنبياء والرسل ﷺ. قال شيخنا: وخالف في ذلك السُّبُكِّي وصَحَّحَ أنهم يُوصَفون به، وهو الَّذِي صَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ^(١).

اقول: ان المحصل من كلامهم ما يلي:

١ - ان الصلاح والاصلاح يقابلان الفساد والافساد، وقد يقابل السيئة ايضا، ولا يبعد ان يكون ذكر السيئة من باب ذكر المصداق للفساد لا انها مفهوم مقابل الفساد فيكون ما يقابل الصلاح فهو الفساد ومصاديقه.

٢ - ان الاصلاح والصلاح يطلقان على العمل والذات والكلام، وان كثر استعماله في العمل، فيقال عمل صالح، ورجل صالح، وكلام فيه صلاح.

٣ - ان الصلاح والاصلاح في الانسان قد يكون لامر معنوي، وقد يكون لامر مادي، كما جاء استعمالهما في القران الكريم، وقد يطلق ويراد منه مطلق الاصلاح وهو ما نسميه بالاصلاح العام وقد يطلق على اصلاح خاص.

٤- ان الاصلاح والصلاح ليسا مختصين بالانسان بل يشملان اصلاح الحيوان، واصلاح مطلق ما هو مادي كاصلاح الارض مثلا وهذا ما يتضح جليا في الاستعمال القرآني للاصلاح والافساد.

٥ - ان ما مر من كلام تاج العروس في ان الصلاح لا يوصف به الانبياء، لا يخلو من تأمل، فان كان مراده من المنع لان الصالح قد سبقه الفساد او السيئة فكلامه تام لعدم طرو الفساد وعمل السيئات على الانبياء والرسل لعصمتهم الذاتية، فالاصلاح والصلاح لمن كان فيه نحو من انحاء الفساد، ولكن قد يقال ان الوصف بالصلاح اعم ممن سبقه الفساد

والسيئة كأن يخلقه الله تعالى صالحا كما ذكر بعض أئمة اللغة، ويؤيد ذلك ان (صالح) اسم لآحد الانبياء، نعم الإصلاح امر مسبوق بالفساد وهو غير الصلاح.

المختار في تعريف الإصلاح:

لم يعرف الإصلاح بصورة واضحة في كتب اللغة، ويمكن ان نعرفه بهذا التعريف بالنظر الى ما بيناه من نتائج لكلامهم المتقدم.

ف نقول ان: (الإصلاح هو نقيض الفساد، وهو التغيير الى الاستقامة بعد عروض الفساد على الشي، سواء كان في العمل او الذات او الكلام، وسواء كان في الامور المادية او المعنوية، وسواء اكان في الانسان ام الحيوان ام الجماد).

الافساد في اللغة:

مر ان الافساد يقع مقابلا للإصلاح وقد مر بيناه اجمالا من خلال التعرف على ما يقابله، والان نقف على تفصيل معناه في اللغة.

بعض كلمات اللغويين:

١- في المفردات: (فسد، اَلْفَسَادُ: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، وبيضاده الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال: فَسَدَ فَسَاداً وَفُسُوداً، وَأَفْسَدَهُ غيره...) (١)

٢- وفي اللسان: (فسد: الفساد: نقيض الصّلاح، فَسَدَ يَفْسُدُ وَيَفْسُدُ وَفُسَدَ فَسَاداً وَفُسُوداً، فهو فاسدٌ وفَسِيدٌ فيهما، ولا يقال اَنْفَسَدَ وَأَفْسَدْتُهُ أنا. وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضُ فَسَادًا؛ نصب فَسَادًا لَّأنَّه مفعول له أَرَادَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ للفساد. قوم فَسَدَى كما قالوا سَاقِطٌ وَسَقَطَى، قال سيبويه: جمعه جمع هَلَكَى لتقاربهما في المعنى. وَأَفْسَدَهُ هو وَاسْتَفْسَدَ فلانٌ إِلَى فلان. وَتَفَاسَدَ الْقَوْمُ: تَدَابَرُوا وَقَطَعُوا الْأَرْحَامَ^(١)

٣ - وفي المصباح - (فَسَدَ الشَّيْءُ فُسُودًا مِنْ بَابِ قَعَدَ، فَهُوَ قَائِدٌ، وَالاسْمُ الْفَسَادُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَسَادَ لِلْحَيَوَانِ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى النَّبَاتِ، وَإِلَى النَّبَاتِ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى الْجِمَادِ)^(٢).

اقول: المحصل من كلمات اللغويين في معنى الافساد:

١ - الفساد يقابل الصلاح كما مر، وهو خروج الشي من الاعتدال او من طبيعته الى طبيعة اخرى غير صالحة، والافساد مقابل الاصلاح.

٢ - ان الفساد يطرأ على الانسان وعلى الحيوان وعلى الجماد كالارض وما عليها برا او بحرا.

٣ - ان الفساد يتعلق بما هو تكويني كإراقة الدماء بغير حق، وبما هو تشريعي كتجاوز الشريعة الإلهية من ترك واجبات او فعل محرمات.

٤- ان اهم علل الفساد المادي والمعنوي هو التجاوز والتعدي على القوانين التكوينية والتشريعية وان هناك ربطا بين التشريع والتكوين، او بين الامور المعنوية والامور المادية.

المختار في تعريف الافساد:

يمكن ان نبرز تعريفا للإفساد من خلال ما مر من معطيات:

فنقول في تعريفه: (وهو نقيض الافساد، وهو خروج الشي من حالة الاستقامة الى ما

(١) لسان العرب؛ ج ٣؛ ص ٣٣٥

(٢) المصباح المنير ج ٢ ص ٤٧٢

دونها، سواء اكان في الامور المادية ام المعنوية بسبب تجاوز القوانين التكوينية او التشريعية، سواء اكان في الانسان ام الحيوان ام الجماد).

المحور الثاني: مباني الإصلاح:

بعد ان تعرفنا على الموضوع وهو معنى الإصلاح والافساد وتعريفهما لغة واصطلاحاً، فلا بد من صب الحكم على ذلك الموضوع الخارجي من خلال الوقوف على الادلة الشرعية الدالة على الحكم فيهما من وجوب الإصلاح او استحبابه وتحريم الفساد وغيرها من الاحكام.

وفي المقام يوجد عندنا سنخان من الادلة يمكن ان يستدل بها عليهما:

السنخ الاول: ما دل على الحكم بصورة (مطابقة) بأن يأتي لفظ الإصلاح او الفساد او مشتقاتهما في المدلول اللفظي للدليل (الادلة الخاصة).

السنخ الثاني: ما يستدل به على الحكم من الادلة الدالة عليهما بالإطلاق او العموم او النظر من باب الدلالة التضمنية او الالتزامية (الادلة العامة).

اولاً: الادلة الخاصة:

وهي الادلة القرآنية والروائية التي جاء فيها لفظ الإصلاح او الفساد او احد مشتقات مادة (صلح) و(فسد):

الدليل الاول: المباني القرآنية للإصلاح والافساد:

ان لفظة الإصلاح ومشتقاتها وردت كثيراً في القرآن الكريم وقد جاءت بتنوع في الاستعمال، وكذلك ما يقابلها من لفظة الفساد والافساد، ونذكر هنا عينات منها بنقاط مع

تعليق عليها واستنباط احكامها:

١. الآيات الأمرة بالإصلاح المطلق والنهي عن الفساد المطلق:

وقد جاء ذلك في عدة آيات، نذكرها مع بيان اجمالي لها:

الآية الاولى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

دلالة الآية: ان الآية الكريمة فيها امر ونهي، او عقد ايجابي وعقد سلبي، فهي تأمر بوجوب اصلاح الفاسدين وحملهم على طاعة الله وعبادته وان هذه وظيفة اصحاب المواقع القيادة بالدرجة الاساس وهو اقامة الاصلاح العام في المجتمع وان الانسان كلما كبر موقعه القيادي كلما كبر حجم وجوب اقامة الاصلاح في مجتمعه وكلما قل موقعه القيادي قلت مسؤوليته تجاه هذا الاصلاح كما هو في الاصلاح الاسري او الوظيفي، كما انها تنهى وتحرم عن اتباع طريق العصاة والظالمين الذين يفسدون في الارض من خلال المعاصي ويتركون طاعة الله تعالى.

فهي تشعرنا ان اقامة الاصلاح لا يتم بالأمر به وايجاده بين الناس لوحده، وانما لابد له من متمم وهو ترك سبيل المفسدين، فهي تؤسس لجانب التولي الاجتماعي للإصلاح والتبريء الاجتماعي للافساد.

الآية الثانية: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢)

دلالة الآية: الآية الشريفة تنهى عن اقامة الفساد في الارض بكل صورته سواء كان افسادا ماديا ام معنويا، وسواء اكان في البر ام في البحر، وان الاصلاح الذي حصل في

(١) الاعراف ١٤٢.

(٢) الاعراف ٥٦.

الارض بوجود الانبياء والاصياء ﷺ بعد ان كانت ممثلة بالكفر والجهل والضلال والظلم، يحرم عليكم اعقابته بذلك مرة اخرى، وذلك من خلال الكفر بنبوة الانبياء او ولاية الاوصياء او ترك تعاليمهم.

وهذا المعنى فسر في كلمات اهل البيت ﷺ بان فساد الارض بترك النبي الاعظم والوصي الاكرم، كما في صحيح مُسَيَّر عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ قَالَ فَقَالَ يَا مُسَيَّرُ إِنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ فَاسِدَةً فَأَصْلَحَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾. ^(١)

وفي تفسير القمي: (... اصلحها برسول الله وامير المؤمنين ﷺ فافسدها حين تركوا امير المؤمنين...) ^(٢)، نعم فان اعظم انواع الفساد هو الفساد في العقيدة ورفض النبوة والامامة الحقّة او تقليل مقامهما.

الاية الثالثة: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ^(٣)

دلالة الآية: ان الاية الكريمة تنهى وتحرم ان يطلب الانسان الفساد في الارض من خلال ما اتاه الله تعالى من مال او جاه لان الله تعالى لا يحب افساد الخلقة لأنه بناها على الصلاح والاصلاح، وقد فسرهما الامام الصادق بالجانب المعنوي، فقد روى في مصباح الشريعة قَالَ الصَّادِقُ ﷺ «فَسَادُ الظَّاهِرِ مِنْ فَسَادِ الْبَاطِنِ وَمَنْ أَصْلَحَ سِرِّرَتُهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهَ فِي السِّرِّ لَمْ يَبْتَئِكِ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ وَمَنْ خَانَ اللَّهَ فِي السِّرِّ هَتَكَ اللَّهُ سِرَّهُ فِي الْعِلَاقَةِ وَأَعْظَمَ الْفُسَادُ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِالْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْفُسَادُ يَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ وَالْخِرْصِ وَالْكَبْرِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ قَارُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ

(١) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ٨، ص: ٥٨

(٢) ج ١ ص ٢٣٦

(٣) القصص ٧٧

فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾»، وهذا التفسير يوضح ان الفساد المعنوي اعظم جرما من المادي وانه سبب الذنوب الخارجية والعلنية.

الاية الرابعة: ﴿فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١١)

دلالة الاية: في الاية مدح لفئة مصلحة في المجتمع سمتها الاساسية هو النهي عن الفساد في الارض، وان هذه الفئة الصالحة نجت من العذاب والهلاك لانها كانت تنهى عن الفساد في الارض، فسييل من سبل النجاة عند الله تعالى هو انتهاج طريق النهي عن الافساد والفساد في الارض.

الاية الخامسة: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١٢).

دلالة الاية: فالآية تدم (رهط) وهم جماعة لا تزيد على العشرة كما في بعض كتب اللغة، كان عمل هذه الجماعة هو الافساد في الارض، وليس فقط ذلك فان تلك الجماعة كما انها تمارس العقد السلبي وهو الافساد فأنها لا تمارس العقد الايجابي وهو الاصلاح، فهم متوغلون بكلا الصفتين، الافساد وعدم الاصلاح، وهذا يشعر بان هناك مفسدا قد استمر بالافساد لأنه لا يصلح ابدا وان هناك مفسدا قد يتوب ويصلح، وان هذا المفسد الذي لا يصلح في الارض بعد ان افسدها هو المفسد الواقعي والحقوقي لان افساده خالص لا اصلاح فيه.

الاية السادسة: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

(١) مصباح الشريعة؛ ص ١٠٧

(٢) هود ١١٦.

(٣) النمل ٤٨

أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١﴾

دلالة الآية: ان الآية توضح ان من موجبات استحقاق اللعنة هو الافساد في الارض، وان سمة هؤلاء هي قطع الصلة مع الله ومع الانبياء والاولياء والارحام، وذلك من خلال نقض المواثيق الالهية والتبليغات النبوية والعلوية، وقطع الصلة مع الارحام والتقاطع معهم، وهي من الكبائر الموجبة لدخول النار.

وقد فسر نقض العهد في الآية بنقض ولاية امير المؤمنين عليه السلام، ففي تفسير القمي - بعد ان ذكر الآية - يعني في امير المؤمنين وهو الذي اخذ الله عليهم في الذر واخذ عليهم رسول الله غدير خم. ^(٢)

الاية السابعة: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ^(٣)

دلالة الآية: ان الآية تشير الى ضرورة منع المفسدين من الافساد في الارض وردعهم ولو من خلال التوقي والاحتراز كبناء الحصون والسدود والسيطرة على الحدود باللغة المعاصرة، فضلا عن الدفع والدفاع بالقاتل والجهاد، وان هذا واجب على الدولة واصحاب النفوذ الاقتصادي وغيره، وهذا التحصين لا يقتصر على التحصين المادي بل يشمل مطلق ما يودي الى تهديد الامن الوجودي او الاقتصادي او الاجتماعي او الاعلامي، ما دام يستخدم في الافساد وهذا يوسس لقاعدة مهمة في فقه الدولة وواجباتها.

الاية الثامنة: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ^(٤)

(١) الرعد ٢٥

(٢) نور الثقلين ج ٢ ص ٥٠٢

(٣) الكهف ٩٤

(٤) البقرة ٦٠

دلالة الآية: ان الآية تحرم ان يعثي الانسان في الارض الفساد، هو اشد الفساد واعظمه، وقيل ان العثي هو الفساد ظاهرا وباطنا لان بعض الاعمال قد تكون فسادا ظاهرا فقط، كما في فعل الخضر عليه السلام مع النبي موسى عليه السلام في القصة المعروفة.

الاية التاسعة: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١)

دلالة الآية: الآية تبين ان عدم مراعاة الجنبه العقائدية يؤدي الى فساد السموات والارض، فان اتباع الهوى والتقنيات البشرية الناشئة منه يؤدي الى فساد السموات والارض بسبب اختلاف تلك الاهواء من فرد الى اخر، بخلاف الحق فهو واحد وهو الصلاح، وقد طبق ال البيت عليه السلام هذه الآية على النبي والوصي عليه السلام اذ انهما الحق الذي يجب ان يتبع لدفع الفساد، ففي تفسير على بن ابراهيم - ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن - قال: الحق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.^(٢)

الاية العاشرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٣)

دلالة الآية: تبين الآية خاصية من خصائص المنافقين وهي دعوى الصلاح والاصلاح في الارض فيما اذا قيل لهم لماذا هذا الفساد؟ فيكشف ذلك عن حجم طغيانهم وضلالهم، بحيث تتقلب عندهم القدرة على التشخيص فيرون المنكر معروفا والمعروف منكرا، فانفسهم الخبيثة تصور لهم ان افسادهم صلاحا.

وقد طبقها اهل البيت عليه السلام على من نقض بيعة الامام مدعيا الاصلاح والصلاح، قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: قَالَ الْعَالِمُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام «[وَ] إِذَا قِيلَ لَهُوْلَاءِ النَّكَائِنِينَ لِلْبَيْعَةِ فِي يَوْمِ

(١) المومنون ٧١

(٢) تفسير نور الثقلين؛ ج ٣؛ ص ٥٤٨

(٣) البقرة ١١

الْعَدِيرِ ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِإِظْهَارِ نَكْثِ الْبَيْعَةِ - لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَتُسَوِّشُونَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ، وَتُحَيِّرُونَهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ. ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لِأَنَّا لَا نَعْتَقِدُ دِينَ مُحَمَّدٍ وَلَا غَيْرَ دِينِ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ فِي الدِّينِ مُتَحَيِّرُونَ - فَتَمْنَحُ نَرْضَى فِي الظَّاهِرِ بِمُحَمَّدٍ بِإِظْهَارِ قَبُولِ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَنَقْضِي فِي الْبَاطِنِ إِلَى شَهَوَاتِنَا، فَتَمْتَعُ وَتَرْفَهُ وَتُعَيِّقُ أَنْفُسَنَا مِنْ رِقِّ مُحَمَّدٍ، وَتَفْكُهَا مِنْ طَاعَةِ ابْنِ عَمِّهِ عَلِيٍّ، لِيَكُنْ إِنْ أُدِيلَ ^(١) فِي الدُّنْيَا كُنَّا قَدْ تَوَجَّهْنَا عِنْدَهُ، وَإِنْ اِضْمَحَلَّ أَمْرُهُ كُنَّا قَدْ سَلِمْنَا (مِنْ سَبِي) أَعْدَائِهِ» ^(٢).

الاية الحادية عشر: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ^(٣)

دلالة الاية: تبين الاية المباركة ان سبب من اسباب ظهور الفساد في النظام المادي والمعنوي كالزلازل وانقطاع الامطار والامراض والالوبئة والحروب وانعدام الامن وغيرها في كل بقاع الارض هو ما يقدم عليه الناس من ارتكاب المعاصي والذنوب عقيدة وعملا.

وقد طبقت الآية في بعض تفاسير اهل البيت على الجانب المعنوي والعقدي تأويلا، ففي تفسير القمي باسناد تام عن مُبَشَّرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قُلْتُ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ، قَالَ «ذَلِكَ وَاللَّهِ يَوْمَ قَالَتِ الْأَنْصَارُ مَنَا رَجُلٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ^(٤).

٢. الايات الدالة على الافساد بين الناس:

قد جاءت عدة آيات في هذا المعنى تبين الافساد بين الناس وممنوعة الافساد،

(١) أدیل لنا علی أعدائنا أي نصرنا عليهم و كانت الدولة لنا. (لسان العرب: ١١ - ٢٥٥).

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ ص ١١٨

(٣) الروم ٤١

(٤) تفسير القمي ج ٢؛ ص ١٦٠

نذكر فيما يلي نماذج منها:

الاية الاولى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

فهنا عد الإصلاح بين الناس من اعمال الخير، وهذا العمل بقربنة كونه يوتى به بصورة النجوى اى التشاور والتباحث السري عادة لضمان نجاحه وتحقيقه، وهذا منهج قراني صريح في كيفية واسلوب الإصلاح وفك النزاعات بين الناس من خلال السرية والتكتم.

وقد فسرت الروايات الإصلاح بين الناس كما في الكافي عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الْكَلَامُ ثَلَاثَةٌ صِدْقٌ وَكَذِبٌ وَإِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ قِيلَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ قَالَ تَسْمَعُ مِنَ الرَّجُلِ كَلَامًا يَبْلُغُهُ فَتَنْخُبُ نَفْسُهُ فَتَلْقَاهُ فَتَقُولُ سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ قَالَ فَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ كَذَا وَكَذَا خِلَافَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ»^(٢).

وقد جعلت الروايات الإصلاح الاجتماعي بين الناس من خلال العمل على التقارب بينهم مقابلا للإفساد الاجتماعي الذي هو العمل على تقاطعهم كما في رواية حَبِيبِ الْأَحْوَلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ «صَدَقَةٌ يُجِبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتَقَارَبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»^(٣).

وقد عدت الروايات الإصلاح بين الناس من افضل الاعمال بعد الفرائض ففي رواية

(١) النساء ١١٤

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ٢، ص: ٣٤١

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ٢، ص: ٢٠٩

الشيخ الطوسي بإسناده، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ امْرُؤٌ عَمَلًا بَعْدَ إِقَامَةِ الْفَرَائِضِ خَيْرًا مِنْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ، يَقُولُ خَيْرًا وَيَتَمَنَّى خَيْرًا»^(١).

وقد ذكر الفقهاء الاعلام ان الإصلاح بين الناس امر سائع وان استلزم الكذب، قال استاذ اساتذتنا السيد الخوئي: (... لا شبهة في جواز الكذب للإصلاح بين المتخاصمين في الجملة عند الفريقين نضا وفتوى...)^(٢).

اقول: ان الروايات جعلت الإصلاح بين الناس في مقابل الكذب وليس من الكذب وهذا الخروج خروج حكمي والا فانه كذب موضوعا، لذا سمي في بعض الروايات كذبا بلحاظ الموضوع، اما بلحاظ الحكم فلا تسمى كذبا.

الاية الثانية: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٣)

فهنا اشارة لحصول الافساد من هؤلاء الملوك اذا دخلوا البلاد من خلال تخريبها اقتصاديا واجتماعيا، وهذا داب الدول التي تحتل دولا اخرى من خلال تهديم بناها المادية الاقتصادية ومن خلال تهديم شخصيتها المعنوية ومسح هويتها الدينية، فيكون واجب الامم الدفاع والدفع عن حصول هكذا دخول منعا للفساد سواء كان هذا الدفع بالمال او القتال او غيرهما.

الاية الثالثة: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤)

(١) الأُمالي (للشيخ الطوسي)؛ ص: ٥٢٢

(٢) مصباح الفقاهة ج ١ ص ٤١٤.

(٣) النمل ٣٤.

(٤) يونس ٨١

فهنا الآية تبين مصداقا من مصاديق الافساد والفساد في الارض هو العمل السحري بين الناس الذي يودي الى تدمير العلاقات الاجتماعية والاسرية والزوجية، وان هذا العمل الباطل في نفسه سوف يبطله الله تعالى في نهاية المطاف وان كان لهذا السحر صولة، وهنا اشارة واضحة ان الله يتصدى لإبطال سحر السحرة وكشف افسادهم، فالسنة الالهية جارية في ابطال الفاسد واحقاق الصالح وان سرعان مع يزول بعد الاستعانة بالله عليه.

وهذه الآية وغيرها وقعت كعوذة في كلمات ال البيت ﷺ لإبطال السحر كما في الرواية عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: هَذِهِ الْعُوذَةُ الَّتِي أَمَلَاهَا عَلَيْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ أَنَّهَا وَرَاثَةٌ وَأَنَّهَا تَبْطُلُ السَّحْرَ تُكْتَبُ عَلَى وَرَقٍ وَيُعْلَقُ عَلَى الْمَسْحُورِ ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطُلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيَحْقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا﴾ الْآيَاتِ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(١).

٣. الآيات الدالة على الاصلاح والافساد الاسري:

الاية الاولى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٢)

فجعلت الآية بقاء الوفاق والوئام بين الزوجين من مصاديق الاصلاح الذي يسعى الحكمان لأجل احقاقه بتوفيق من الله تعالى، من خلال وجود محكمة مصغرة في اطار العائلة ترفع مواطن الشقاق والخلاف بين الزوجين وترجع المياه الى مجارها بعد ان دب فيها

(١) بحار الأنوار؛ ج ٩٢، ص: ١٢٧

(٢) النساء ٣٥

فساد الخصام والشقاق.

الآية الثانية: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)

فالآية جعلت ارجاع الزوج لزوجته في فترة العدة من صور الاصلاح التي ينبغي للزوج ان يبادر لها ابقاء لحياة الاسرة.

الاية الثالثة: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِيَّيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)

فان الدعاء باصلاح الذرية ودفع مادة الفساد عنها امر مطلوب في الشريعة، تحقيقا للوفاق بينهم وقرّة العين بهم الذي هو اساس الاستقرار الاسري والعائلي.

الاية الرابعة: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ نَحْيًى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٣)

فان رفع عيب كون زوجته عاقرا او كبيرة في السن هو اصلاح لها، من خلال جعلها قادرة على الانجاب فان عدم الانجاب فيه نحو مفسدة داخل الاسرة كما هو معلوم لمن حرم.

وتعطينا الآية ادبا قرآنيا كبيرا وهو ان مقادير الانجاب وعدمه بيد الله تعالى وان التوسل به من اعظم وسائل تحقيق الاماني، ويتحقق ذلك من خلال المسارعة للخيرات والدعاء خوفا ورجاء مع عدم اغفال الاسباب الطبيعية.

(١) البقرة ٢٢٨

(٢) الاحقاف ١٥

(٣) الانبياء ٩٠

الاية الخامسة: ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(١)

ظاهر الآية ان الافساد هو من خلال اهلاك الحرث (الزراعة) والنسل (الاولاد) أي القضاء على الجانب الاسري والجانب المعيشي للناس من خلال ما يقوم به الحكام من الظلم في الرعية.

٤. الايات الدالة على الاصلاح الديني:

الاية الاولى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِن رَّيٍّ وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢)

فان الاية تبين هدف الانبياء في دعوتهم الدينية وهو اصلاح ما فسد من عقيدة الناس وسلوكياتهم، أي اصلاح الجنبه الجوانحية والجنبه الجوارحية من خلال رسم المسار العقائدي والفقهية والاخلاقي الصحيح وتنظيم حياة الناس على كل المستويات تنظيمًا دينيًا الهيا.

فان ما دونه من انظمة انما هي فاسدة ومفسدة على كل المستويات العقدية والعملية.

الاية الثانية: ﴿... وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)

فهنا امر بضرورة اتخاذ الاصلاح الديني منهجا في حياة الناس من قبل اولياء الامر سواء كانوا انبياء او اوصياء او قادة دينيين وقطع مادة الفساد من المجتمع ومحاربة المفسدين

(١) البقرة ٢٠٥

(٢) هود ٨٨.

(٣) الاعراف ١٤٢

وادواتهم واسلحتهم المدبرة للمجتمع الصالح.

وقد طبقت الروايات هذا الاستخلاف من النبي موسى لأخيه هارون على استخلاف النبي الاعظم لأخيه علي عليه السلام كما في الكافي: فَقَالَ ﷺ وَقَدْ حَشَدَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَانْعَصَتْ بِهِمُ الْمَحَافِلُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي - كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي فَعَقَلَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ اللَّهِ نَطَقَ الرَّسُولُ إِذْ عَرَفُونِي أَنِّي لَسْتُ بِأَخِيهِ لِأَيِّهِ وَأُمِّهِ كَمَا كَانَ هَارُونُ أَخَا مُوسَى لِأَيِّهِ وَأُمِّهِ وَلَا كُنْتُ نَبِيًّا فَافْتَضَى نُبُوَّةً وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِخْلَافًا لِي كَمَا اسْتِخْلَفَ مُوسَى هَارُونَ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)

الاية الثالثة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢)

ان من اعظم صور الفساد الديني والذي يلقي بظلاله على مجمل الحياة المادية والمعنوية للبشر بل للكون عموما هو عقيدة الشرك وعقيدة الالحاد، فان دوام الحياة قوامه التوحيد الخالص. وان من اعظم صور الصلاح والاصلاح هو عقيدة التوحيد بكل مراتبه واصنافه.

وقد فسرت هذه الآية كثيرا في كلمات ال البيت عليه السلام ففي التوحيد ياسناده عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله عليه السلام (ما الدليل على ان الله تعالى واحد؟ فقال عليه السلام اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عز وجل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣))

الاية الرابعة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا

(١) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ٨، ص: ٢٦

(٢) الانبياء ٢٢

(٣) توحيد الصدوق ص ٢٥٠

كَانُوا يُفْسِدُونَ^(١)

ان عقوبة الافساد والفساد في الدين هو العذاب الاليم، فان الكفر بالله وبرسله وكتبه وصد الناس عن الدين القويم هو نحو من انحاء الفساد الديني الذي جزاء صاحبه النار وان له عذاب فساده وعذاب اخر فوقه هو افساده للمجتمع الديني.

ومن اعظم ما افسده المفسدون في دين النبي الاعظم هو انكارهم لولاية الامير وصد الناس عنها كما بينت الروايات منها ما في تفسير القمي: (وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ قال كفروا بعد النبي ﷺ وصدوا عن أمير المؤمنين ﷺ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾^(٢))

٥. الايات الدالة على الاصلاح والافساد العسكري والقتالي:

الاية الاولى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣)

فالاية تبين وجوب الاصلاح بين المؤمنين - كقانون عام للسلم والتصالح - اذا نشب بينهما القتال والاقتيال، بل ظاهر الاية بقرينة اسباب النزول وجوب الاصلاح وان لم يقع التقاتل العسكري فعليا بل بمجرد التشاجر الكلامي او الفعلي كالتشهير الاعلامي مثلاً.

فان لم تستسلم احدهما ولم تمل للسلم فيجب عليكم ان تقاتلوا وتردعوا التي بغت حتى ترجع لامر الله تعالى.

(١) النحل ٨٨

(٢) تفسير القمي؛ ج ١؛ ص ٣٨٨

(٣) الحجرات ٩

فاذا استسلمت ورجعت الى امر الله فان هناك عملية اصلاح اخرى وهي تغيير ما في نفسية تلك الفئة الباغية من جذور البغي والشقاق لكي يعيش المجتمع المومن بسلام وامن فلا يكتفى بالردع والاصلاح العسكري فقط بل يجب ان يكون هناك ردع واصلاح ثقافي موداه رفع الغل والشحناء من القلوب، وهذا هو جزء من فلسفة الصلح وتميزه عن فلسفة القضاء فان الاخير يرفع النزاع ويقطع مادته والقلوب باقيه على الشحناء بخلاف الصلح فانه يقطع النزاع ومادته واثاره النفسية على المتنازعين، لذا عبرت الاية (الصلح خير)^(١).

وقد طبقت الاية على الحروب التي خاضها الامير ﷺ في بعض الروايات^(٢)

الاية الثانية: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)

فان من صور الفساد والافساد هو اثاره الصراعات والقتال، وهذا داب اليهود والكفار في كل الاعصار، فلا تجد حربا ولا اقتتالا بين الناس الا وكانت شرارته الاولى من الماسونية والصهيونية ومن معهم من عملاء.

ومرادهم من ذلك هو حدوث الفساد بين الناس لان الحرب تهلك القوى الاقتصادية والموارد البشرية في الدول التي تحصل فيها الحروب خصوصا مع طول امدها ودخول كثير من الدول على هامشها.

الاية الثالثة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي

(١) النساء ١٢٨

(٢) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٨٤ وما بعدها.

(٣) المائدة ٦٤

الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١)

فان الحراية والمحاربة نحو من انحاء الافساد العسكري في الارض بل اعم من ذلك وهو تهديد للامن في المجتمع من خلال ما يقوم به هؤلاء المفسدون من القتل والرويع والتهديد بالقتل والسلب والنهب.

ووظيفة القائمين على الامور الامنية ان يستاصلوا هذه الجماعة بالخيارات التي طرحتها الاية من خلال مراجعة الامام او نائبة العام على تفصيل في الفقه.

٦. الآيات الدالة على الاصلاح الاجتماعي:

الاية الاولى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢)

الآية دالة على وجوب الاصلاح العام بين الاخوة المؤمنين حفاظا على اللحمة اليمانية بينهم، وان هذه هي وظيفة المجتمع الاسلامي وخصوصا اصحاب المواقع المؤثرة اجتماعيا.

الاية الثانية: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)

وهنا دعوة الى اختيار جانب الصلح والاصلاح في الصراعات الاجتماعية متى ما كان الصلح هو الحل حتى اذا كان فيه ميل على النفس او المال.

(١) المائدة ٣٣

(٢) الحجرات ١٠

(٣) الشورى ٤٠

الاية الثالثة: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)

هذه الآية تشير الى ظاهرة الافساد الاجتماعي من خلال ذبح الاطفال والقضاء على المجتمع الشاب ومن خلال استعباد النساء وافسادهن جنسيا وخدميا، فان هذين العاملين من اشد انواع الافساد الاجتماعي.

الاية الرابعة: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَ إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)

فان اشاعة التقارب الجنسي بين المثليين يودي الى الفساد الاجتماعي والقضاء على النسل وانتشار الامراض الجنسية بين ابناء المجتمع وظهور الفساد الاخلاقي بين افراده، فالاية صنف الدعوة الى المثلية فضلا عن حصولها (اللواط) من اشد انواع الفساد الذي يجب نبذه ومحاربته.

٧.الايات الدالة على الإصلاح التربوي:

الاية الاولى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)

الاية تحت المجتمع والافراد على ضرورة تربية اليتيم ومخالطته وجعله في مصاف باقي افراد المجتمع لكي يكون من المجتمع الصالح لان المعيار هو الايمان والتقوى لا غيره

(١) القصص ٤

(٢) العنكبوت ٢٨

(٣) البقرة ٢٢٠

من المعايير كاليتيم او الغنى المالي، وهدف الاية عدم حصول الطبقية في اليتيم وغيره الذي تؤدي بتفشيها الى ظهور الفساد بين الناس.

الاية الثانية: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأُذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(١)

فان الاية تجعل عنصر تخفيف العقوبات عن المفسدين ومن اتوا بالفاحشة لمن تاب منها واصلح كأسلوب تربوي تخفيفي لمن رجع الى الله تعالى واصلح ما افسد.

٨. الآيات الحاثّة على التوبة واصلاح ما مضى من ذنب:

الاية الاولى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)

الاية الشريفة تجعل عنصر الاصلاح شرطاً للنجاة يوم القيامة كتوبة مما اقترفه من معاصي وذنوب، فيجب على التائب ان يصلح ما افسد كي تتم شروط توبة ورجوعه الى الله تعالى، وظاهر الآية ان الايمان بالرسول هو من اعم عناصر الاصلاح العقائدي الذي يستتبعه اصلاح عملي.

الاية الثانية: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

وها اشارة واضحة بضرورة التوبة من المعاصي والذنوب العملية، وقرينة ذلك ان الآية تفرض انهم صلحاء عقائديا للتعبير عنهم بالإيمان، فالسوء في الآية هو الذنب الجوارحي،

(١) النساء ١٦

(٢) الانعام ٤٨

(٣) الانعام ٥٤

وان شرط التوبة الحقيقية هو ابراز عنصر الإصلاح لا مجرد التلطف بكلام التوبة.

الاية الثالثة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)

وكذلك هذه الآية توجب الإصلاح لما مر من الفساد والافساد الحاصل من الظلم للنفس وللآخرين بالذنوب والمعاصي وانتهاك الحقوق كالسرقة وشرب الخمر والزنا وغيرها، ولا بد لهذا المذنب بعد الرجوع الى الله ان يصلح فاذا كان سرق فعليه ان يرجع ما سرقه لأصحابه.

٩. الايات الحاثية على الإصلاح الالهي للفرد والمجتمع:

الاية الاولى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(٢)

البال هو الحال والشان والامور المصيرية ويطلق على القلب ايضا، وان هذه العطية الربانية جزاء لما قدموا من ايمان بالله وبما انزل على محمد ﷺ وبما جاؤوا به من عمل صالح.

الاية الثانية: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾^(٣)

ولعل صلاح البال في هذه الآية اكثر من السابقة وهو الفوز والرضوان في الجنان نتيجة لجهادهم.

الاية الثالثة: ﴿لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤)

(١) المائدة ٣٩

(٢) محمد ٢

(٣) محمد ٥

(٤) البقرة ٢٥١

فالاية تقرر ان الله تعالى بمنه وكرمه يمنع وقوع الفساد الاجتماعي العام بدرجة تقسد الارض واهلها من خلال دفع الناس بعضهم ببعض وهو سريان نظام التأثير والتأثر والغلبة فيما بينهم.

١٠. الايات الحاثّة على الاصلاح الذاتي :

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)

فان الآية توجب على الفرد ان يسعى الى اصلاح ذاته وتهذيبها كسعيه لنيل التقوى وطاعة الله، ولعله اشارة الى ضرورة البناء الاخلاقي للنفس بتحصيل الفضائل واجتناب الرذائل، فان الاصلاح الحقيقي لا يكون الا بترك ما يودي الى الفساد وفعل ما يودي الى الصلاح والاصلاح، واصلاح ذات البين يتم من خلال رفع البغضاء وزرع المحبة في النفس تجاه العلاقة مع الآخرين وتقوية الاواصر الاجتماعية بين افراد المجتمع المومن.

١١. الايات الدالة على الاصلاح الطبقي او الاقتصادي :

الآية الاولى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)

فان في الاية دعوى الى عدم جعل المعيار في التعامل هو الطبقة الاقتصادية والقوة المالية للفرد وانما التقوى والايمان هو المعيار.

الاية الثانية: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١)

فقد نهت الآية عن اطاعة المسرفين لان الاسراف مصدر من مصادر الفساد، فالمسرف هو مفسد في الارض اقتصاديا كما هو المتبادر والمتعارف.

ولكن يمكن القول بقرينة الاستعمال القرآني ان الاسراف ليس مختصا بالجانب الاقتصادي بل شامل لغيره فتكون الآية من الآيات الدالة على الافساد العام.

ومن استعمالاته القرآنية، انه استعمل في الامور الاقتصادية والمالية كما في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾^(٢)، واستعمل في القصاص كما في قوله تعالى: ﴿... فلا يسرف في القتل...﴾^(٣) وفي القضاء الكاذب كما في قوله تعالى: ﴿ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾^(٤) بل استعمل في مطلق ارتكاب الذنب: ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله...﴾^(٥) وغيرها.

الاية الثالثة: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٦)

في الاية الشريفة دعوة الى ضرورة مراعاة الوفاء بالوزن والكيل عند التعامل الاقتصادي وعدم سرق الناس من خلال الوزن والكيل وتعد ذلك من التماذي في الافساد

(١) الشعراء ١٥١

(٢) الاعراف ٣١

(٣) الاسراء ٣٣

(٤) غافر ٢٨

(٥) الزمر ٥٣

(٦) هود ٨٥

والفساد، فهي اية تجعل التعامل بين الناس بالبخس والسرقة صورة من صور الافساد والفساد من الناحية الاقتصادية، ففي الآية دعوى عامة الى عدم بخس حقوق الناس الاقتصادية ومراعاة الانصاف والعدالة في التعاملات البشرية عموماً.

١٢. بعض الآيات التي فيها مدح الصلاح والاصلاح وذم الفساد والافساد:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(٦)

في هذه الآيات وغيرها دلالة واضحة على ذم الفساد والافساد والمفسد ومدح الصلاح والاصلاح والمصلح، وان مصير الاول النار ومصير الثاني الجنة، وان الله تعالى يأتي على عمل المفسد فيبطله ويأتي على عمل المصلح فينميهِ وان الله تعالى يميز بين المفسد والمصلح من خلال ما يقوم به الفرد من عمل تجاه نفسه او غيره.

هذا تمام ما حللناه من آيات دلت على الاصلاح والافساد في اثني عشرة عينة من

(١) الاعراف ١٧٠

(٢) القصص ٨٣

(٣) صاد ٢٨

(٤) البقرة ٢٠٥

(٥) يونس ٨١

(٦) البقرة ٢٢٠

الآيات الكريمة والتي سنقف على احكامها في محور قادم ان شاء الله

وقد ودنا تنوع عنوان الإصلاح من خلال العناوين التي ذكرناها كالاصلاح العام والاجتماعي والسياسي والعسكري والاقتصادي والفردى وغيرها.

الدليل الثاني: المباني الروائية للإصلاح والافساد:

كما كانت موضوعة الإصلاح والافساد محورا اساسيا في كلمات القرآن وآياته كذلك جاءت في الروايات، وفيما يأتي نذكر عينات منها دفعا للإطالة كما فعلنا في الآيات، والا فان البحث فيها يحتاج الى غور وشمولية اكثر.

١. ما دل على ضرورة الإصلاح العام في المجتمع:

ما ورد في النهج: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا تَنَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِيَرْتَدَّ الْمَعَالِمُ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهَرَ الْإِصْلَاحُ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْطَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ»^(١).

فان من اهم وظائف الذين يقومون بأمور السلطة في البلاد هو اظهار كافة انواع ومناحي الإصلاح في المجتمع وابادة كن مناحي الفساد والافساد فيه، وهذا المطلب ضرورة لإيجاد بيئة صالحة للعيش بسلام من امور الدين والدنيا، وقد اردف ذلك الامام عليه السلام تلك المعالم الناتجة من اقامة الإصلاح وقد بين امرين منها: الاول هو ان يامن المظلومون من العباد في البلاد فلا يتعدى عليهم احد ولا يسلب حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، والثاني: اقامة ما عطل من النظام القضائي العام من حدود وقصاص وديات وغيرها.

وفي المصباح: «وَأَرْزُقْنِي الْقُوَّةَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَالْإِصْلَاحَ مَا أَحْيَيْتَنِي وَالْعَوْنَ عَلَى مَا حَمَلْتَنِي وَالصَّبْرَ عَلَى مَا أَبْلَيْتَنِي»^(١)

فهذا الدعاء العالي المضامين ينبغي ان يكرر منا جميعا وهو ان نكون من اهل الاصلاح العام في المجتمع اما بنحو المباشرة واما بنحو التسبيب وان هذا الاصلاح يمتد بامتداد الحياة فهو مطلوب في كل مراحل العمر من بداية التكليف الى نهاية الحياة.

٢. ما دل على الاصلاح الاجتماعي:

وفي هذا النوع من الاصلاح عدة روايات، منها ما جمعه الشيخ الكليني^(٢) في بَابِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ من الكافي منها:

الرواية الاولى: مصححة حبيب الأخول قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ «صَدَقَهُ يُحِبُّهَا اللَّهُ إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتَقَارَبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا».

فهنا الرواية جعلت واجبا اجتماعيا بنحو الكفائية على المؤمنين او بنحو العينية مع انحصار الاصلاح بالفرد وهو ضرورة أن يصلح المؤمن بين الناس اذا وقعت المنازعة بينهم بان ينظر برأيه الصائب ويميز بين الظالم والمظلوم وينصح الظالم بنصائح بليغة وزاجرة له عن الظلم، ومنها أن يصل الارحام وان اختاروا مقاطعته، ومنها أن يأمر بصلة الارحام اذا وقع التفارق والتباغض بينهم بموعظة حسنة، ومنها أن يأمر المؤمنين بالتواصل والتعاون اذا وقع التدابر والتقاطع بينهم، ومنها الاصلاح بين القبيلتين اذ وقع التقابل بينهم، ومنها الاصلاح بين المرء وزوجه وهكذا.

الرواية الثانية: صحيح ابن محبوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

(١) مصباح المتجهذ؛ ج ٢، ص: ٤٧١

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)؛ ج ٢، ص: ٢٠٩

«لَأَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِينَارَيْنِ».

هنا اعطاء اهمية وامتيار لصدقة الإصلاح بين الناس على الصدقة المالية بالرغم من اهمية ما ورد في الصدقة المالية ان صدقة الإصلاح تفوقها.

الرواية الثالثة: معتبر ابن سنان عن أبي حنيفة سابق الحاج قال: «مَرَّ بِنَا الْمُفْضَلُ وَأَنَا وَخَتْنِي نَتَسَاوَرُ فِي مِيرَاثٍ فَوَقَفَ عَلَيْنَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ لَنَا تَعَالَوْا إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَتَيْنَاهُ فَأَصْلَحَ بَيْنَنَا بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْنَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْتَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مِنْ صَاحِبِهِ قَالَ أَمَّا إِنِّي لَيْسَتْ مِنِّي مَالِي وَلَكِنْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي إِذَا تَنَازَعَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِنَا فِي شَيْءٍ أَنْ أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَأَفْتَدِيَهَا مِنْ مَالِهِ فَهَذَا مِنْ مَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ».

ففي هذا البذل المالي دلالة واضحة على خطورة النزاع بين المؤمنين وما للإصلاح من اهمية في حفظ التوازن الاجتماعي، وفي الرواية اشارة واضحة بضرورة جعل موردا خاصا من الاموال كأموال الدولة او الحقوق الشرعية في انشاء مؤسسات ترفع الصلح بين المؤمنين وقطع مادة النزاع قبل تطورها الى السلطة القضائية او الحلول الاخرى.

الرواية الرابعة: مثنى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قَالَ إِذَا دُعِيتَ لِصُلْحٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَلَا تَقُلْ عَلَيَّ يَمِينٌ أَلَّا أَفْعَلَ.

فالرواية تعطي اهمية لتقديم الصلح والالتيان به بين الناس ولو كنت قد حلفت ان لا تأتيه لسبب من الاسباب.

٣. الروايات الحاثثة على الإصلاح الاسري والعائلي:

وردت روايات عديدة تفسر الآية ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ لفك

النزاعات الاسرية وقد اوردها الشيخ الكليني في باب الحكمين والشقاق^(١) منها:

صحيح الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ قَالَ لَيْسَ لِلْحَكَمَيْنِ أَنْ يُفَرَّقَا حَتَّى يَسْتَأْمِرَا الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ وَيَشْتَرِطَا عَلَيْهِمَا إِنْ شِئْنَا جَمَعْنَا وَإِنْ شِئْنَا فَرَقْنَا فَإِنْ جَمَعَا فَبَاجِزٌ فَإِنْ فَرَقَا فَبَاجِزٌ».

وموثق سماعة قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْذَنَ الْحَكَمَانِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَلَيْسَ قَدْ جَعَلْتُمَا أَمْرَكُمَا إِلَيْنَا فِي الْإِصْلَاحِ وَالتَّفْرِيقِ فَقَالَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ نَعَمْ فَأَشْهَدَا بِذَلِكَ شُهوداً عَلَيْهِمَا أَيْجُوزُ تَفْرِيقُهُمَا عَلَيْهِمَا قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ مِنَ الْمَرْأَةِ مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ مِنَ الزَّوْجِ قِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ إِنْ قَالَ أَحَدُ الْحَكَمَيْنِ قَدْ فَرَّقْتُ بَيْنَهُمَا وَقَالَ الْآخَرُ لَمْ أَفَرِّقْ بَيْنَهُمَا فَقَالَ لَا يَكُونُ تَفْرِيقٌ حَتَّى يَجْتَمِعَا جَمِيعاً عَلَى التَّفْرِيقِ فَلِذَا اجْتَمَعَا عَلَى التَّفْرِيقِ جَازَ تَفْرِيقُهُمَا».

ودلالتها في اهمية دور الحكم في الاصلاح او التفريق واضحة.

ثانيا: الادلة العامة (مباني عامة او مطلقة في الاصلاح والافساد):

بعد ان بينا الادلة الخاصة على وجوب الاصلاح واستحبابه وحرمة الافساد بنحو من التفصيل، سنتقف من باب تحشيد الادلة الاخرى على ما يمكن ان يكون دليلا عاما على حكم الافساد والاصلاح، ولا يخفى اننا سنقف اجمالا وبصورة مقتضبة جدا على تلك الادلة لخروجها عن محل البحث الاصلي ولدفع الاطالة.

الدليل الاول: اطلاق ادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ان الآيات والروايات الدالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن التمسك بإطلاقها وعمومها على حرمة او استحباب الإصلاح لأنه من المعروف وحرمة الافساد لأنه من المنكر، اما بنحو ان يكون الافساد من مصاديق المنكر او بنحو تكون ادلة المنكر شاملة بإطلاقها له، وكذلك المعروف فأما ان يكون الإصلاح من مصاديقه او ان ادلة المعروف تشمله.

والملاحظ في الاستعمال القرآني والروائي واللغوي التي مر انفا انطباق ادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على عنواني الإصلاح والافساد اما بالدالة التضمنية او الالتزامية.

وواضح ان ادلة الامر بالمعروف منها ما يدل على الوجوب في المعروف الواجب ومنها ما يدل على الاستحباب في المعروف المستحب، فكذلك الإصلاح ينطبق عليه ذلك كما سيأتي بيان احكامه، والكلام هو الكلام في النهي عن المنكر.

ولا داعي لسرد آيات وروايات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لثبوتها في محلها.

الدليل الثاني: اطلاق ادلة التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان

ان قاعدة التعاون على البر والتقوى وحرمة التعاون على الاثم والعدوان من القواعد التي بحثها الفقهاء في القواعد الفقهية وفي كتاب المكاسب المحرمة، وقد دلت على وجوب او استحباب مصاديق البر والتقوى، وحرمة مصاديق الاثم والعدوان، وعنوان الإصلاح داخل في مصاديق البر والتقوى واما مشمول باطلاق القاعدة، وكذلك الافساد فهو اما من

مصاديق الاثم والعدوان او ما مشمول بإطلاق ادلة حرمة، ولعله الى المصادق اقرب كما هو ظاهر الادلة، ولا داعي للبحث الموضوعي في القاعدة ومستندها ومصاديقها دفعا للاطلالة.

الدليل الثالث: اطلاق ادلة الاحكام كأدلة اقامة القضاء الاسلامي من قصاص وحدود وديات والسلم والحرب وغيرها من ابواب الاحكام والمعاملات.

ان ادلة اقامة الشريعة في جانبها التنفيذي القضائي في باب الاحكام انما هو نحو من انحاء الاصلاح وفك الخصومة والتنازع بين الناس وكذلك التقاعس عن اقامة تلك الاحكام واللجوء الى الحكم المدني او الوضعي او العشائري نحو من انحاء الفساد والافساد، فأدلة تلك الاحكام شاملة للإصلاح والافساد ولو لبعض مصاديقه وانواعه.

المحور الثالث: احكام الاصلاح والافساد:

ما يمكن استفادته من الادلة التي مرت امور عديدة نطلق عليها احكام الاصلاح والافساد وهي اربعون حكما في الاصلاح والافساد:

اربعون حكما او مسألة في الاصلاح والافساد:

الحكم ١ - ان الاصلاح من الاحكام الفقهية التي تندرج تحت الحكم التكليفي، والحكم التكليفي المتعلق بها اما الوجوب واما الاستحباب لظهور الادلة في الوجوب تارة وفي الاستحباب اخرى والاختلاف بحسب دليل كل منهما كما في الصلاة التي تكون واجبة تارة كالصلاة اليومية ومستحبة اخرى كالرواتب.

الحكم ٢ - ان الاصلاح تارة يرتبط بالفرد وهو الاصلاح الفردي وتارة يرتبط

بالجماعة وهو الإصلاح الجماعي، وكلاهما مطلوب، بنحو الوجوب تارة وبنحو الاستحباب أخرى، ومن صور الإصلاح الفردي هو إصلاح الإنسان نفسه وتحصيله للكاملات ونبذ الرذائل، ومن صور الإصلاح الجماعي تعاون أهل الإيمان على دفع الفساد الاجتماعي أو الأخلاقي وإرساء معالم الأمان في المجتمع من خلال النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحكم ٣ - يجب أن يتعاون كل أفراد المجتمع أو من بهم كفاية على تحقيق الإصلاح الجماعي ولا يجوز أن يتصل منه بعض إذا لم يمكن إقامة الإصلاح إلا بالمجموع أو بعدد معين من المجموع فهو على وزان الواجب الكفائي.

الحكم ٤ - أن المسؤولية في الإصلاح تختلف من فرد إلى آخر فإن مسؤولية القائد أو رئيس الدولة أو غيره ممن تسنم زمام الأمور تكون أكبر من الرعية أو ممن موقعه أصغر وإن كانت مسؤولية الإصلاح على الجميع.

الحكم ٥ - يحرم إشاعة الفساد والفساد في الأرض بعد إصلاحها سواء كان أفساداً عقائدياً كالألحاد والشرك والكفر أم عملياً كالمحرمات المذكورة في الفقه.

الحكم ٦ - يجب النهي عن الفساد في الأرض بكل أشكاله سواء كان اجتماعياً أو تربوياً أو دارياً أو سياسياً أو اقتصادياً، وإن ترك ذلك الأمر ذنب يوجب العقاب والعذاب.

الحكم ٧ - أن الأمر بالإصلاح المعنوي والنهي عن الفساد المعنوي كالكفر والتكبر والعجب والغفلة أهم وأكبر من الأمر بالإصلاح المادي أو النهي عن الفساد المادي.

الحكم ٨ - أن الفساد والفساد درجات وكلما زاد زادت عقوبته وتوغلته بالحرام حتى يصل إلى مرحلة الفساد بلا صلاح الذي هو أعلى درجات الفساد.

الحكم ٩ - يجب منع المفسدين من الافساد في الارض وردعهم ولو من خلال التوقي والاحتراز كبناء الحصون والسدود (السيطرة على الحدود باللغة المعاصرة) امنيا وعسكريا وغذايا وصناعيا واخلاقيا، فضلا عن الدفع والدفاع بالقتال والجهاد، وهذا الواجب هو واجب جماعي وينصب بصورة اكبر على الدولة واصحاب النفوذ الاقتصادي والاجتماعي وغيره، وهذا التحصين لا يقتصر على التحصين المادي بل يشمل مطلق ما يودي الى تهديد الامن الوجودي او الاقتصادي او الاجتماعي او الاعلامي او الديني، ما دام يستخدم في الافساد سواء كان افسادا للدين او للدنيا، ومن ذلك يظهر وجوب التصدي.

الحكم ١٠ - يجب محاسبة ومنع من يرتكب المعاصي في الارض لان سبب من اسباب ظهور الفساد في النظام المادي والمعنوي كالزلازل وانقطاع الامطار والامراض والابوثة والحروب وانعدام الامن وغيرها في كل بقاع الارض هو ما يقدم عليه الناس من ارتكاب المعاصي والذنوب عقيدة وعملا.

الحكم ١١ - يجب معاقبة المحارب المفسد في الارض الذي يهدد الامن العام في المجتمع ويسعى في نشر الحراية والتسليب والقتل والنهب ومخالفة ومحاربة القيم الانسانية والتشريعات الالهية بما يراه الامام اما القتل او الصلب او القطع من خلاف او النفي.

الحكم ١٢ - ان من مصاديق الاصلاح هو الاصلاح الاجتماعي بين الناس وهو قد يكون واجبا اذا كان تركه يودي الى فساد في الارض او اراقة الدماء وقد يكون مستحبا كما في النزاعات الخفيفة.

الحكم ١٣ - يستحب اتخاذ السرية في الاصلاحات الاجتماعية والاسرية لكي لا

يظهر ما هو مستور.

الحكم ١٤ - ان الإصلاح بين الناس وان خالف الواقع لا يحرم، اذ ان الروايات جعلت الإصلاح بين الناس في مقابل الكذب وليس من الكذب وهذا الخروج خروج حكمي والا فانه كذب موضوعا، لذا سمي في بعض الروايات كذبا بلحاظ الموضوع، اما بلحاظ الحكم فلا يسمى كذبا، وهو ساغ على أي حال بل قد يجب لأجل الإصلاح.

الحكم ١٥ - يجب منع قوات الاحتلال (الملوك بالتعبير القرآني) من دخول بلاد المسلمين لأجل تخريبها اقتصاديا واجتماعيا، وهذا داب الدول التي تحتل دولا اخرى من خلال تهديم بناها المادية الاقتصادية ومن خلال تهديم شخصيتها المعنوية ومسخ هويتها الدينية، فيكون واجب الامم الدفاع والدفع عن حصول هكذا دخول منعا للفساد سواء كان هذا الدفع بالمال او القتال او غيرهما.

الحكم ١٦ - يجب محاربة السحر والساحرين والقضاء على سحرهم ومكرهم ومنعهم من ممارسة السحر لانهم من مصاديق الافساد في الارض وتهديم البناء الاسري والاجتماعي.

الحكم ١٧ - يجب كفاية من باب الإصلاح تعلم ما يبطل السحر ورد السحرة وتحصين المؤمنين من شرورهم وعلاجهم من السحر والامراض الروحية والمادية الناتجة منه.

الحكم ١٨ - يستحب الإصلاح بين الزوجين المتخاصمين ويستحب للزوج الذي طلق زوجته ارجاعها من باب الإصلاح.

الحكم ١٩ - يستحب الدعاء لإصلاح النفس والذرية والزوجة ومطلق الاقارب بل مطلق اهل الايمان.

الحكم ٢٠ - يجب السعي في الاصلاح الديني ونشر الاحكام بين الناس وبيان ما هو محرم وممنوع وما هو واجب، ومسؤولية ذلك تكون على الانبياء والاوصياء والعلماء بصورة اكبر.

الحكم ٢١ - يجب الاصلاح بين المومنين - كقانون عام للسلم والتصالح - اذا نشب بينهما القتال والاقتتال، بل الوجوب متعين وان لم يقع التقاتل العسكري فعليا بل بمجرد التشاجر الكلامي او الفعلي الذي يكون مقدمة له، كالتشهير الاعلامي مثلا، فان لم تستسلم احد الجهتين - حال حصول القتال الفعلي - ولم تمل للسلم فيجب مقاتلة وردع التي بغت حتى ترجع لامر الله تعالى. فاذا استسلمت ورجعت الى امر الله فيجب اصلاح اخر وهو تغيير ما في نفسية تلك الفئة الباغية من جذور البغي والشقاق لكي يعيش المجتمع المؤمن بسلام وامن ولا يكتفى بالردع والاصلاح العسكري فقط بل يجب ان يكون هناك ردع واصلاح ثقافي، موداه رفع الغل والشحناء من القلوب، وهذا هو جزء من فلسفة الصلح وتميزه عن فلسفة القضاء فان الاخير يرفع النزاع ويقطع مادته والقلوب باقيه على الشحناء بخلاف الصلح فانه يقطع النزاع ومادته واثاره النفسية على المتنازعين.

الحكم ٢٢ - يستحب السعي في تحقيق الصلح الاجتماعي بين المتخاصمين او المتباعدين تحقيقا للسلم الاجتماعي ويستحب ان يميل المكلف على نفسه تحقيقا للصلح وان كان مظلوما.

الحكم ٢٣ - من من اخطر صور الفساد الاجتماعي هو قطع النسل ونشر الفساد الجنسي بين النساء فيجب العمل على تنقية المجتمع منه.

الحكم ٢٤ - يجب القضاء على مفسدة التقارب الجنسي بين المثليين اذ انه من

اسباب الفساد الاجتماعي والقضاء على النسل وانتشار الامراض الجنسية بين ابناء المجتمع وظهور الفساد الاخلاقي بين افراده.

الحكم ٢٥- يستحب الإصلاح التربوي لليتيم من خلال مخالطته وجعله في مصاف باقي افراد المجتمع لكي يكون من المجتمع الصالح لان المعيار هو الايمان والتقوى لا غيره من المعايير كاليتيم او الغنى المالي، بل قد يجب في موارد خاصة.

الحكم ٢٦- يستحب للحاكم الشرعي او من بيده امر القضاء تخفيف العقوبة مع تحقق التوبة التامة والإصلاح من الجاني.

الحكم ٢٧ - يجب على العاصي الإصلاح لما مر من الفساد والافساد الحاصل من الظلم للنفس وللآخرين بالذنوب والمعاصي وانتهاك الحقوق كالسرقة وشرب الخمر والزنا وغيرها، ولا بد لهذا المذنب بعد الرجوع الى الله ان يصلح فاذا كان سرق فعليه ان يرجع ما سرقه لأصحابه وهكذا.

الحكم ٢٨ - يجب على الفرد ان يسعى الى اصلاح ذاته وتهذيبها كسعيه لنيل التقوى وطاعة الله والسعي الى البناء الاخلاقي للنفس بتحصيل الفضائل واجتناب الرذائل، فان الإصلاح الحقيقي لا يكون الا بترك ما يودي الى الفساد وفعل ما يودي الى الصلاح والإصلاح، وإصلاح ذات البين يتم من خلال رفع البغضاء وزرع المحبة في النفس تجاه العلاقة مع الآخرين وتقوية الاواصر الاجتماعية بين افراد المجتمع المومن.

الحكم ٢٩ - يجب القضاء على الطبقة الاقتصادية في عدم عدها معيارا للتمايز بين المؤمنين لان ذلك من معايير الافساد والافساد.

الحكم ٣٠ - يحرم اطاعة او تمكين المسرفين من مواطن القرار او من مواطن التصرف في مقدرات الامة وعدم تقديمهم لتلك المناصب لان الاسراف من صور

الافساد الذي يجب منعه والاسراف لا يختص بالوضع الاقتصادي فحسب بل عام كما مر.

الحكم ٣١: يحرم بخس الناس اشياءهم المادية والمعنوية وسرقتها من خلال عدم الوفاء بالوزن والكيل او من خلال تقليل شؤونهم المعنوية او استحقاقاتهم العلمية والمعرفية لان ذلك من صور الفساد.

الحكم ٣٢ - يستحب تكريم وتقدير الصالحين والمصلحين بل يجب نصرتهم ومؤازرتهم في الاصلاح، ويحرم معاونة او اعانة المفسدين في افسادهم ويجب انكار ذلك عليهم من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحكم ٣٣ - يجب على القائمين بأمور السلطة في البلاد اظهار كافة انواع الاصلاح ومظاهره في المجتمع وابادة كل مناحي الفساد والافساد فيه، وهذا المطلوب ضرورة لإيجاد بيئة صالحة للعيش بسلام من امور الدين والدنيا، لكي يامن المظلومون من العباد في البلاد فلا يتعدى عليهم احد ولا تسلب حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ولكي يقام ما عطل من النظام القضائي العام من حدود وقصاص وديات وغيرها.

الحكم ٣٤ - يستحب الدعاء والتوسل الى الله بالصالح والاصلاح في كل مراحل حياة الانسان في الدنيا.

الحكم ٣٥ - يستحب للمؤمن بل قد يجب كفاية أن يصلح بين الناس اذا وقعت المنازعة بينهم بان ينظر برأيه الصائب ويميز بين الظالم والمظلوم وينصح الظالم بنصائح بليغة وزاجرة له عن الظلم.

الحكم ٣٦ - يستحب للمؤمن أن يصل الارحام وان اختاروا مقاطعته، وأن يأمر

بصلة الارحام اذا وقع التفارق والتباغض بينهم بموعظة حسنة، ومنها أن يأمر المؤمنين بالتواصل والتعاون اذا وقع التدابر والتقاطع بينهم، ومنها الإصلاح بين القبيلتين او الحزبين او الدولتين، ومنها الإصلاح بين المرء وزوجه وهكذا.

الحكم ٣٧ - من اعظم انواع الصدقة هو كلمة الإصلاح بين الناس وهي اعظم من الصدقة المالية.

الحكم ٣٨ - يجب انشاء صندوق للإصلاح بين المؤمنين من خلال جعل موردا خاصا من الاموال كأموال الدولة او الحقوق الشرعية في انشاء مؤسسات ترعى الصلح بين المؤمنين وقطع مادة النزاع قبل تطورها الى السلطة القضائية او الحلول الاخرى.

الحكم ٣٩ - ان حرمة الافساد ووجوب الإصلاح قد يتوسع بتوسع باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر او من باب التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان.

الحكم ٤٠ - ان الإصلاح والافساد يدخل في كثير من مفاصله في السلطة القضائية العامة وما ينطوي تحتها من اقامة الحدود ونظام الديات ونظام القضاء الشرعي بين الناس ونظام التصالح وكذلك تحت الاحكام العامة كنظام الحرب والسلم ونظام اقتصاد الامة واقامة حكم الاسلام ودولته العظيمة.

خاتمة: الحسين نموذج الإصلاح الاسمي:

ان الامام الحسين هو اول من رفع شعار الإصلاح في ثورته بصورة صريحة وطالب بالإصلاح في امة جده الاعظم محمد ﷺ بعد ان دب الفساد والفساد بها وانحرفت عن مسيرتها بانحرافها عن الوصي الاعظم علي بن ابي طالب، لذا ركزت بعض الروايات فيما

مضى على ان ترك ولاية الامير من اعظم صور الفساد، لذا كانت ثورته ثورة الاصلاح والتغيير والجذوة التي تلهب صدور المصلحين فتحركهم للتغيير نحو خيار القيادة الدينية المعصومة المتمثلة بالامير وابناؤه البررة، وهذا ما صرح به بخطابه الخالد: «أَيُّ لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبُولِ الْحَقَّ فَاللَّهُ أَوَّلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»^(١).

ان الامام الحسين من خلال خطابه قد استهدف الاصلاح العام في الارض بكل انواعه دينيا عسكريا اجتماعيا تربويا سياسيا امنيا وغيره، فهو ثار على الواقع الفاسد بكل انواع الفساد، سواء كان فسادا دينيا او سياسيا او اجتماعيا او غيره وليس لأجل الاصلاح السياسي كما يتصور البعض، فعنوان الاصلاح عنوان عام كما بينا ولا يقتصر فيه على اصلاح معين بل شامل لكل انواعه وصوره خصوصا وان الامام ربطه بعنوان اخر لاشك في عموميته وهو عنوان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهو ما اشار اليه الامام في كلمات اخرى:

١ - «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِهِ مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ يَقُولِ وَلَا فِعْلٍ كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»^(٢).

هذه العبارة تدل على الثورة السياسية والامنية والعسكرية.

(١) بحار الانوار ج ٤٤ ص ٢٢٩

(٢) المصدر ص ٣٨٢

٢- «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ وَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَطَلُوا الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ»^(١).

وهذه العبارة تدل على الإصلاح الديني بكل ابعاده خصوصا الإصلاح القضائي والاقتصادي والاخلاقي.

٣ - «إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرِفُهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصَابَةِ الْإِنَاءِ وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْبِلِ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا الْحَيَاةَ وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا إِنَّ النَّاسَ عِبِيدُ الدُّنْيَا وَالِدِّينُ لَعَنُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحْضُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ»^(٢)

فهنا ثورة للإصلاح القيمي والاخلاقي والتربوي على الافساد الحاصل من السلطة الاموية الغاشمة.

والحمد لله رب العالمين.

(١) المصدر والصفحة.

(٢) المصدر ص ٣٨١

البحث الثاني عشر:

مقاربة بين الشعيرة والشريعة

جدلية انسجام الشعائر مع اهداف الشريعة

لا شك ان الشريعة الاسلامية السمحاء جاءت مستهدفة احياء الانسان وجعله كائنا ملكوتيا، واخراجه من تيه الكفر والجحود الى نور الايمان والخلود، وقد نطقت النصوص بذلك:

منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وروى الشيخ الكليني في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَمْ أَدْعُ شَيْئًا يَقْرَبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بَنَاتُكُمْ بِهِ...»^(٣).

وغيرها من الآيات والروايات الدالة على ان الاستجابة للشريعة يعني الحياة الكريمة

(١) الانفال ٢٤

(٢) الانعام ١٢٢

(٣) الكافي ج ٥ ص ٨٣

في الدارين وان عصيانها تبيح الشقاء والبلاء.

وقد عمل الانبياء والاولياء عليهم السلام على محور الاحياء في دعواتهم وحركاتهم، سواء اكان احياء معنويا ام ماديا. وعلى كل المستويات سواء اكانت اجتماعية ام تربوية ام قيمية ام غيرها.

ومن اعظم الانبياء الذين آلو على انفسهم بذل الغالي والنفيس لإحياء البشرية نبينا الاعظم محمد صلى الله عليه وآله، فقد حمل لواء احياء البشر وجعلهم احرارا عقيدة وعلماء وعملا، فحررهم من براثن الشرك والضلالة وسواد الظلم والجهالة، وقد نطق القرآن بوظيفته في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقد سار على نهجه في الاحياء ائمة ال البيت عليهم السلام فمارسوا سبل الاحياء بأساليب شتى والهدف واحد، ولعل الامام الحسين عليه السلام مارس الاحياء بصورة كان لها الاثر الاكبر في ايقاظ ضمير الامم فقدم دمه الطاهر وتضحياته الجسيمة في طريق ابقاء شريعة جده محمد، فأفنى عمره ليحيى الدين والمسلمين، وقد جسد بذلك مقولة الامير عليه السلام: (فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين)^(٢).

واليوم ونحن نعيش بركات الثورة الحسينية، تلك الثورة التي استهدفت احياء تعاليم الاسلام في المجتمع من جهة واحياء المسلمين بكسر روح الانهزام من جهة اخرى، فوفاء لقائد الثورة ومبادئها دأب محبي الامام الحسين عليه السلام على ممارسة مجموعة من الشعائر والمراسيم لإحياء الثورة وقيمها وبذلك الاحياء انما نحى الدين وقيمته، لذا فان اقامة شعائر

(١) البقرة ١٥١

(٢) نهج البلاغة ص ٥٤ خ ٥١.

هدفها مقدما احياء الثورة وتاليا احياء الشريعة.

وهذه الشعائر اليوم تشعبت مصداقا ومفهوما وتأثرت بمكانيات وثقافات وعادات مختلفة ومتنوعة، ولكن يبقى الاساس فيها انها تريد احياء الثورة كهدف اولي غايته التماس طريقة تحيي الدين والشرعية.

واليوم نريد ان نقارب بين مدى انسجام الشعائر وقربها من احياء قيم الشريعة، لنميز بين شعائر اقرب للإحياء لكي نركز عليها ونعززها نظريا وعمليا ونجعلها شعائر اساسية، وبين ما هو ابعد من الاهداف فنجعلها ثانوية، ولا يعني ذلك اهمال الاخرى وانما نقدمها من باب الاولويات الدينية المنسجمة مع الحركة الثورية الاصلاحية التي انتهجها الحسين عليه السلام.

فتركز على الشعائر التي تنسجم مع الاهداف التي توخاها الامام من الثورة لتكون شعائرا امتدادا لأهداف الامام التي هي اهداف النبي الاكرم عليه السلام صاحب الشريعة وراعيها الاول.

فننتقل من خلال قراءة اهداف الثورة لمعرفة اي الشعائر اقترابا منها فيكون عندنا شعائر اساسية وشعائر ثانوية، واساسيتها وثانويتها تابعة طردا وعكسا من قربها للأهداف التي ارادها الحسين عليه السلام.

ابراز اهداف الثورة:

ان هدف كل انسان انما ينسجم مع حجم الاطر النظرية والعملية التي يؤمن بها ويلتزم بها، فكلما كانت ذات الانسان متسامية وهمته عالية ونفسه زكية وافقها واسع كلما كانت اهدافه الهية خالية من النزعات الشخصية والانانية وخدمة للبشرية.

وهذا ما نجده متجسدا بشخصية الانبياء والصلحاء فليس هدفهم الدنيا وما فيها من

زخارف وليس هدفهم احوالهم الشخصية ومكانتهم الاجتماعية وانما هدفهم احياء البلاد وارساء العدل واقامة حكم الله في الارض وهذا المبدأ اثروها على الدنيا وما فيها من ملذات واموال وبنين بل اثروه على انفسهم والجود بالنفس اقصى غاية الجود.

وهذا المسير في الصلاح والاصلاح نجدها واضحة في خطوات الحسين وارهاسات الثورة، فالملاحظ لأهدافها يجد عناوين الاصلاح والتغيير والاحياء والعزة والكرامة والحربة والعدل في طياتها واركائها.

والان نقف اجمالاً على اهم اهداف الثورة من خلال استقراء لبعض كلماته الشريفة ونطبقها على مدى انسجام الشعائر مع كل هدف لنخرج بقاعدة بيانية تعطي اولوية لإحياء بعض الشعائر بصورة اكبر لأنها تقترب من الأهداف المنشود من الثورة.

مقاربة الاهداف والشعائر:.

الهدف الاول: الاصلاح

لعل هذا العنوان من اهم العناوين لكل ثورة من الثورات سواء اكانت دينية سماوية ام وضعية ارضية، فكل ينادي بالإصلاح ويدعيه هدفاً وغاية، ولكن الاصلاح مستويات ودرجات فلذا يختلف شدة وضعف، وهذه الشدة والضعف تابعة لشخصية الثائر ومدى ما يحمله من هموم تجاه الامة ومدى اخلاصه تجاه قضيته وتقديم المصالح العامة على مصلحته الشخصية.

فهل اصلاح الحسين كأي اصلاح؟

ان اصلاح الحسين ليس كأي اصلاح لأنه اصلاح امتدادى لمسيرة الانبياء والاوصياء، اصلاح شامل لكل انواع الاصلاح بما ينسجم مع عنوان الامام المصلح

والشخصية الربانية من جهة وبما يحمل من هموم وتطلعات الانبياء ومسيرة خاتمهم من جهة اخرى، فكان اصلاحه لما وقع من فساد في الارض سواء كان دينيا او اجتماعيا او ثقافيا او سياسيا او غيره.

وهذا العنوان جاء في وصيته المشهورة لأخيه محمد ابن الحنفية والتي هي بمثابة دستور لثورته وحركته: «أَيُّ لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ أَوَّلِي بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَضِرُّ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾»^(١).

فهدفه الاصلاح وارجاع الامة الى جادة الصواب والسير بسيرة النبي والوصي التي هي سيرة العدل والانصاف، فالاصلاح مطلب يرى الحسين وجوب القيام به وانقاذ الامة من التيه والانحراف، لذا مارس عنصر الاصلاح بكل ابعاده فاوعظ وخطب وامر ونهى وذكر وقايل وانتصر ونصر.

وهذا الهدف الحسيني ليس هدفا مرحليا ولا محددا بزمانه ولا بشخصه وانما يمتد بامتداد الزمان والاشخاص بحيث يجب ان يصلحوا ما فسد متى ما وجدوا ابوابا للاصلاح لانه هدف يتسم بصفة الوجوب الشرعي على كل المسلمين وبالخصوص اولي الامر منهم وهو ضرورة الالتزام بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولعل اقامة الشعائر الحسينية - بعد ثبوت اصل استحبابها كما ثبت في محله - هدفه السير على خطى الحسين في الاصلاح، وانما ذلك يتم عبر التركيز على عناصر وطريقة اصلاحه من خلال التركيز على الشعائر التي تنسجم مع هدف الثورة الاوضح.

فيا ترى ما ابرز مصاديق الشعائر التي فيها عنصر الاصلاح لكي تكون ممارستها نحو من الاصلاح العام؟

لاشك ان اهم اركان الاصلاح تتم من خلال التبليغ بالاطر النظرية للشريعة وتبليغ الاحكام الواجبة، وهذا يتم باساليب عديدة تتعنون بعنوان الشعائر.

ابرز مصاديق الشعائر المنسجمة مع هذا الهدف:

اولا: مجالس الوعظ والارشاد: وهي عبارة عن مجالس عزاء يصدرها الخطيب بقصيدة ثم يستعرض مطالب دينيا او اجتماعيا او تربويا ثم يختم بذكر بعض وقائع كربلاء وما جرى على البيت العلوي.

وهذا الاسلوب بممارسة الشعائر يقترب من اهداف الحسين الاصلاحية لما يحتويه من وعظ ديني وارشاد وبيان لاحكام الشريعة وعقائدها يدخل تحت عنوان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك تقترب هذه الشعيرة من ابرز اهداف الثورة، فتكون شعيرة اساسية ينبغي تقويتها وتقويمها، ايمانا منا بانها تقترب اكثر من غيرها الى هدفية الحسين عليه السلام من الثورة.

الثاني: القاء المحاضرات العلمية: وهذا يتم من خلال عقد ندوات ومؤتمرات وتجمعات عامة نخوية وجماهيرية للوقوف على عمق الثورة وتحليلها وابرار الوجوه التي يمكن استثمارها لعلاج واقعا المعاصر واستثمار عناصر القوة في الثورة ونقاط العزة لاستنهاض الامة وترسيخ مبادئ الجهاد والتضحية فيها.

وهذه الممارسة تقترب كثيرا من هدفية الثورة في خلق ثقافة الممانعة عند النخب والجمهور واعادتهم للنهوض ضد الظالمين والغاصبين، وكسر روح الضعف والانهازام، وزرع ثقافة الفداء والتضحية في نفوسهم.

الثالث: الاصدارات الاعلامية: سواء كانت مسموعة كالاذاعات او مرئية كالفضائيات او مكتوبة كالصحف والكتب والمجلات، لتعريف الموالم والمخالف بالثورة وعرض عالميتها وانسانيتها وشموليتها لاقناع الاخرين بعناصرها واشخاصها ومدى تأثيرها على مسار الحاضر والمستقبل وايصال صوت الحسين الانساني لكل الكون ليمتد صوت الثورة فيطرق اسماع الجميع، فيستثمر ذلك الصوت الصادق لاقناع الامم بالاسلام.

وبذلك تقترب من هدفية الحسين في ادخال الناس في دين الله افواجا واخراجهم من هيمنة الظالمين، وتبصير الامة بحجم التحديات والاستعداد للمواجهة.

الرابع: توظيف الشعر الهادف: ويتم من خلال ابراز المعالم العامة للثورة وجعلها شعارا للثائرين والمصلحين، واستثمار مقبولية الشعر للتبليغ الاسلامي بكل صورته، فالشعر كان وما زال من اهم عناصر التأثير والتغيير في الامم خصوصا العربية.

فيمكن تضمين الشعر للمعارف الدينية عامة ولقضية الحسين خاصة، وعدم الاختصار على الشعر الرثائي فقط بل الكتابة بكل اصناف الشعر لنصرة الدين وقضية الحسين.

الخامس: ابراز خطب وكلمات الحسين نشرا وحفظا وتوضيحا وتحليلا لما فيها من عناصر شرعية مهمة وعالية، وجعل مسابقات عامة واعلامية لها، واستثمار ذلك في ارجاع الامة لقيم الحسين واهدافه.

السادس: انشاء مراكز لترجمة كلمات الامام الحسين وخطبه والمؤلفات التي كتبت في شخصيته وثورته وايصالها الى العالم بلغات بلدانهم، فان في ذلك الاثر الكبير في تعريف الناس بقيادة الاسلام وسبيلا للدعوة للدخول في الدين، فقد ورد عن الرضا عليه السلام هذا المضمون المستفيض: «فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»^(١)

فهذه مجموعة شعائر وفعاليات تقترب من هدف الحسين الاصلاحى فيكون التركيز عليها اولى من غيرها اقترابا من هدفية الثورة.

الهدف الثانى : (هدف سياسى تغييرى)

ان الحسين ثار ضد السلطة الغاصبة المتمثلة بيزيد شراب الخمر وقاتل النفس المحترمة والمستهتر بكل القيم الدينية والانسانية، فكان من اهداف الثورة ان الخلافة المسروقة يجب ان ترجع الى اهلها الحقيقيين والشرعيين وهم الائمة اهل البيت بعد الرسول الاكرم ولا تبقى بيد الظلمة.

وعليه فهو ثار لإرجاع الخلافة ومنصب الامامة الى اهلها الشرعيين ورفض مبايعة كل من غصب الخلافة بما فيهم بيزيد.

وهذا ما نص عليه الامام فى خطبته التى هى محور للخطب السياسية التى تميز بين الحاكم الصالح والحاكم الطالح:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَعْنَدُ الرَّسَالَةِ وَخُتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَبِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَبِنَا خَتَمَ اللَّهُ وَيزيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الخُمْرِ قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعْلِنُ الْفُسْقِ وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ وَلَكِنْ نُضْبِحُ وَنُضْبِحُونَ وَنَنْظُرُ وَنَنْظُرُونَ أَتَيْنَا أَحَقُّ بِالْبَيْعَةِ وَالْخِلَافَةِ ثُمَّ خَرَجَ»^(١)

وكذلك قال لمروان بن الحكم عندما قال للإمام الحسين بايع يزيد: فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيتِ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سَفْيَانَ»^(٢).

ولا يتوهم ان هذا هدف منوط بزمان الامام الحسين فيكون اقرب للهدف الآتي الشخصي، كلا، لان الامام يريد ارجاع الخلافة الى اهلها واستمرارها على ذلك، ويريد نزع الخلافة من الغاصبين ابتداء من يزيد ومن يريد ان يرثها او يتقمصها من بعده. فتورته كانت درسا لكل الاجيال بعدم الرضوخ للحاكم غير الشرعي.

واذا نظرنا للشعائر الحالية فإننا لا نجد ما يقترب من هذا الهدب بوضوح، الا بعض الشعائر، ويمكن ابراز بعض المصاديق:

المصداق الاول:

ضرورة التثقيف من خلال المنبر الحسيني والمحاضرات العامة على هذا الهدف وبيان الابعاد السياسية للثورة وتركيز شعارات الاصلاح السياسي واصلاح الحاكم الظالم في كل زمان ومكان.

المصداق الثاني:

ضرورة المحافظة على مسيرات عامة وتظاهرات مليونية في يوم عاشوراء ترفع شعارات نصرة المظلومين والخلاص من الظالمين، والتذكير بان هناك جمهورا حسينيا يرفع لواء سياسيا مستقلا يشكل معارضة لكل الظالمين في العالم.

المصداق الثالث:

تجديد الولاء والبيعة لأهداف الثورة من خلال المشي سيرا على الاقدام الى مرقد الشريف، وبذلك تصل رسالة الى العالم بان مبدأنا مبدأ الحسين في رفض الظلم والظالمين.

المصداق الرابع:

توظيف الشعر الهداف والثوري والحماسي لاستنهاض ابناء الامة لمواجهة الظلم بكل انواعه من خلال القصائد والاشعار التي ينشدها المنشدون والروايد، فان دورهم كبير جدا في التأثير بالواقع العام خصوا الحماسي والتعبوي، ولعل قصيدة (ياحسين بضمايرنه) من اعظم الشواهد على ذلك.

المصداق الخامس:

تشكيل لجان وتجمعات تعنى بالدفاع عن المظلومين في العالم من خلال وسائل رعاية واعلامية ومالية ومعنوية.

المصداق السادس:

مساندة ومعاودة الشعوب النائرة وتقديم المعونة لها والتظاهر لنصرتها وتعريفها بان الحسين ملهمها وملهمنا هذا الحس الثوري.

الهدف الثالث (الدفاع عن النفس):

الدفاع عن نفسه وعن البيت النبوي والعلوي والمحافظة على امتداد هذا الخط الذي اراد يزيد اذلاله من خلال حصول البيعة والنزول على امر يزيد، فكان مخير بين امرين لا ثالث لهما اما الذلة حاشاه واما الشهادة وهي صفته وصفة اباؤه واجداده.

وهذا ما اشار اليه في كلامه مبينا منهج المومن في مواجهة المخاطر: «أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ يَنْ أُنْتَبِئَنَّ يَنْ الْقَلَّةَ [السَّلَّةَ] وَالذَّلَّةَ وَهَيْهَاتَ مَا أَخَذُ الدَّيْنَةَ أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَجُدُودٌ طَابَتْ وَحُجُورٌ طَهَّرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَيْبَةٌ لَا تُؤْزِرُ مَصَارِعَ اللَّثَامِ

عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ أَلَا قَدْ أَعَذَّرْتُ وَأَنْذَرْتُ أَلَا إِنِّي زَا حِفُّ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ عَلَى قِلَّةِ الْعَادِ
وَحُذَلَةِ الْأَصْحَابِ»^(١).

ثُمَّ أَتَشَأُّ يَقُولُ:

فَإِنْ نَهَزْمُ فَهَزَامُونَ قَدْماً وَإِنْ نُهَزَمَ فَعَيْزٌ مُهَزَّمِينَ
وَمَا إِنْ طَيْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ مَتَائِنَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَ

ولا شك ان المومن فضلا عن من هو امير للمؤمنين في زمانه وهو الحسين يأبى ان يذل نفسه لمثل يزيد، وهذا المعنى ورد بمنع المؤمن العادي ان يذل نفسه فكيف بالحسين، فقد ورد في الرواية:

١ - موثق سَمَاعَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أُمُورَهُ كُلَّهَا وَلَمْ يَفَوِّضْ إِلَيْهِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فَاَلْمُؤْمِنُ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ عَزِيزاً وَلَا يَكُونَ ذَلِيلًا يُعِزُّهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ»^(٢)

٢ - موثق أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوَّضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِذْلالَ نَفْسِهِ»^(٣).

وهذا الهدف تقترب منه بعض الممارسات الشعيرية، وذلك من خلال التركيز على الشعائر التي تبين عزة الاسلام ومناعته كالزيارات المليونية وعدم مبايعة الظالمين وتجديد الولاء والانتماء للخط العلوي والالتزام بنقاط قوة المسلمين وتعزيزها، وربط الجماهير بالخط المرجعي الواعي الذي يمثل الامتداد لخط ال محمد صلوات الله عليهم.

(١) مثير الاحزان ص ٥٥

(٢) الكافي ج ٥ ص ٦٣

(٣) المصدر.

وتنبیه الجمهور على ضرورة الابتعاد عن مراكز الذلة والضعف وعدم الخضوع للمستبدين والظالمين.

وتكرار شعار الحسين جهارا نهارا: (هيهات منا الذلة).

فالإمام الحسين اراد ان يبين لنا نوعا من الحياة لابد من اختيارها وهي حياة العزة والاباء حتى لو استلزم اختيارها فقد الحياة المادية، وهذا ما اشار اليه الامام امير المؤمنين في احد كلماته لأصحابه في صفين: (رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوْوَا مِنَ الْمَاءِ وَالْمَوْتَ فِي حَيَاتِكُمْ قَاهِرِينَ خَيْرَ مِنَ الْحَيَاةِ فِي دُنْيَاكُمْ مَقْهُورِينَ).^(١)

الهدف الرابع: الاستجابة للمظلومين والمستنصرين

ان هدفه هو الاستجابة لأهل الكوفة وكل من راسله وبايعه، حيث وردت اليه الرسائل التي تدعوه للقدوم اليهم والوعد بالنصرة.

ومن المقرر في محله ان هذا بمثابة القاء الحجة عليه للنهوض والثورة لتوفر شروط النهضة والتغيير.

فقالوا له كما ذكرت كتب التاريخ (انما تقدم على جند لك مجندة).

فأجابهم ووافق على دعوتهم، وهذا بما يوافق الحكم الظاهري في الشريعة.

وهذا ما اشار اليه الامير في النص المنقول عنه في نهج البلاغة:

«وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقْرَؤُوا عَلَى كِطَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبٍ مَظْلُومٍ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى

(١) تسلية المجالس و زينة المجالس (مقتل الحسين عليه السلام) / ج ١ / ٤٢٠ / خروج معاوية و نزوله صفين..... ص: ٤١٩).

غَارِبَهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْلَهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ عِنْدِي أَرْهَدَ مِنْ حَبَقَةِ عَنَزٍ»^(١).

وهذا الهدف عام يعني بالتصدي لإنقاذ من طلب انقاذه بكل صور الانقاذ، سواء انقاذا ماديا او معنويا.

وبذلك الموقف من النصره اراد منا الحسين ان نحقق الاهداف الالهية من نصره المظلوم والدفاع عن حقوق الآخرين متى ما استجدوا، والاهتمام بامور المسلمين، وهذا المطلب شرعي اكدته النصوص، كما في النص النبوي قَالَ ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْ أُمَّتِي وَهَمَّتْهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ وَمَنْ أَقْرَبَ بِالذُّلِّ طَائِعاً فَلَيْسَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٢).

وهناك بعض الشعائر تقترب من ذلك، منها التركيز على الشعائر التي فيها اغاثة للملهوفين ومساعدة المحتاجين واطعام الفقراء والمساكين في سبيل الله على حب الامام الحسين عليه السلام.

وتشكيل هيئة عامة تعنى بذلك تعنون بعنوان الامام عليه السلام، هذا على المستوى المادي. اما المعنوي فتشكيل لجان تدافع عن المظلومين وتستجيب نداءاتهم وتساندهم اعلاميا وتعبويا واجتماعيا، ولو من خلال التظاهرات او المحاضرات او رفع اللافتات والشعارات.

الهدف الخامس: (المثل الاعلى للتضحية)

انه بخروجه اراد ان يعطي المثل الاعلى بالتضحية والفداء وبذل المهجة لأجل الدين

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١٥١

(٢) (تحف العقول / النص / ٥٨ / و روي عنه ص في قصار هذه المعاني ص: ٣٥).

والعقيدة يكون درسا لكل الاجيال ولكن الشعوب، وان الدين يستحق التضحية بالنفس والمال والجاه وان ديننا مقدم على انفسنا وابنائنا واموالنا فاموالنا دون انفسنا وانفسنا دون ديننا.

فما قيمة الانسان وحياته اذا لم يكن دينه ومعتقده عزيزا مصونا مكرما، فالحسين عليه السلام رأى ان بقاء الدين مرهون بثورته فتار لله تعالى، وبذلك استحق ان يكون (ثار الله) كما ورد في الزيارات الواردة عن ال البيت عليه السلام، فمادام الثورة لله وفي عين الله فلا يضر كل ما حصل.

وهذا الهدف تقترب منه بعض الشعائر من خلال بذل الاوقات في خدمة الزوار وبذل الاموال لإنشاء المواكب واطعام الطعام وبذل النفس من خلال المداومة على المشي لأيام سيرا على الاقدام مع قساوة الانواء الجوية من جهة ومواجهة خيارات القتل الذي دأب التكفيريون على توجيهها بشتى الطرق لعموم الزائرين.

فكما ضحى الحسين بالنفس والمال والعيال احياء للدين، فنحن نبذل ذلك احياء للدين ولخط الحسين وثورته.

الهدف السادس: كسر الجبن والانهمام الذي في الامة

انه اراد كسر الروح الانهزامية التي دبّت في المسلمين بعد انحراف الخلافة عن اهلها، فاراد ان يخلق روح الثورة ويميت روح الانهمام والانكسار من الداخل.

وقتل روح الانهمام يحتاج الى التضحية بالجسام والاجسام، فما كان للحسين الا ان يحطم جدران الارواح المنهزمة ويخلق روح الثورة والاثارين في كل الازمان.

وبذلك اصبحت ثورة الحسين منارا للثائرين والمظلومين والمنكسرين يستلهمون العبر

والقوة والعزيمة منه ومن حركته الخالدة.

وهذا الهدف تقترب منه بعض الشعائر كشعيرة تحدي القتل في سبيل احياء شعيرة الزيارة، ومن خلال الالتزام بمواكب اللطم والعزاء وتحدي منعها في بعض الاماكن والبلدان. وكذلك الخروج بمسيرات - رغم المنع - تدعو للتحرر والحرية في البلدان المضطهدة. وكذا رفع شعارات تدل على قوة الروح الاسلامية لدى الشعوب وان روح الانهزام غير موجودة في قاموس افكار الامم.

الى غيرها من الاهداف التي تنسجم مع سمو نفس الامام وهيمته الفائقة وعصمته وامامته.

النتائج:

من خلال مطالعة الاهداف والمقاربة بينها وبين بعض الشعائر تبين اولوية بعض الشعائر على الاخرى، حيث انها تقترب من الأهداف الحسينية التي توخاها من ثورته.

ولعل اهم تلك الشعائر:

الاولى: شعيرة التبليغ الاسلامي من خلال الخطابة الحسينية، فأنها تقترب من هدفية الحسين في حركته الاصلاحية، فيكون دعم هذه الشعيرة هو الاولى بين الشعائر وذلك من خلال:

١ / ممارسة الخطابة القاء وشعرا.

٢ / اعداد الخطباء والخطيبات بصورة جيدة مواكبة للتحديات المعاصرة.

٣ / دعم الخطباء والمجالس الحسينية ماديا ومعنويا.

٤ / حضور المجالس والحث على الحضور.

٥ / انشاء مراكز اعلامية وثقافية لتوحيد الخطاب الاسلامي للمبلغ ومحاولة الاقتراب من الواقع ومعالجته.

٦ / انشاء هيئة رقابة شرعية لمن يمارس هذا التبليغ ودعمه معنويا.

فكل هذا يدخل في تقوية عنوان هذه الشعيرة او مقدماتها.

الثانية: دعم اهداف الثورة وتصديرها اعلاميا في كل قنوات الاعلام سواء كان مرئيا او مسموعا او مكتوبا، وايصال صوت الثورة الذي هو صوت الاسلام الى بقاع المعمورة.

وذلك من خلال:

١ / تصدير الثورة الحسينية الى العالم اجمع من خلال وسائل الاعلام المتاحة والمشروعة كتصوير الافلام والمسلسلات وكتابة البحوث والروايات بأساليب عالمية تناغم الوجدان والانسانية.

٢ / تعريف المجتمع الاسلامي بحقيقة الثورة واهدافها وضرورة التواصل مع تلك الاهداف.

٣ / تعريف المجتمع غير الاسلامي بالأبعاد الانسانية للثورة وابرازها كثورة عالمية ضد الاستبداد والظلم.

٤ / ابعاد العادات والتقاليد التي تخدش بحقانية الثورة او تشوه صورة رموز الثورة وابدالها بشعائر موافقه لهدفية الثورة.

الثالثة: المسيرات الراجلة لزيارة الحسين في تجمعات مهيبية تبرز هيبة الاسلام وقوته.

وذلك من خلال ابراز عدة نشاطات وشعائر:

١ / الحث الدائم والتاكيد المستمر على اهمية شعيرة الزيارة والمشي الى الزيارة راجلا للرجال والنساء وانه ورد في روايات كثيرة.

٢ / توفير الخدمات في طريق المشي من اماكن السكن الى الطعام والشراب الى الاجواء الامنية والايمانية.

٣ / توفير الخدمات الطبية والعلاجية للزائرين المشاة ودفع ما يصيبهم من تعب وارهاق المشي سيرا على الاقدام.

٤ / توفير الخدمات العلمية والدينية في طريق المشي ودعم الحوارات والنشاطات الهادفة.

الرابع: ابراز معالم الاسى والحزن من باب ابقاء جذوة الثورة وحرارة قتل الحسين بالقلوب من خلال عدة نشاطات، منها

١ / اقامة مجالس البكاء على الامام الحسين.

٢ / اقامة مجالس اللطم والعزاء وفقا للضوابط الشرعية المقررة.

٣ / كتابة والقاء وانشاد الشعر الحسيني الهادف المصور لمظاهر الحزن والمصيبة.

٤ / الدعم والتشجيع المادي والمعنوي للنقاط الثلاثة اعلاه.

٥ / ابراز معالم الحزن ايام المحرم بلبس السواد وتوشيح البيوت والشوارع به.

٦ / التعبير الكتابي عن مظاهر الحزن والاسى على الامام الحسين من خلال اللافتات والبوسترات.

الخامس: انشاء تشكيلات وتجمعات خيرية وثقافية باسم (هيئة انصار الحسين) تعمل على رعاية الناس ماليا ومعنويا وتهتم بشؤونهم وتدافع عن حقوق المظلومين في العالم، كإنشاء (مركز الحسين) للدفاع عن المظلومين في العالم ومناصرتهم معنويا واعلاميا وماديا.

الى غير ذلك من الشعائر التي تقترب من هدفية الثورة ومقاصدها السامية والغالية،
فالتزام تلك الشعائر يكون احرى بالتطبيق من غيرها في سلم الاولويات، والتي ينبغي التركيز
عليه وعدم اهمال ما دونها من الشعائر جزما وانما تقدم بحسب قانون الاولويات التي تنجسم
مع اهداف الثورة في الاصلاح الذي اراده سيد الشهداء عليه السلام.

البحث الثالث عشر:

مشروعية

يا ليتنا كنا معكم في المجالس الحسينية

دراسة في القرآن والروايات واللغة

مقدمة:

من الحقائق التي فطر الخلق عليها حبهم للكمال وللكاملين، وتمني الكون منهم أو معهم، وهذا ما تجلى واضحا في اصحاب الانبياء والائمة عليهم الصلاة والسلام، حيث انهم سعوا جاهدين للاقتداء بهم والسير بسيرهم وقد تبعهم على ذاك اهل الصلاح والفلاح في كل زمان ومكان.

وهذا الحب للكاملين له صور واشكال عديده، تارة يبرز باللسان وتارة بالمواقف وتارة بالاقتداء وتارة بالنصرة والاشراك بالأعمال وتارة بالتضحية بين يديهم.... الخ.

ولعل اسمى صور الحب والاتباع هو الكون المباشر من حضراتهم القدسية ومشاركتهم همومهم وتطلعاتهم في الدعوة الالهية، وقد فاز بذلك كثير من الاولين اذ انهم ادركوا زمانهم وشاركوهم الجهاد والاصلاح وكل خطوات الدعوة الى الله تعالى، فنالوا بذلك عظيم الشرف والدرجات وفازوا بقصب السبق والنصر والظفر.

وبهذا الصدد يرد التساؤل التالي، هل يسوغ لمن لم يعاصرهم تمني الاشتراك والكون معهم؟ حتى ينال شرف الانتماء لمسيرتهم الاصلاحية والاشترك بالأجر والثواب الذي حصل عليه من عاصرهم وجاهد معهم وبذلك لا تقوته اجور هذه الطاعات.

هذا التساؤل يرد على ذهن كل من سمع ما يكرره خطباء المنبر الحسيني وغيرهم اعزهم الله تعالى، من تمنى الكون مع الامام الحسين (عليه السلام) في ثورة الطف الاصلاحية التي قام بها الامام مع ثلة من اعظم اهل بيته واصحابه ونسوته.

فيكرروا مع جماهيرهم عبارة (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما) في مجالسهم وعلى منابرهم وفي مناسباتهم بل في حياتهم العامة.

فهل يسوغ هكذا تمنى وما الذي يمكن ان يكون مانعا منه او مجوزا له؟ وما ادلت ذلك من كلا الفريقين؟.

البحث يجيب هذا التساؤل من خلال تتبع استعمال هذا الاسلوب في القرآن الكريم والروايات واللغة العربية وابرز كلمات الاعلام في المسالة وادلتهم سواء اكانت على مستوى المنع ام الجواز.

وهذا البحث قد يقال لا فائدة منه، اذ ان الجواب: يجوز ذلك وان سيرتنا قائمة عليه والروايات ناطقة به.

فيقال: انه قد اثرت حول مشروعية ذلك التمني جملة من التساؤلات جعلت بعض الخطباء وبعض السامعين لهم يستشكلون من اطلاقها في مجالسهم ويستبدلونها بغير ذلك من عبارات تحاشيا من الاشكال الشرعي.

وهذا البحث المختصر كتبته لاستيضاح السؤال الذي اثاره السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) في كتابه (اضواء على ثورة الحسين (عليه السلام)) واصبح محلا للخلاف قبولا ومنعا، فاردنا ان نبين حقيقة ذلك ونقف على الراي الفصل في المسالة.

ونبحث ذلك في محاور ونتيجة وتتمة.

محاور البحث:

المحور الاول: بيان مفردات هذا التركيب

ان عبارة (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما) حاوية على عدة مفردات وهذه المفردات لا بد ان نقف على حدودها اللغوية وموارد جواز استعمالها وموانع الاستعمال، ولا يخفى ان الوقوف عليها له اهميته في تنقيح حكم مسالتنا لذا فبحثها امر ضروري في المقام، ولا يخفى اننا سنعرض ذلك اجمالا بما يناسب البحث.

واهم ما في هذه الجملة ثلاث كلمات:

المفردة الاولى: (يا ليتنا)

قال في المعجم: (يا: الياء والألف: أداة، وهي ياءٌ تصلحُ للنداء نحو يا زيد، وقد يكون تعجُّباً وتلذُّذاً نحو قولهم: يا بَرِّدْها على الفؤاد. ويكون تلَهُفاً كقول القائل: يا حَسْرَتَا على كذا)^(١)

وقال في المفردات: (يَا حرفُ النَّداءِ، ويستعمل في البعيد وإذا استعمل في الله نحو: (يَا رَبِّ) فتنبية للداعي أنه بعيد من عون الله وتوفيقه)^(٢)

وفي التاج: (و من ذلك قولُ الدَّاعِي: يا الله يا رَبِّ، وقد يكونُ ذلك هُضماً لِنَفْسِ الدَّاعِي لِكَمالِ تَقْصِيرِهِ وبعده عن مَطانِّ القبولِ، وهذا لا يَتَمَخَّضُ إِلَّا على ما مَشَى عليه المصنِّفُ، كونه لِنِداءِ البَعِيدِ. وأمَّا على قولِ ابنِ الحاجِّ القائلِ بالأعمية فلا يحتاجُ إلى ذلك هي مُشْتَرَكَةٌ بينهما، أي بينَ البَعِيدِ والقريبِ، أو يَتَنَهَّما وبينَ المُتَوَسِّطِ)^(٣).

(١) معجم مقائيس اللغة؛ ج ٦، ص: ١٥١

(٢) المفردات ص ٨٩٥

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس؛ ج ٢٠، ص: ٤٣٥

اقول: حرف النداء (يا) يأتي لعدة معان منها للتحسر على امر ما لم ادركه سواء اكان ماديا ام معنويا، ويستعمل لنداء البعيد عادة، وهو الذي يصعب نيله لتقصير او لبعد.

اما ليت: اداة تفيد التمني وهو طلب المتعذر مثل: (ليت أيام الصبا رواجع) أو بعيد الوقوع مثل: (ليت لهذا الفقير صيغة تغنيه عن السؤال)، وتأتي قليلاً للممكن القريب مثل: (ليت لك تصحبنا).

وهذا الكلام في تعدد ما تفيد (ليت) قد نص عليه ائمة اللغة في كتبهم، كما قال صاحب (المعجم الوسيط): (حرف تَمَنُّ يتعلّق بالمستحيل غالباً كقوله: أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يوماً فَأُخْبِرَهُ بما فعل المشيبُ. وبالممكن قليلاً، نحو: لَيْتَ المسافرَ حاضرًا).

وقال صاحب التاج (لَيْتَ، بفتح اللام: كلمة تَمَنُّ أي حرف دَالٌّ على التَّمَنِّي، وهو طَلَبُ ما لا طَمَعَ فيه، أو ما فيه عُسْرٌ، تقول: لَيْتَنِي فعلْتُ كذا وكذا، وهي من الحُرُوفِ النَّاصِبَةِ تَنْصِبُ الاسمَ وَتَرْفَعُ الحَبَرَ مثل كَأَنَّ وأخواتها.... ثم قال ووجدت في الحاشية ما نصّه: رواجعا نُصِبَ على إِضْمَارِ فَعْلٍ، كأنه قال: أَقْبَلْتُ، أو عَادْتُ، أو ما يليق بالمعنى، كذا قال سيبويه، تَتَعَلَّقُ بِالمُسْتَحِيلِ غالباً، وبالمُمكنِ قليلاً وهو نصّ الشيخ ابن هشام في المُعْني، ومثله بقول الشاعر:

فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ
وقد نظر فيه الشيخ بهاء الدين السُّبُكِيُّ في «عروس الأفرح»، ومنع أن يكون هذا من المُسْتَحِيلِ. نقله شيخنا^(١).

اقول: تبين ان ليت وان كثر استعمالها في المستحيل ولكن لا حصر بذلك بل تستعمل في البعيد الوقوع بل والقريب الوقوع، وفي استعمالها في الكتاب الكريم والروايات

الشريفة - كما سيأتي - شاهد على ذلك وبذلك لا يشكل باختصاصها بالمستحيل.

المفردة الثانية: (معكم)

قال صاحب كتاب التحقيق في كلمات القرآن: (مع): كلمة مبنية في صورة الاضافة، بمعنى الملازمة والانضمام. وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد، كالكون مع الله، ومع الراكمين، ومع الصابرين، ومع الكافرين، ومع الظالمين، ومع الأتقال، ومع العسر، مع نوح، مع الرسول. فالملازمة والانضمام أعم من أن يكون في ماذي أو معنوي، وفي مكانى أو زمانى أو غيرهما....).

وهذا المعنى الذي ذكره مستفاد من كلمات اللغويين وهو وارد في القرآن الكريم والروايات كما سيأتي وهو تام.

المفردة الثالثة: (فنزون)

ان الفوز هو الوصول الى الخير والنجاة من الشر سواء اكان ذلك الخير معنويا ام ماديا، اخرويا او دنيويا، ولكن الفوز الحقيقي هو تحصيل رضوان الله واوليائه الطاهرين والتزام نصرتهم والابتعاد عن المعاصي والسيئات، وهذا ما صرح به القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

وعلماء اللغة اشاروا الى هذا المعنى واليك بعض كلماتهم:

قال صاحب كتاب العين: (الفوز: الظفر بالخير، والنجاة من الشر. [يقال]: فاز بالجنة

ونجا من النار، وقوله [جل وعز]: فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ، أي: منجاة).^(١)

قال في المفردات: (الْفَوْزُ: الظفر بالخير مع حصول السلامة. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج / ١١]، فَازَ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب / ٧١]، ذ ﴿لِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الباقية / ٣٠]، وفي أخرى الْعَظِيمُ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢)).

وسياتي بيان أكثر عن الفوز.

المحصل من البحث اللغوي:

١ - ان حرف النداء (يا) له عدة معان، منها انه يأتي للتحسر على امر ما لم يدرك سواء كان ماديا او معنويا وهذا الاستعمال يفيدنا في هذا البحث.

٢ - ان (يا) تأتي لنداء البعيد عادة، وهو الذي يصعب نيله لتقصير او لبعد وليس للمستحيل فحسب.

٣ - ان (ليت) لا ينحصر استعمالها بالمستحيل او المتعذر بل تأتي للبعد المنال وللممكن ايضا كما نص ائمة اللغة، وتعلقه بالمستحيل غالبا لا يحصر استعمالها بذلك، فلا تتم دعوى انحصارها بالمستحيل.

٤ - ان (معكم) تدل على الملاصقة والانضمام سواء كان ماديا او معنويا في زمان او مكان معين، ولا اختصاص لها بالمادة كما قد يتصور، لذا قولنا كونوا مع الله اي الكون المعنوي لا المادي لأنه مستحيل.

٥ - اما الفوز فهو النجاح في الوصول للخير سواء كان ماديا ام معنويا، واعظم الفوز هو

(١) كتاب العين؛ ج ٧، ص: ٣٨٩

(٢) مفردات ألفاظ القرآن؛ ص: ٦٤٧

الفوز بنصرة الحق واهله في الدنيا والفوز بالجنة والرضوان مع النبي محمد واله الكرام في الآخرة.

هذا تنقيح لكلام اللغويين يفيدنا في البحث الحكمي ان شاء الله تعالى.

المحور الثاني: ورود التمني بـ (ليت) في القرآن الكريم

ان كلمة ليت وردت في الكتاب الكريم في عدة موارد، وقد استعملت في المستحيل كثيرا، كما استعملت في البعيد الحصول وفي الممكن ايضا، وهذا مطابق لما مر في البحث اللغوي واستعمالها بما هو ممكن او بعيد الحصول يفيدنا في البحث كما اسلفنا.

واليك بعض الآيات التي وردت فيها ليت في القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١).

هنا تمني فئة لم تكن حاضرة القتال ان تكون حاضرة لما حصل عليه المقاتلون من غنائم واموال، وهو تمني سلبي لانه كان لأمر دنيوي ومادي، وعندهم ان هذا هو الفوز العظيم، فالقران ذمهم لان معيار الامر العظيم ليس الماديات والدنيويات وانما المعيار هو المعنويات ورضوان الله والجهاد في سبيله، اما من يتمنى الكون مع المقاتلين من جهة فوت القتال في سبيل الله او الدفاع عن الاسلام او نيل الشهادة او الدفاع عن الامام او النبي فهو تمني ايجابي بلا ريب، ومثله تمني القتال مع النبي او مع الامام الحسين مثلا، ونيل النصر او الشهادة لا الماديات او الشهرة او الغنائم، فالتمني قد يكون مذموما او ممدوحا بحسب ما يتمنى المتمني بغض النظر عن استحالة او امكان ما يتمناه.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾^(١).

هنا تمني ان يكون بين الانسان وبين قرينه الذي اضله وجعله ينحرف عن طاعة الى طاعة الشيطان مسافة بعيدة كالمسافة بين بعد المشرقين من شدة ما يصيبه من انواع العذاب من جهة ومرافقة ذلك القرين المشؤوم من جهة اخرى وهو تمني ايجابي ولكنه لامر مستحيل.

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢).

هنا تمني من اهل الدنيا ان يكون لهم ما لقارون من اموال وكنوز وهو امر بعيد المنال ولكنه ليس بالامر المستحيل وهو تمني سلبي لانه دنيوي بحت، لذا سرعان ما تراجعوا عنه عندما انكشفت لهم الامور.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ و﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا - يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾^(٣).

هنا تمني من قبل فئة ظالمة من الناس تعض على يديها حسرة واسفا على ما فرطوا في جنب الله تعالى، وذلك التمني صدر منهم يوم الحسرة، فهم لم يكن طريقهم مع الرسول والهداية الذي جاء بها وانما كان طريقهم مع الخليل الضال المضل المنحرف عن سبيل الرسول، وهو تمني ايجابي ولكنه وقع بعد فوات الاوان.

(١) الزخرف ٣٨

(٢) القصص ٧٩

(٣) الفرقان ٢٧ - ٢٨

قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)

هنا تمنى من المشركين الرجوع الى عالم الدنيا للتوبة والرجوع الى الله تعالى من تكذيبهم لآيات الله وانبيائه لشدة ما راوا من العذاب ولكنه تمنى لما هو مستحيل، ولو فرضنا المستحيل فانهم لو عادوا لكرروا ما كانوا يفعلون وهو تمنى ايجابي ولكن بعد فوات الوقت.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾^(٢)

تمنى الموت من قبل السيدة الطاهرة مريم لكي لا تتهم بالزيلة والبغاء وهي المعروفة بالعفة والنقاء فتمنت الموت قبل ذلك.

المستفاد من الآيات بما ينفع في المقام:

١ - ان اسلوب التمني هو اسلوب قرآني بلاغي وقد استعمل للتعبير عن حالات التمني بمستوى ما هو مستحيل او ما هو بعيد الحصول.

٢ - ليس هناك محذور من استعماله ولم يستهجن القران هذا الاسلوب، نعم اذا كان التمني لما هو مادي او دنيوي او ما هو محرم فهو ممنوع ومذموم، واذا كان تمنى ما هو صالح او امر اخروي او طاعة او نصره اولياء الله فهو محبوب ولا محذور فيه، وقرينة المقابلة في الايات دالة على ذلك.

٣ - التمني هو طلب حصول الشي على سبيل المحبة اي لانه امر محبوب للمتمني، ولا يشترط امكان المتمنى حصوله بخلاف الترجي، واذا صدق التمني فلا محذور، اما مع

التمني الكاذب فهو مذموم. فاذا كان التمني صادقا فهو ممدوح وان كان مستحيل زمانا ومكانا ومنه كما يأتي نية الاشرار بالعمل الصالح.

٤ - ان صدور التمني من بعض الظالمين لا يعني ان الذم لاصل معنى التمني او اسلوبه في الحوار وانما الذم لتلك النفوس الخبيثة لا لاسلوب الكلام.

٥ - ان التمني صدر من السيدة الطاهرة مريم وهي من الانفس الطاهرة الزكية كأسلوب تعبير لزوال ما آلت اليه امورها.

المحور الثالث: ورود التمني بـ (ليت) في الروايات:

وهي على طائفتين:

الاولى: طائفة عامة:

حيث ورد (ليت) بصورة عامة وليس في القضية الحسينية:

الرواية الاولى: ففي كتاب واقعة صفين: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ «اللَّهُمَّ نَوِّرْ قَلْبَهُ بِالْتَقَىٰ وَاهْدِهِ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَيْتَ أَنَّ فِي جُنْدِي مِائَةً مِثْلَكَ فَقَالَ حُجْرٌ إِذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَحَّ جُنْدُكَ وَقَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَغُشُّكَ».^(١)

فهنا استعملها امير المومنين للتمني البعيد الحصول وليس للمستحيل لانه من الممكن ان يكون في جند الامام مائة من الجند مثل مواصفات حجر بن عدي، فاستعملت ليت في ما هو ممكن كما هو مفاد بعض استعمالات اللغة، وهو تمني صادر من الامير فيكون حجة في جواز الاستعمال من المومنين في تمني ما هو ايجابي وهو تحقيق النصر.

الرواية الثانية: في تفسير القمي حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بِلَالٍ عَنْ يُونُسَ قَالَ اخْتَلَفَ يُونُسُ وَهَشَامُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالِمِ الَّذِي أَنَاهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُمَا كَانَ أَعْلَمَ - وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوسَى حُجَّةٌ فِي وَقْتِهِ - وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ - فَقَالَ قَاسِمُ الصَّيْقَلِ: فَكَتَبُوا ذَلِكَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُونَهُ عَنْ ذَلِكَ - فَكَتَبَ فِي الْجَوَابِ: «أَتَى مُوسَى الْعَالِمُ فَاصَابَهُ - وَهُوَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ - إِمَّا جَالِسًا وَإِمَّا مُتَكِنًا - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَأَنكَرَ السَّلَامَ - إِذْ كَانَ بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا سَلَامٌ - قَالَ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، قَالَ: أَنْتَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ قَالَ: جِئْتُ ﴿أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَكَ﴾ قَالَ: إِنِّي وَكَلْتُ بِأَمْرِ لَا تُطِيقُهُ - وَوَكَلْتُ أَنْتَ بِأَمْرِ لَا أُطِيقُهُ، ثُمَّ حَدَّثَهُ الْعَالِمُ بِمَا يُصِيبُ آلَ مُحَمَّدٍ مِنَ الْبَلَاءِ - وَكَيِّدَ الْأَعْدَاءِ حَتَّى اشْتَدَّ بَكَأُؤُهُمَا - ثُمَّ حَدَّثَهُ الْعَالِمُ عَنْ فَضْلِ آلِ مُحَمَّدٍ حَتَّى جَعَلَ مُوسَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ»^(١)

فهنا تمنى ان يكون الانسان من (محمد وال محمد) التي هي درجة عالية لم يصل لها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولو كان وصل لها موسى وهو من اولي العزم لما تمنى لها واشتاق لها، وهو تمنى مشروع وحقيقي، وان استحال وقوعه نسبا وزمانا ومكانا الا انه مشروع لصدوره من النبي موسى الذي هو معصوم.

وبعبارة: لقد استعملها النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتمنى ما هو مستحيل وهو الكون منهم لانهم لم يكونوا في الدنيا بعد وهو بزمان لا يسعه العيش لادراكه زمانهم والكون منهم، ولو كان ثمة محذور لما استعمله النبي المعصوم، ولا شك ان هذا التمني هو اصعب من تمنى الكون معهم في زمانهم للتشرف بالنظر اليهم ونصرتهم ومشاركتهم تحركاتهم.

الرواية الثالثة: في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا مُوسَى أ

مَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضْلَ أُمِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ كَفَضْلِي عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ لَيْتَنِي كُنْتُ أَرَاهُمْ^(١).

وكذلك استعملها هنا لتمني المستحيل لانهم لم يكونوا في الدنيا لكي يراهم، ولم يشكل عليه احد لانه تمنى المستحيل وهو شبيه تمنينا لرويتهم ونصرتهم.

الرواية الرابعة: وفي الكافي باسناد عن عُبَيْسَةَ بْنِ مُضْعَبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ «أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَدِيثِي وَتَقْلُوبِي بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَقْدُمُوا وَأَرَاكُمْ وَأَنْتَسَ بِكُمْ فَلَيْتَ هَذِهِ الطَّاغِيَةُ أَذِنَ لِي فَأَتَّخِذَ قَصْرًا فِي الطَّائِفِ فَسَكَنْتُهُ وَأَسْكَنْتُكُمْ بَعِي وَأَضْمَنَ لَهُ أَنْ لَا يَجِيءَ مِنِّي نَاحِيَتَنَا مَكْرُوهٌ أَبَدًا»^(٢).

وهنا استعمل الامام الصادق عليه السلام ليت للتمني الممكن، وهو اذن الطاغية للامام لكي يبني بيتا له ولاصحابه لكي يحميهم من بطش الظالمين ولكي يتمكنوا من الاجتماع به عليه السلام.

الى غيرها من الروايات العامة الدالة على مشروعية استعمال ليت في ما هو ايجابي او اخروي وان كان مستحيلا او ممكنا وقوعا.

الثانية: طائفة خاصة:

وهي ورود عبارة (ليتنا كنا معكم) في الروايات والزيارات الواردة عن ال البيت عليه السلام.

وهذه الزيارات والروايات صدرت من الائمة عليه السلام غير المعاصرين للامام الحسين عليه السلام اي لم يكونوا في زمنه، وقد دأبوا على تعليم تلك الزيارات لشيعتهم ليزوروا بها ويتادبوا بادب

(١) تفسير الامام العسكري ص ٣٢

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٠٩

التمني للكون معهم لنصرتهم.

وقد وردت هذه العبارة بشكل مستفيض في الزيارات وبعض الروايات فضلاً عن اعتبار سند بعض تلك الروايات مستقلاً، وفيما يلي نقل بعض تلك الروايات بلا تعليق في أكثرها.

قول الامام الصادق عليه السلام في الزيارة: «... فُرُزْتُمُ وَاللَّهِ ثَلَاثًا فَلَيْتَ أَيَّ مَعَكُمْ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا ثُمَّ تَدُورُ فَتَجْعَلُ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَمَامَكَ فَتُصَلِّيَ سِتَّ رَكَعَاتٍ وَقَدْ تَمَّتْ زِيَارَتُكَ فَإِنْ شِئْتَ أَقِمْ وَإِنْ شِئْتَ فَأَنْصِرْ»^(١).

فالامام الصادق عليه السلام في هذه الرواية بصدد بيان كيفية زيارة الامام الحسين عليه السلام من قبل شيعته ومن ضمن مضامينها تمني الامام الصادق عليه السلام الكون مع الامام الحسين واهل بيته لنيل الفوز العظيم وهذا التمني صادر من الامام المعصوم وادب عالم لشيعته في كيفية زيارة الامام الحسين عليه السلام.

وعن الامام الصادق عليه السلام في زيارة اخرى: «... وَأَشْهَدُ أَنَّ قَاتِلِيكَ فِي النَّارِ أَدِينُ اللَّهُ بِالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ وَمِمَّنْ قَتَلَكَ وَشَاعِيَ عَلَيْكَ وَمِمَّنْ جَمَعَ عَلَيْكَ - وَمِمَّنْ سَمِعَ صَوْتَكَ وَلَمْ يُجِبْكَ [وَلَمْ يُعِنْكَ] يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٢).

هنا ايضا يتمنى الامام الصادق في زيارة اخرى غير السابقة الكون مع الامام الحسين لنيل النصر والظفر او الشهادة في سبيل الله.

وفي زيارة اخرى يرويهما الثمالي عن الامام الصادق عليه السلام: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَاتِلِكَ وَمِنْ سَالِكَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٣).

(١) كامل الزيارات ص ١٩٨

(٢) كامل الزيارات ص ٢١٣.

(٣) المصدر ص ٢٣٧

ومضمونها واضح كالسابق.

وعن الصادق عليه السلام: «... السَّلامُ عَلَيْكُمُ السَّلامُ عَلَيْكُمُ السَّلامُ عَلَيْكُمُ فُزْتُمْ وَاللهُ فُزْتُمُ وَاللهُ فُزْتُمُ وَاللهُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(١)

وفي رواية أخرى: «... السَّلامُ عَلَيْكُمْ السَّلامُ عَلَيْكُمْ فُرْتُمْ وَاللهُ فُرْتُمْ وَاللهُ فُرْتُمْ وَاللهُ فُلَيْتَ أَنِّي مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٢)

وفي زيارة الامام الحسين يوم عرفة للامام الصادق عليه السلام: «يَا أَيُّ أَنْتُمْ وَأُمِّي طِينْتُمْ وَطَابَتِ الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا دُفِنْتُمْ وَفُزْتُمْ فَوْزًا عَظِيمًا، فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُورَ مَعَكُمْ».^(٣)

وفيهما ايضاً: «... وَفُزْتُمْ وَاللَّهُ فَوْزًا عَظِيمًا، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُورَ مَعَكُمْ فِي الْجَنَانِ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».^(٤)

وفي الإقبال أيضا عن الامام الرضا عليه السلام: «يا بن شبيب ان سرّك ان يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما».^(٥)

وهذه الرواية صريحة في تعليم الامام الرضا عليه السلام لابن شبيب فضل قول ياليتنا كنا معكم بالرغم من ان ابن شبيب غير معاصر لابي عبد الله الحسين عليه السلام، فالامام يحثه على

(۱) من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۵۹۷

(۲) تہذیب الاحکام ج ۶ ص ۵۶

(٣) المزار الكبير للمشهدي ص ٤٦٥

(٤) الاقبال بالاعمال الحسنة ج ٢ ص ٦٦

(٥) المصدر ج ٣ ص ٣٠

ذلك العمل، ولو كان ثمة محذور لما حثه الامام.

وفي زيارة الامام الحسين في جمادى الآخرة: «... أَشْهَدُ أَنْ قَاتِلَكَ فِي النَّارِ أَدِينُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرَاءَةِ مِنْ قَتْلِكَ وَمَنْ قَاتَلَكَ وَشَاحَ عَلَى قَتْلِكَ وَمَنْ جَمَعَ عَلَيْكَ وَمَنْ سَمِعَ صَوْتَكَ فَلَمْ يُغْنِكَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(١)

وفي البلد الأمين ايضا: «طِبْتُمْ وَطَابَتِ الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا دُفِنْتُمْ وَفُرِزْتُمْ فَوْزاً عَظِيماً يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُمْ»^(٢)

وفي بحار الأنوار عن الامام الصادق عليه السلام: «يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَاتِلِكَ وَمَنْ سَالِكَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٣)

وفي بحار الأنوار ايضا: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا إِمَامِي وَأَبْنِ إِمَامِي كَأَنِّي بِكَ يَا مَوْلَايَ فِي عَرَصَاتِ كَرْبَلَاءَ تُنَادِي فَلَا تُجَابُ وَتَسْتَغِيثُ فَلَا تُغَاثُ وَتَسْتَجِيرُ فَلَا تُجَارُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٤)

وفي بحار الأنوار ايضا: «وَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَكَ وَشَهِدَ الْمَعْرَكَةَ مَعَكَ وَالْوَارِدِينَ مَصْرَعَكَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^(٥)

وفي بحار الأنوار ايضا: «فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ فُرُزْتُمْ وَاللَّهُ فَوْزاً

(١) البلد الأمين ص ٢٨١

(٢) المصدر ص ٢٩٠

(٣) بحار الأنوار ص ٩٨ ص ١٨٤

(٤) المصدر ص ٢٢٤

(٥) المصدر ص ٢٢٨

عَظِيمًا يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا»^(١)

بحار الأنوار ايضا: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَبْدَانِكُمْ وَسَلَّم تَسْلِيمًا فُرُتُمْ
وَاللَّهُ وَلَوِ دِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا»^(٢)

وغيرها من الروايات والزيارات التي يجدها المتتبع.

المحور الرابع: وجه الاشكال في عبارة يا ليتنا كنا معكم:

اعتاد العامة والخطباء والعلماء على ترديد (يا ليتنا كنا معكم) في مجالسهم الحسينية واطلقوا ذلك اطلاق المسلمات، ولكن في العصور المتأخرة اصبح بعض العامة والخطباء لا يطلقون هذه العبارة بل يستشكلون فيها وبعضهم يستبدلها بيا ليتنا نكون مع قائمكم، والواضح ان هذا الاستشكال ليس منهم وانما استندوا فيه الى كلمات ذكرها السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره في كتابه اضواء على ثورة الحسين ظاهرها المنع من هذه العبارة، ولعله اول من استشكل بهذه العبارة.

ادلة المنع ودفعها:

ان السيد الصدر ذكر في كتابه اضواء على ثورة الحسين بعض الاشكالات او الاستفهامات حول تمني الكون معهم ويمكن تلخيصها بما يلي:

الاشكال الاول:

ان السيد الشهيد اشكل على من يقصد من التمني هو تمني الكون معهم زمانا ومكانا

(١) المصدر ص ٢٤٦

(٢) المصدر ص ٣٣٩

وقال ان ذلك فيه اشكالين، محصلهما ان تمنى العود للماضي مستحيل وتمني المستقبل مستحيل، ومجرد وجود الفرد هناك لا يعني بالضرورة انه يفوز فوزا عظيما.

وبلاحظ :

اولا: ان من يكرر تلك العبارة لا يريد الكون معهم زمانا ومكانا لعلمه بعدم ادراك ذلك، وانما يتمنى المعية المعنوية وشرف النصر والشهادة مع سيد الشهداء والفوز بالظفر ونيل الجنان.

وهذا واضح من الروايات المتقدمة التي نص الامام فيها على التمني للكون معهم للفوز بالجنان وعلم ذلك شيعته وحثهم عليها.

ثانيا: ان تمنى المستحيل كاسلوب بلاغي ليس فيه محذور لانه يقع في دائرة ارادة شيء يصوب له الجميع، كمن تمنى ان يكون من الانبياء او من الائمة او من نسب السادة بالرغم من ان نسبه عامي، فان ذلك لا يقال انه خولط في عقله كما عبر السيد الصدر رحمه الله، خصوصا وان هذا الاسلوب قد ورد في الآيات الشريقات كما ذكرنا اكثر من اية، كما ورد في الروايات وعلى لسان النبي موسى عليه السلام من تمنيه الكون مع ال محمد كما ذكرنا عند نقل الروايات.

ثالثا: ان ظاهر الروايات المبينة للزيارات شمولها لمطلق التمني ولكل انواع المعية ورفع اليد عن الاطلاق يحتاج لقريئة ولا قريئة بل ظاهر الايات والروايات مشروعية التمني للشي الايجابي وان كان مستحيلا.

الاشكال الثاني :

ومفاد ما ذكره السيد الصدر، ان تمنى المعية المعنوية لا اشكال فيها ولكن عبارة يا

ليتني كنت معهم وردت على لسان متدني الايمان او قليل اليقين فلا يكون معقولا تكرارها من المومن، والاية تحكي هذا المضمون، ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ قَضٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

يلاحظ:

اولا: ان تلفظ هذه العبارة من شخص سلمي او قليل الايمان لا يعني انها عبارة سلبية او غير جيدة، بل العبارة تابعة للمستخدم فان كان قاصدا التسامي المعنوي فلا ضير فيها وان كان قاصدا ما هو سلمي فذلك شأنه ولا يجعل من العبارة سلبية او قائلها متدني.

ثانيا: ان هذه العبارة كررها الانبياء والائمة عليهم السلام في كلماتهم وزياراتهم فضلا عن وجودها في اللغة كاسلوب بيان، فاذا كانت ذات طابع سلمي لما كررها الصالحون ومنهم مني السيدة مريم ان تكون نسيا منسيا.

ثالثا: ان مورد الاية يتكلم عن شخص متخاذل كان بإمكانه ان ينصر الحق ويخذل الباطل ولكنه اختار الدعة والراحة والوقوف على التل، اما المكررون لهذه العبارة لم تتاح لهم فرصة نصره الحق المتمثل بالكون مع الحسين عليه السلام لوجود الفاصل المكاني والزمني ولذا تمنوا ذلك.

الاشكال الثالث:

وهو ما افاده السيد الصدر واليك محصله (ان تمنى الكون معهم هو لنيل ما اصابهم من فضل وظفر وفوز وجنات، وهذا ينبغي ان يكون من دواعي الفرح والسرور لا الحزن والبكاء كما هو حاصل عند تكرار العبارة.

يلاحظ:

اولا: ان هذه العبارة ليست خاصة بالخطباء وانما هي عامة يكررها كل المومنين عند تلاوة الزيارات والروايات وفي مواطن اخرى، وليس بالضرورة ان ياتوها باسلوب الحزن.

ثانيا: ان من ياتي بها باسلوب الحزن حال التطبيق لا يصير هذا الاسلوب خاصا بالحزن وانما يكون خطأ في التطبيق.

ثالثا: ان الخطباء والقراء يجعلونها كمقدمة لخطبهم ومحاضراتهم وليس في داخل المصيبة، وان جعلها بعضهم كذلك فلا يكون ذلك حجة على الجميع.

رابعا: انه لا خير حتى باتيانها باسلوب حزين لان التالي لها لاحظ ما وقع على ابي عبد الله الحسين من ابتلاءات ومصائب فيتمنى الكون معه لا لأجل الفوز معه فحسب وانما لأجل نصرته وتقديم ما يمكن من دفع الاعداء عنه وعن اهل بيته، وهذا يسوغ الاتيان بها باسلوب الحزن بلحاظ ما وقع على الحسين من مصائب لا بلحاظ الفوز معه.

وبذلك تم دفع ما يمكن ان يكون اشكالا او استفهاما حول ايراد هذه العبارة على لسان المومنين، فاذا اندفع الاشكال او ما يحتمل ان يكون محذورا نعرض ادلة الجواز او الاستحباب.

المحور الخامس: ادلة الجواز والاستحباب:

اولا: استعمالها في القرآن

حيث ورد استعمالها في القرآن الكريم في عدة آيات كما مر، وقد استعملت في موارد عديدة في تمنى ما هو مستحيل تارة وعما هو بعيد الحصول تارة اخرى، ولو كان هناك ثمة محذور في هذا الاسلوب البلاغي لما بينه القرآن الكريم واورده على لسان السيدة مريم الطاهرة.

ثانيا: استعمالها في الروايات

استعملت هذه العبارة في الروايات من قبل الانبياء والائمة عليهم السلام، بل ان بعض الروايات فيها تمني ما هو مستحيل كما في تمني النبي موسى عليه السلام الكون من ال محمد صلوات الله عليهم او مع ال محمد، وكذلك حث الامام الرضا عليه السلام لابن شبيب على تلاوة هذه العبارة عند زيارة الحسين بالرغم من الفاصل الزمني والمكاني بين زمن الامام الحسين عليه السلام وزمن الامام الصادق عليه السلام.

وهذا دليل صريح على راجحية واستحباب تكرار العبارة فضلا عن اصل مشروعيتها. وتكرار العبارة في عدة روايات يدل على مشروعية هذا التمني كما عرضنا ذلك عندما ذكرنا الروايات الوارد فيها هذه العبارة.

الثالث: السيرة والارتكاز:

جريان سيرة المتشركة والمتدينين على التلفظ بهذه العبارة بلا وجود رادع من الائمة او العلماء، بل لعل المرتكز هو راجحيتها فضلا عن مشروعيتها، ولم يخطر ببالهم بان هناك محذورا في قولها.

ولعل هذا الارتكاز وهذه السيرة اعتمدوا فيها على وجود هذه العبارة في الزيارات والروايات.

الرابع: التمسك باطلاقات ادلة استحباب الدعاء

ان عبارة (يا ليتنا كنا معكم) تمني، وكأن لسان حال من يتكلم بها يدعو ويقول يا ربنا ليتنا كنا معهم.

ولا شك ان الدعاء لاجل الكون مع الائمة والصالحين والمؤمنين محمود عند الله عز وجل.

وليس هناك محذور في تمني ذلك وهذا بمثابة عموم فوقاني للدلالة على المشروعية بل والاستحباب.

الخامس: عدم وجود الدليل على المانعية

اذا لم نقبل الادلة اعلاه - وهي مقبولة - فيمكن التمسك باصالة الاباحة بعد نفي الدليل على المنع، فلو لم يدل الدليل الاجتهادي على الجواز او المنع فلا بد من الرجوع للاصل العملي وهو اصالة البراءة او الجواز ما لم يدل دليل على المنع.

النتيجة:

تحصل مما مر ان هذا الاسلوب وهو اسلوب التمني للكون مع ال البيت او خصوص الامام الحسين عليه السلام اسلوب لا محذور فيه وان الاشكال عليه مدفوع بل هو اسلوب مستحب لقيام الدليل على الاستحباب، فلا ضير بتكراره او التخرج في قوله كما يفعله بعض الاخوة الخطباء، والظاهر من كلام السيد الصدر قدس سره انه لم يكن في مقام الافتاء بالمنع وانما من باب النصيحة او الاطروحة كما هو عادته في كثير من كتبه لذا لم نجد له فتوى او منع صريح بذلك.

تتمة فيها فائدة: نية الاشراك بالعمل

من العناوين الواردة في الروايات نية الاشراك بالعمل وتحصيل جزء من ثواب العاملين، كما لو تمنيت الاشتراك بعمل الصالحين او حب عملهم وتمني عمل ما اتوا به، وهذا المضمون نطقت به الروايات وهو من اكبر طرق تحصيل الحسنات، ومن تلك الروايات ما

رواه صاحب بحار الأنوار «... وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَقَدْ شَارَكْنَاكُمْ فِيهَا دَخَلْتُمْ فِيهِ قَالَ عَطِيَّةٌ فَقُلْتُ لِحَايِرٍ وَكَيْفَ وَلَمْ تَهْبِطْ وَادِيًا وَلَمْ نَعْلُ جَبَلًا وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ وَالْقَوْمُ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُءُوسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأُوتِمَتْ أَوْلَادُهُمْ وَأَزْمَلَتْ الْأَزْوَاجُ فَقَالَ لِي يَا عَطِيَّةُ سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّ نَبِيَّتِي وَبَيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى - عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ...»^(١).

فالأصحابي الجليل جابر الانصاري رضوان الله عليه قال اني شاركت الحسين بعمله، وهذا اثار استغراب عطية حيث انه لم نتعرض لما تعرض له الحسين واصحاب الحسين وال الحسين، فأجابه جابر برواية عن الرسول الاعظم ﷺ (من احب عمل قوم اشرك في عملهم...) .

وهذا العمل من اعمال القلوب، ويمكن ان يبرز على مستوى الجوارح من خلال التمسك بنهج الحسين والسعي للسير بسير الحسين وتحقيق اهداف ثورته، ولكن لا يعني ذلك اننا نكتفي بنية الكون فحسب وانما في مقام بيان احد اسباب الولاء والانتماء لثورة سيد الشهداء.

ولهذا العنوان فائدة في محل البحث بل يمكن ان يكون دليلا على صحة العبارة (يا ليتنا كما معكم) كصورة من صور الابرار اللفظي للاشتراك بعمل الحسين، كما انه يدفع اشكالا رابعا لم نشير اليه في جملة الاشكالات الماضية، وهو ما ذكره السيد الصدر واليك مفاده، ان الفضل الذي ناله الحسين ناله بعد بذل الغالي والنفيس، فيكون من سخف القول ان يتمنى ذلك الفرد العادي لانه لم يقدم ولو يسيرا مما قدمه الحسين ﷺ.

وجوابه واضح بالرواية من ان حب عمل الحسين مدعاة للاشتراك في عمله، بالاضافة الى ان المتمني لا يتمنى الحصول على ما حصل عليه الحسين من الثواب العالي وانما جزء من الثواب.

والحمد لله اولاً واخراً.

البحث الرابع عشر:

عموم عنوان الشعائر للشعائر الحسينية

عموم عنوان الشعائر للشعائر الحسينية

وقع عنوان الشعيرة والشعائر موضوعا لكثير من الاحكام الفقهية التكليفية سواء اكانت الزاميا ام غير الزامي، كالوجوب والحرمة والاستحباب، فقالوا بوجوب تعظيم الشعائر وحرمة اهانتها لذا حكموا بحرمة بيع المصحف للكافر وحرمة تنجيس المسجد او الدخول للأضحية المقدسة بلا طهر واستحباب الاشهار بالآذان وغيرها.

وما ذلك الا تطبيقات لعنوان الشعيرة والشعائر الدينية، فأسسوا بذلك لقاعدة فقهية سميت بقاعدة (تعظيم الشعائر الدينية وحرمة الاستهانة بها)^(١).

وبما انها قد وقعت موضوعا لمجموعة احكام، فلا بد من بحثها والوقوف عليها تفصيلا. وهل هي باقية على حقيقتها اللغوية والعرفية او ان الشارع المقدس استعملها بمعنى خاص فكان لها حقيقة شرعية او عند المتشعبة لا تنعدها؟

وبعبارة أخرى: هل ان عنوان الشعائر عنوان توقيفي على غرار عنوان الصلاة والحج او

(١) بحثنا في كتابنا القواعد الفقهية ج ٣ ص ٢٠٧ تقارير ابحاث استاذنا الشيخ السند (دام ظله).

انه غير توقيفي تابع للزمان والمكان والعرف او ان فيه الجنبتين معا؟.

ولا يخفى ان تحديد ذلك يحل إشكالية ما هو داخل بعنوان الشعيرة والشعائر وما هو خارج منها، وبالتالي يحمل الحكم على ذلك الموضوع سواء كان وجوباً او استحباباً او حرمة وبذلك تنطرد شبهة التشريع المحرم وشبهة رمي بعض الشعائر بالبدعة في الدين التي ينادي بها شرذمة من المتفقيهيين والتي قد تتعرض لها في بحث مستقل ان شاء الله تعالى.

وابرز ثمرات ذلك هو الخروج من النزاع الذي دار بين القوم في بعض المصاديق من الأفعال المتعلقة بالقضية الحسينية وهل هي من الشعائر او ليست منها.

ولا يخفى ان خروج فعل ما من الشعائر لا يعني الحكم بالمنع او الحرمة او الكراهة وانما المتبع هو الدليل الخاص، فمثلاً لو بحثنا مسألة اللطم على الحسين عليه السلام ولم تثبت شعيرتها فلا يعني انها ممنوعة بل نتحرى الدليل الخاص عليها، فنفي الدليل العام عنها واتصافها بالشعيرية لا يعني بالضرورة نفي شرعيتها، نعم سوف ينفي عنها عنوان الشعيرية فقط.

وفي هذا البحث سنسلط الضوء على المفهوم فقط دون عرض مصاديق ما هو داخل في الشعائر وما هو خارج منها بل نرجئ ذلك لدراسة أوسع لعلنا نوفق لها كمشروع كتاب لا بحث مقتضب.

فنبحث ذلك في مستويين ومؤيد ونتيجة وفائدة:

المستوى الأول: كلام اللغويين:

قال في القاموس المحيط في مادة شعر: (و الشعيرة: البدنة المهداة، الجمع: شعائر. ثم قال: وشعار الحج: مناسكه وعلاماته. والشعيرة والشعارة والمشعر: معظمها. أو شعائره:

معالمه التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها).^(١)

وقال في الصحاح: (و الشعيرة: البدنة تهدي، والشعائر: أعمال الحج، وكل ما جعل علما لطاعة الله)^(٢).

وقال ابن الأثير في النهاية: (قد تكرر في الحديث ذكر الشعائر. وشعائر الحج: آثاره وعلامته. جمع: شعيرة. وقيل: هو ما كان من أعماله، كالوقوف، والطواف، والسعي، والرمي، والذبح، وغير ذلك، وقال الأزهري: والشعائر: المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها. ومنه سمّي المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع. ومنه الحديث: أن جبرائيل قال له: «مر أمتك حتى يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعائر الحج». ومنه الحديث: أن شعائر أصحاب النبي كان في الغزو: يا منصور أمت. أي علامتهم التي كانوا يتعارفون بها. وقد تكرر ذكره في الحديث. ومنه إشعار البدن، وهو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك علامة تعرف بها أنها هدي)^(٣).

وقال في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية - ملخصا - لكتاب «الزاهر ص ١٢١، والكفاية لجلال الدين الخوارزمي ١ / ٣، وفتح الباري (المقدمة) ص ١٤٦، وأنيس الفقهاء ص ١٤٠ - (الشعائر: جمع: شعيرة، وهي العلامة، ومنه المشعر الحرام، ومشاعر الحج، والشعيرة: ما جعل علما على طاعة الله تعالى: وقيل المراد بها: ما يؤدي على سبيل الاشتهار كصلاة الجمعة، والعيد، والخطبة، وجمع عرفات، والمزدلفة، وقيل في قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢]. إنها الهدايا المشعرة: أي المعلمة بتقليد وتذمية وغيرها).^(٤)

(١) ج ٢ ص ٦١.

(٢) ج ٢ ص ٦٩٨.

(٣) ج ٢ ص ٤٦٩.

(٤) ج ٢، ص: ٣٣٧.

وفي تاج العروس من جواهر القاموس: (و قال الرَّجَّاجُ- في ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ -: يَعْني بها جَمِيعَ مُتَعَبِّدَاتِهِ التي أَشْعَرَهَا اللهُ، أَي جَعَلَهَا أَعْلَاماً لَنَا، وهي كُلُّ ما كان من مَوْقِفٍ أَوْ مَسْعَى أَوْ ذَنْحٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ: شَعَائِرُ لِكُلِّ عِلْمٍ مِمَّا تُعْبَدُ بِهِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: شَعَرْتُ بِهِ: عَلِمْتُهُ، فلهذا سُمِّيتِ الْأَعْلَامُ التي هي مُتَعَبِّدَاتُ اللهِ تعالى شَعَائِرُ).^(١)

المستوى الثاني: كلام المفسرين:

جاءت كلمة (شعائر) في القرآن اربعة مرات، مرتان مقيدة بمتعلق بمتعلق مذكور ومرتان مطلقة بلا متعلق مذكور:

الاولى: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوََةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٢)

الثانية: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٣)

الثالثة: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٤)

الرابعة: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٥).

فقد بينت الاية الاولى والثانية بعض مصاديق الشعائر وهي ذبح البدنة وجبل الصفا والمروة، وقرينة كون تلك الامور الثلاثة بعض الشعائر التعبير بـ من.

واما الايتان الثالث والرابعة فجاء التعبير بها مطلق غير مقيد بشي وهذا ما ياتي تفصيله ان شاء الله.

(١) ج ٧ ص ٣٤.

(٢) البقرة الاية ١٥٨

(٣) الحج ٣٦

(٤) المائدة ٢.

(٥) الحج ٣٠

كلام بعض المفسرين من الخاصة والعامة في معنى شعائر الله:

للقوف على معنى الشعائر قرانيا نستعرض كلام ابرز المفسرين من الفريقين، في مستويين:

المستوى الاول: بعض تفاسير اتباع اهل البيت (عليه السلام):

ذكرت التفاسير التابعة لمدرسة ال البيت معنى الشعيرة والشعائر حين التعرض للآيات التي ورر فيها كلمة شعائر، وقد اكتفيت بذكر اربعة تفاسير منها، تفسيران من علمائنا المتقدمين، وتفسيران من علمائنا المعاصرين.

١- التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: حيث بين معنى الشعيرة والشعائر في اكثر من موطن في تفسيره منها:

(و الشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة، وهي أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحر، وهو مأخوذ من شعرت به: أي علمت، وكل معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة، وواحد الشعائر شعيرة، فشعائر الله أعلام متعبداته^(١) قال الكميّ بن زيد:

تقتلهم جيلا فجيلا نراهم شعائر قربان بهم تقترب

وقال في موطن آخر، مرجحا كون الشعائر محمولا على العموم لا خصوص الحج أو بعض اعماله: (و قال قوم: معناه لا تحلوا ما حرم الله عليكم في إحرامكم. روي ذلك عن ابن عباس في رواية أخرى. وقال الجبائي الشعائر: العلامات المنصوبة للفرق بين الحل، والحرم نهاهم الله أن يتجاوزها إلى مكة بغير إحرام. وقال الحسين بن علي

المغربي: المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة. وهو قول الزجاج واختاره البلخي. وأقوى الأقوال قول عطا من أن معناه، لا تحلوا حرمان الله، ولا تضيعوا فرائضه لان الشعائر جمع شعيرة وهي. على وزن فعلية، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، وإذا كان كذلك، وجب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه مناسك الحج، وتحريم ما حرم في الإحرام، وتضييع ما نهى عن تضييعه واستحلال حرمان الله، وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه، لان كل ذلك من معالمه، فكان حمل الآية على العموم أولى^(١).

وقال في موطن ثالث: (و قوله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ قال سيبويه: تقديره ذلك الأمر. من يعظم، فالشعائر علامات مناسك الحج كلها، منها رمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك - في قول ابن زيد - وقال مجاهد: هي البدن، وتعظيمها استسمانها واستحسانها. والشعيرة العلامة التي تشعر بها، لما جعلت له، وأشعرت البدن إذا علمتها بما يشعر أنها هدي. وقوله ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فالكناية في قوله «فإنها» تعود الى التعظيم. ويجوز أن تعود الى الخصلة من التعظيم. وقيل: شعائر الله دين الله. وقوله «﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾» معناه إن تعظيم الشعائر من تقوى القلوب أي من خشيتها^(٢).

٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي: حيث ذكر معنى الشعائر في أكثر من موطن وحملها على العموم:

فقال: (و الشعائر المعالم للأعمال وشعائر الله معالمه التي جعلها مواطن للعبادة وكل معلم لعبادة من دعاء أو صلاة أو غيرهما فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر

(١) المصدر ج ٣ ص ٤١٩.

(٢) المصدر ج ٧ ص ٣١٣.

الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر من شعرت به^(١)

وقال ايضا: (الشعائر جمع شعيرة وهي أعلام الحج وأعماله واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به والمشاعر المعالم من ذلك الإشعار الإعلام من جهة الحس وقيل الشعيرة والعلامة والآية واحدة)^(٢)

وقال ثالثا مبينا محتملات معنى الشعائر ومنتصرا للعموم فيها: ﴿شَعَائِرُ اللَّهِ﴾: اختلف في معنى شعائر الله على أقوال (أحدها) أن معناه لا تحلوا حرمان الله ولا تتعدوا حدود الله وحملوا الشعائر على المعالم أي معالم حدود الله وأمره ونهيته وفرائضه عن عطاء وغيره (و ثانيها) أن معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على المعالم أي معالم حرم الله من البلاد عن السدي (و ثالثها) أن معنى شعائر الله مناسك الحج أي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جريج وابن عباس (و رابعها) ما روي عن ابن عباس أن المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجبهم فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك (و خامسها) أن شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام (و سادسها) أن المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في إحرامكم عن ابن عباس في رواية أخرى (و سابعها) أن الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله سبحانه أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام عن أبي علي الجبائي (و ثامنها) أن المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة أي المعلمة لتهدي إلى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره البلخي وأقوى الأقوال هو القول الأول لأنه يدخل فيه جميع الأقوال من

مناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو الأعم أولى^(١)

٣ - الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي: حيث بين معنى الشعائر في أكثر من موطن من تفسيره الميزان، منها:

(قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: والشعائر هي العلامات الدالة، ولم يقيد بشيء مثل الصفا والمروة وغير ذلك، فكل ما هو من شعائر الله وآياته وعلاماته المذكورة له فتعظيمه من تقوى الله ويشمله جميع الآيات الأمرة بالتقوى).^(٢)

وقال أيضا مبينا بعض مصاديق الشعائر غير الحج: (وإقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة ليشتد عظم الدين ويقوم صلبه فيأذن الله لهم في جهاد أعدائه، ولو لا ذلك لانفسخ هيكل الدين، وانهدمت أركانه، وتلاشت أجزاؤه).^(٣)

وقال ثالثا: (قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ خبر لمبتدئ محذوف أي الأمر ذلك الذي قلنا، والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة، وشعائر الله الأعلام التي نصبها الله تعالى لطاعته كما قال: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿وَالْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية. والمراد بها البدن التي تساق هديا وتشعر أي يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدي على ما في تفسير أئمة أهل البيت عليهم السلام ويؤيده ظاهر قوله تلوا: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ إلخ، وقوله بعد: ﴿وَالْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا﴾ الآية، وقيل: المراد بها جميع الأعلام المنصوبة للطاعة، والسياق لا يلائمه. وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي تعظيم الشعائر الإلهية من التقوى، فالضمير لتعظيم الشعائر

(١) المصدر والجزء ص ٢٣٨

(٢) ج ١ ص ٤٠١.

(٣) ج ٥ ص ٦

المفهوم من الكلام ثم كأنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأرجع إليه الضمير).^(١)

وقال رابعاً مبيناً ان صلاة الجمعة من مصاديق شعائر الله: (غرض السورة هو الحث البالغ على الاهتمام بأمر صلاة الجمعة والقيام بواجب أمرها فهي من شعائر الله المعظمة التي في تعظيمها والاهتمام بأمرها صلاح أخراهم وديناهم...)^(٢)

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ مكارم وبعض الفضلاء: حيث ذكروا تفسيراً للشعائر في غير موطن، منها: (و الشعائر جمع شعيرة أي العلامة، وشعائر الله أي العلامات التي تذكر الإنسان بالله، وتعيد إلى الأذهان ذكريات مقدسة)^(٣)

وقال ايضاً: «(الشعائر» جمع «شعيرة» بمعنى العلامة والدليل، وعلى هذا فالشعائر تعني علامات الله وأدلته، وهي تضمّ عناوين لأحكامه وتعاليمه العامّة، وأوّل ما يلفت النظر في هذه المراسم مناسك الحجّ التي تذكّرنا بالله سبحانه وتعالى. ومن البديهي كون مناسك الحجّ من الشعائر التي قصدتها هذه الآية. خاصّة مسألة الأضحية التي اعتبرتها الآية (٣٦) من نفس السورة- وبصرحة- من شعائر الله، إلّا أنّ من الواضح مع كلّ هذا احتفاظ الآية بمفهوم شمولي لجميع الشعائر الإسلامية، ولا دليل على اختصاصها- فقط- بالأضاحي، أو جميع مناسك الحجّ. خاصّة أنّ القرآن يستعمل «من» التي يستفاد منها التفريق في مسألة أضحية الحجّ، وهذا دليل على أنّ الأضحية من شعائر الله كالصفا والمروة التي تؤكّد الآية (١٥٨) من سورة البقرة على أنّهما من شعائر الله ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

وقال: (و يمكن القول: إنّ شعائر الله تشمل جميع الأعمال الدينيّة التي تذكّر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته، وإنّ إقامة هذه الأعمال دليل على تقوى القلوب.

(١) ج ١٤ ص ٣٧٣

(٢) ج ١٩ ص ٢٦٣

(٣) ج ١ ص ٤٥١

كما تجب ملاحظة أنّ المراد من عبارة ﴿يُعَظَّمُ﴾ ليس كما قاله بعض المفسرين من عظمة جَنَّة الأضحية وأمثالها، بل حقيقة التعظيم تعني تسامي مكانة هذه الشعائر في عقول الناس وبواطنهم، وأنّ يؤدّوا ما تستحقّه هذه الشعائر من تعظيم واحترام. لهذا نقول: إنّ تعظيم الشعائر الإلهيّة من علامات التقوى القليّة^(١).

وقال ثالثاً: (و مختصر الكلام هو: إذا وجدت سنّة حسنة بين الناس تكون أصولها الكلية وخطوطها العريضة في دائرة المبدأ الحقّ) كالزهد، مثلاً، فإنّ ذلك ليس عملاً قبيحاً، بل يعتبر مصداقاً من مصاديق الخطّ العام للمبدأ، خاصّة إذا لم تنسب هذه السنّة إلى المبدأ الإلهي.. ولسوء الحظّ فإنّ جملة من الإفراطات والتفريطات وجدت بين ظهرانينا تحت قناع الدين وتحوّلت إلى سنّة سيّئة.

إنّ مراسم الأعياد والتعازي والوفيات الخاصّة بعظماء الإسلام وما يتعلّق بإحياء ذكرى الشهداء والأحبّة الراحلين - سواء في يوم استشهادهم، أو اليوم السابع، أو بعد مرور أربعين يوماً من الشهادة أو الوفاة، وكذا ما يتعلّق بذكراهم السنوية - هو مصداق للمفاهيم الكلية في الإسلام حول تعظيم شعائر الله تعالى، وإحياء ذكر قادة الإسلام وعموم شهداء المسلمين، وبغضّ النظر عن الجزئيات والتفاصيل فإنّ هذه المراسم مصداق من الأصل الكلّي فقط، ولا يمكن اعتبارها مبادئ شرعية.

و كلّما أنجزت هذه المراسم بدون تجاوز للحدود الشرعية وعدم تدنيسها بالخرافات والممارسات اللاشرعيّة، فإنّها - من المسلم - مصداق لابتغاء رضوان الله، ومصداق سنّة حسنة، وفي غير هذه الصورة فإنّها ستكون بدعة الشؤم والسنّة السيّئة^(٢).

(١) ج ١٠ ص ٣٤٣ وما بعدها.

(٢) ج ١٨ ص ٨٢

المستوى الثاني: بعض تفاسير العامة:

ذكر علماء العامة تفسيراً لمعنى الشعيرة والشعائر في كلماتهم، وحملها أكثرهم على العموم واليك بعض ذلك:

١- الجامع لأحكام القرآن: حيث بين كلمة شعائر في غير موطن واليك بعضها:

قال: (قوله تعالى: ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي من معالمه و- مواضع عباداته، وهى جمع شعيرة. و- الشعائر: المتعبدات التي أشعرها الله تعالى، أي جعلها أعلاماً للناس، من الموقف و- السعى و- النحر. و- الشعائر: العلامة^(١).

وفي موطن آخر مبينا عمومية لفظ الشعائر:

(قوله تعالى: ﴿لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ خطاب للمؤمنين حقاً، أي لا تتعدوا حدود الله في أمر من الأمور. و- الشعائر جمع شعيرة على وزن فعيلة. و- قال ابن فارس: و- يقال للواحدة شعاره، و- هو أحسن. و- الشعيرة البدنة تهدي، و- أشعارها أن يجز سنامها حتى يسيل منه الدم فيعلم أنها هدي. و- الأشعار الاعلام من طريق الاحساس، يقال: أشعر هديه أي جعل له علامة ليعرف أنه هدي، و- منه المشاعر المعالم، واحداً مشعر وهي المواضع التي قد أشعرت بالعلامات. و- منه الشعر، لأنه يكون بحيث يقع الشعور، و- منه الشاعر، لأنه يشعر بفطنته لما لا يفتن له غيره، و- منه الشعير لشعرته التي في رأسه، فالشعائر على قول ما أشعر من الحيوانات لتهدي إلى بيت الله، و- على قول جميع مناسك الحج، قال ابن عباس. و- قال مجاهد: الصفا و- المروة و- الهدى و- البدن كل ذلك من الشعائر. و- قال الشاعر:

نقتلهم جيلاً فجيلاً نراهم شعائر قربان بهم تقترب

و كان المشركون يحجون ويعتصرون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾. -و قال عطاء بن أبي رباح: شعائر الله جميع ما أمر الله به -و نهى عنه. -و قال الحسن: دين الله كله، كقوله: ﴿ذَلِكَ وَ- مَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي دين الله. قلت: -و هذا القول هو الراجح الذي يقدم على غيره لعمومه.^(١)

٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: حيث بين الشعائر في اكثر من موطن:

فقال: (منها: وشعائر الله: اعلام دينه واحدها شعيرة وكل كان معلماً لقربان يتقرب به إلى الله عز وجل من دعاء وصلاة من ذبيحة وأداء فرض وغير ذلك فهو شعيرة... وأصلها من الأشعار وهي الأعلام على الشيء. وفي الحديث إن قاتلاً قال: حين شج عمر في الحج: أشعر أمير المؤمنين دماً).^(٢)

وقال في موطن اخر: (و قال القتيبي: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، وهي كل شيء جعل علماً من أعلام طاعته).^(٣)

٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ذكر الشعائر في اكثر من موطن مبينا عمومية الشعائر مفهوما وذاكرا لعدة مصاديق:

قال: (شعائر الله: أعلام دينه، جمع شعيرة أو شعارة، والشعيرة: كل ما كان معلماً لقربان يتقرب به إلى الله تعالى، من دعاء أو صلاة أو أداء فرض أو ذبيحة).^(٤)

وقال ايضا: (قيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمها: القيام بها ومراعاة

(١) ج ٦ ص ٣٧ وما بعدها

(٢) ج ٢ ص ٢٥.

(٣) ج ٤ ص ٩

(٤) ج ١ ص ١٨٨

آدابها، ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن تعظيمها ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي: من أفعال ذوى تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات. أو فإن تعظيمها ناشىء من تقوى القلوب؛ لأنها مراكز التقوى.^(١)

وقال ثالثا مبينا مصاديق الشعائر: (أعظم شعائر الله التي يجب تعظيمها أولياء الله، الدالين على الله، ثم الفقراء المتوجهون إلى الله، ثم العلماء المعلمون أحكام الله، ثم الصالحون المنتسبون إلى الله، ثم عامة المؤمنين الذين هم من جملة عباد الله).^(٢)

المؤيد لكلام اللغويين والمفسرين: (مختار مشهور الفقهاء الاعلام):

ذهب المشهور من الاعلام - كما هو الصحيح - الى توسعة معنى الشعائر الى كل معلم طاعة لله كما اشرنا في النقاط السابقة، وهذا مؤيد لما هو المختار من التوسعة في معنى الشعائر، واليك بعض كلماتهم.

١- فقه القرآن (للراوندي): (قال الله ﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. وهما جبلان معروفان بمكة وهما من الشعائر أي معالم الله وشعائر الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر مأخوذ من شعرت به أي علمت وكل معلم لعبادة من دعاء أو صلاة وأداء فريضة فهو مشعر لتلك العبادة)^(٣).

وكلامه ﷺ واضح في تعميم الشعائر لكل معلم عبادي ولا خصوصية لما ذكر في الايات.

٢- بحار الأنوار: (و الشعائر جمع الشعيرة وهي البدنة تهدي وكذا أعمال الحج وكل ما

(١) ج ٣ ص ٥٣٣

(٢) المصدر ص ٥٣٤

(٣) فقه القرآن للراوندي ج ١ ص ٢٧٤.

جعل علما لطاعة الله^(١)

وقال ايضا: (نستثنى من هذا الحكم - يعنى النهى عن البناء وكذا الصلاة في بيت فيه قبر - قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام لاطباق الناس على البناء على قبورهم من غير نكير واستفاضة الروايات بالترغيب في ذلك بل لا يبعد استثناء قبور العلماء والصلحاء أيضا استضعافا لسند المنع والتفاتا الى كون ذلك تعظيما لشعائر الإسلام وتحصيلا لكثير من المصالح الدينية كما لا يخفى).

وكلامه واضح في كون الشعائر لكل ما جعل معلما لطاعة الله تعالى، ومن مصاديقه بناء قبور الانبياء والاولياء والصلحاء عليهم السلام بالرغم من عدم النص الخاص.

٣- وقال صاحب معتمد الشيعة: (التحقيق جواز التجصيص والبناء على قبور الأنبياء والأئمة وأولادهم؛ لاستمرار الناس عليه في الأمصار والأعصار شائعا ذائعا بلا نكير، واستفاضة النصوص بتعاهد قبورهم وعمارتها، مع ما فيه من إعلاء الكلمة الدينية وتعظيم الشعائر الإسلامية، بل الظاهر إلحاق العلماء والأتقياء بهم في ذلك؛ لما ذكر)^(٢).

حيث جعل عليه السلام بناء الاضرحة للانبياء والاولياء والصلحاء من مصاديق تعظيم الشعائر.

٥- وفي الشرائع: (و يجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الإسلام مع المكنة والهجرة باقية ما دام الكفر باقيا)^(٣).

ولا يخفى ليس مقصود المحقق الحلي شعائر الحج في بلاد الكفر بل مطلق الممارسات العبادية كصلاة الجماعة والجمعة واحياء المناسبات الدينية.

(١) بحار الانوار ج ٨٣ ص ١٧٣.

(٢) معتمد الشيعة ص ٤١٥.

(٣) شرائع الاسلام ج ١ ص ٢٧٩.

٦- وفي التذكرة: قال في صلاة العيد: (الجماعة مشروعة في الصلوات المفروضة اليومية بغير خلاف بين العلماء كافة، وهي من جملة شعائر الإسلام وعلاماته)^(١).

فجعل صلاة العيد باعتبارها مظهرها اعلاميا عباديا من شعائر الدين والاسلام وهذا ادخال لمصداق لم تذكره الايات.

٧- وقال الشهيد الاول: (و قتال الممتنعين عن إقامة شعائر الإسلام الظاهرة، كالأذان وزيارة النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام)^(٢).

فجعل الاذان وزيارة النبي الاعظم والأئمة عليهم السلام من مصاديق شعائر الاسلام الواضحة.

٨- وقال كاشف الغطاء: (و دخول الروضات والضرائح المقدسة، وتختلف مراتب الفضل باختلاف مراتبها. ويقوى القول برجحانه للدخول في كل مكان شريف على اختلاف المراتب بقصد تعظيم الشعائر من قباب الشهداء، ومحال العلماء والصلحاء، من الأموات والأحياء)^(٣).

فعمم تعظيم الشعائر الى دخول الروضات والضرائح وقباب الشهداء والعلماء الاموات والاحياء.

٩- وفي جامع الشتات في أجوبة السؤالات (للميرزا القمي): (بيان معنى الشعائر وهو جمع شعار ككتاب وهو جل الفرس والعلامة للحرب والسفر كما فى القاموس وهو ما يعرف به بعضهم بعضا او من الشعار وهو ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد. ويصح الاول ايضا وعلى الاول المراد بها علامات الاسلام والمسلمين والاعمال الذي يعرف بها كالصلاة وصوم شهر رمضان والاذان)^(٤).

١٠- وقال في العناوين: (أن المراد بالشعائر: جميع المعالم، لا نفس البدن، لأن كلمة

(١) التذكرة ج ٤ ص ١٢٠

(٢) القواعد والفوائد ج ١ ص ٣٤٠

(٣) كشف الغطاء ج ٢ ص ٧٩

(٤) ج ١ ص ٣٧٢.

(من) ظاهرة في التبويض، مع أن ظاهر الآية مطلوبة التعظيم للشعائر من كل أحد، مع أنه جمع مضاف، ولا يراد من المحرم الواحد إلا بدنة واحدة غالباً، وهذا يدل على كون المراد جميع المعالم، لا خصوص البدن. وبعبارة أخرى: تكون هذه الآية بمنزلة كبرى كلية تثبت بها مطلوبة تعظيم البدن أيضاً، فإذا انتفى احتمال الاختصاص بالبدن فلا وجه لتخصيصه بمناسك الحج أو محال أعماله، لكونهما أيضاً مخالفين لصدر الآية وذيلها. فالحمل على العموم وكون الشعائر بمعنى العلامة أولى وأوفق معنى ولفظاً، فتدبر^(١)

وهو الاوضح بين عبارات الاعلام في التعميم، ثم قال مستدلّال على شرعية مجموعة من العبادات من باب تعظيم الشعائر: (و هذا المقدار يكفي في استدلال الأصحاب في خصوص المساجد والمشاهد والتربة، وسائر شعائر العبادة، ومواقف الحج، واحترام المؤمن والقرآن، وكيفية الزيارات، وعدم جواز بيع المصحف والمسلم على الكافر أو رهنه عنده، وعدم جواز استيجار الكافر رقبة المسلم أي: عينه بخلاف ذمته، ونحو ذلك من الفروع المنتشرة)^(٢).

١١- كلمات المحقق صاحب الجواهر: وقد ذكر عدة عبارات تفيد التعميم منها:

فقال: (ثم إنه قد استثنى في جامع المقاصد من كراهة التجصيص والتجديد قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام كالمدارك قالوا: «لإطباق السلف والخلف على فعل ذلك بها» بل في المدارك والاستفاضة الروايات بالترغيب في ذلك، كما أنه فيها أيضاً لا يبعد استثناء قبور العلماء والصلحاء استضعافاً لخبر المنع، والتفاتاً إلى تعظيم الشعائر، ولكثير من المصالح الدينية)^(٣).

(١)

(٢)

(٣) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام؛ ج ٤، ص: ٣٤٠

وقال: (و يستحب كنس المساجد قطعاً بمعنى جمع كناستها بضم الكاف وإخراجها لما فيه من تعظيم الشعائر وترغيب المترددين المفضي إلى عدم خرابه)^(١)

(ثم إن الظاهر كون المراد بالتمكن من إظهار شعار الإسلام الذي يسقط معه وجوب الهجرة هو عدم المعارضة والأذية من العمل على ما يقتضيه دينه في واجب أو ندب، فلو تمكن من بعض دون بعض وجبت خصوصاً إذا كان المتروك مثل الصوم والصلاة والحج ونحوها مما هو من أعظم الشعائر، بل الظاهر إرادة التجاهر بما يقتضيه الإسلام، فلا يكفي في عدم وجوبها الإتيان بها متخفياً، كما أنه لا يكفي الإتيان بها على مقتضى مذهبهم تقية، فإن التقية الدينية غير مشروعة في مذهبنا من غير أهل الخلاف من المسلمين، والله العالم)^(٢).

١٢- وقال المحقق الهمداني:

(و كيف كان فينبغي استثناء قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام من القبور التي يكره البناء عليها وتجديدها، فإنَّ ضرورة المذهب قاضية برجحان تعمير مشاهدهم وحفظها عن الانداس، وتجديد عمارتها، وكونها من أعظم الشعائر التي يجب تعظيمها فضلاً عن شهادة الأخبار بذلك، بل الظاهر أنَّ قبور العلماء والصلحاء ونحوهم - ممَّن رَجَّح شرعاً بقاء رسمه والتقرب بزيارته - أيضاً كذلك، بل ينبغي القطع بذلك بالنسبة إلى قبر مثل أبي الفضل العباس عليه السلام وغيره من صالحی أولاد الأئمة عليهم السلام، بل وكذا بعض خواص أصحابهم، كسلمان وأبي ذر وحبيب بن مظاهر ونظرانهم، فإنَّه لا مجال للتشكيك في رجحان تعمير مشاهدهم، بل كونه من أعظم الأسباب التي يتقرب بها إلى الله تعالى، كما يشهد به السيرة المستمرة، مع ما فيها من المصالح الأخروية، بل يمكن استفادته من الأخبار الواردة بالنسبة

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام؛ ج ١٤، ص: ٨٧

(٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام؛ ج ٢١، ص: ٣٧

إلى بعضهم، الدالة على فضل زيارتهم حيث تستفاد منها محبوبية كون قبورهم - كمشاهد الأئمة - معظمة معمورة لدى الشارع، والله العالم^(١).

١٣ - وقال صاحب شرح النجاة: (فيقال باستحباب الوضوء لزيارتهم أيضاً كما أفتى به الفقيه المتبحر الشيخ كاشف الغطاء، لكن بتفاوت مراتب الرجحان برجحان مرتبة المزور، ولا ريب أنه من تعظيم الشعائر، فلا بأس بالقول به)^(٢).

١٤ - وفي كتاب سوال وجواب: (كل حكم ثبت للمساجد من حيث الاحترام فهو ثابت للمشاهد المقدسة وللتربة الحسينية على مشرفها الف الثناء والتحية لانها اصبحت من الشعائر ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾)^(٣).

١٥ - المعالم الزلفى في شرح العروة الوثقى: (المشاهد المشرفة كحرم الأمير عليه السلام وأمثالها كالمساجد المقدسة في حرمة التنجيس بلا خلاف ظاهراً وانها من الشعائر وتعظيمها فضلاً عن عدم هتكها من الواجبات وعليه السيرة المستمرة من المتشعة)^(٤)

١٦ - كلمات السيد الخوئي في صراط النجاة:

(سؤال ١٣٧٦: الأماكن التي يقصدها الناس للتبرك وينسبون لها إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يعتبرونها حسينية كما لا يعتقدون ان الامام مدفون بها، لكنهم ينسبون لها للمعصوم من باب حضوره هنا أو وجود أثر قدمه أو ما شابه ذلك، هل يجوز القصد لهذه الأماكن بقصد التقرب الى الامام عليه السلام أو الثواب؟ والحال ان بعضهم يعتقد ان غير المستطيع لزيارة العتبات المقدسة يكفيه الذهاب الى هذه المشاهد، بما ذا تأمرونا؟

(١) مصباح الفقيه؛ ج ٥، ص: ٤٢٨

(٢) شرح نجاة العباد؛ ص: ٥١٤

(٣) سؤال و جواب (لكاشف الغطاء)؛ ص: ١٥٦

(٤) ص ٤٧٠

الخوئي: إذا لم يعتبر قصد هذه الأماكن بتلك الرسوم بدعة بل عدّ من الشعائر بوجه التعظيم للأئمة الأطهار فلا بأس، والله العالم^(١).

(سؤال ١٣٧٨: هل يجوز البناء على القبور أو رفعها عن الأرض بمقدار شبر أو أكثر، وما هي الأدلة التي تؤيد ذلك؟

الخوئي: نعم يجوز البناء على القبور ولا سيما قبور العلماء والأولياء والصالحين لأن هذا من تعظيم الشعائر المشمول في الآية الكريمة ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢).

١٧- كلام الميرزا التبريزي في صراط النجاة (المحشى للخوئي):

(سؤال ١٧٤١: ما هو رأيكم في الشعائر الحسينية، وما هو الرد على القائلين، بأنها طقوس لم تكن على عهد الأئمة الأطهار عليهم السلام فلا مشروعية لها؟

التبريزي: كانت الشيعة في عهد الأئمة عليهم السلام تعيش التقية، وعدم وجود الشعائر في وقتهم لعدم إمكانها، لا يدل على عدم المشروعية في هذه الأزمنة، ولو كانت الشيعة في ذاك الوقت تعيش مثل هذه الأزمنة من حيث امكانية إظهار الشعائر وإقامتها لفعلوا كما فعلنا، مثل نصب الاعلام السوداء على أبواب الحسينيات بل الدور إظهارا للحزن، ولو كان ذاك بدعة لكان هذا أيضا بدعة، حيث لم يكن في زمن الأئمة عليهم السلام، وبالجملة فكل هذا يدخل تحت شعائر الله، وإظهارا للحزن بما أصاب الامام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه أو سائر الأئمة عليهم السلام، والله العالم^(٣).

(١) ج ٢ ص ٤٣٨

(٢) المصدر ص ٣٤٩

(٣) ج ٢ ص ٥٦٢

١٨- السيد الحكيم في المستمسك من الاستدلال على الشهادة الثالثة: (بل ذلك في هذه الاعصار معدود من شعائر الايمان ورمز إلى التشيع، فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً بل قد يكون واجباً، لكن لا بعنوان الجزئية من الأذان)^(١)

١٩- مهذب الأحكام (للسبزواري) (و مقتضى الإطلاق عدم الفرق بين ما إذا كان المسجد معموراً أو لا، لأنّه توقير للمسجد وتعظيم له، كما لا فرق بين ما إذا كان الإسراج لدفع الظلمة أو لتعظيم الشعائر)^(٢).

٢٠- استاذنا الشيخ السند في الشهادة الثالثة: (قد ذهب إلى شعارية الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة أكثر المتأخرين ومتأخريهم وهو كونها من شعائر الإيمان وهو ما أشار إليه كثير من الأصحاب في عبارتهم بأنها من أحكام الإيمان لا من فصول الأذان، حيث صرحوا بعدم الحرج في إتيانها لا بقصد الجزئية كالشهيد الأول في الدروس والثاني في الروضة وصاحب الرياض، ولذلك حمل المجلسي الأول في الروضة العبارة المزبورة منهم على رجحان ذكرها من دون قصد الجزئية)^(٣).

وغيرها من عشرات الكلمات الدالة على العميم في مصاديق الشعائر وعدم اختصاصها بما ذكر في القرآن وإن ما ذكر على نحو المصداق لا الحصر.

النتيجة من البحث اللغوي والقراني لمعنى الشعائر:

المستفاد مما مر في البحث اللغوي والقراني وكلام الفقهاء عدة نقاط تبين عمومية الشعائر مفهوماً وعدم اختصاصها بشعائر الحج مع نكاة أخرى وهي كما يلي:

(١)

(٢) ج ٥ ص ٥٢٢

(٣) ص ٣٣٥

اولا: ان شعائر من المحتمل قويا انها جمع لشعار وهو العلامة وهذا يقتضي ان تعمل كلمة الشعائر على العموم وليست خاصة بمعنى معين قد رسمه الشارع ووقف عليه، وذكر الصفا والمروة والبدنة او اعمال الحج كما التزم بعض اللغويين من باب المصداق لا الحصر قال صاحب التاج: (قال شيخنا: والشعائر صالحة لأن تكون جَمْعاً لِشِعَارٍ وَشِعَارَةٍ)^(١).

بل حتى لو قلنا انها جمع لشعيرة كما هو رأي بعض اللغويين فلا تحمل على خصوص شعيرة معينة وانما هي مصداق لا حصر بفعل معين بقربنة ان شعيرة على وزن فعلية، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك.

ثانيا: ان لفظ الشعائر في الآيات الكريمات الاربعة عام، في الآية الاولى والثانية ذكر بعض مصاديق الشعائر وهي ذبح البدنة وجبل الصفا والمروة، وقربنة كون تلك الامور الثلاثة بعض الشعائر التعبير بـ من اي من شعائر الله فتكون تحديدا للمصداق، واما الايتان الثالث والرابعة فجاء التعبير بها مطلق غير مقيد بشي فيحمل على العموم.

ثالثا: أنَّ عموم الجمع المضاف (شعائر الله) إنّما هو في الأفراد المنسوبة إلى المضاف إليه؛ والمضاف إليه هنا وإن كان هو الله، ولكنه لما لم يصحّ فيحتاج ذلك الى تقديره.. كتقديره بـ دين الله، طاعة الله، عبادة الله، اولياء الله... الى اخره.

رابعا: ان المستفاد من كلمة مشعر ما كان مشعرا بطاعة الله ومعلما للعبادة، فكل ما كان معلما لطاعة الله وعبادته فهو من الشعائر سواء كان معلما لنبي او وصي او ولي، ويوید ذلك بما قاله الأزهری: (و الشعائر: المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها. ومنه سمي

المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع) كما مر، وكذلك ما نقله تاج العروس عن الزجاج.

و عليه فالمقصود من الشعائر هو معالم دين الله وعلاماته، وكل ما اتخذ شعارا للدين وعلامة للشريعة، وعلى هذا الأساس يمكن تعميم عنوان الشعائر إلى الملائكة والأنبياء والأئمة، فانهم أعلام الهدى وعلامات دين الله ومتعبدات أوامره وشرائعه، بل يلحق بهم الكتب السماوية وكتب الأحاديث والمساجد والأولياء والشهداء والعلماء والفقهاء الكبار ومشاهدهم؛ حيث إنّ ذلك كلّ من أعلام الدين ومعالم الشريعة وعلامتها ومساكن تعبد الله فيها ومصادر طاعته.

خامسا: ان ظاهر اكثر المفسرين توسعة معنى الشعائر الى كل معالم الدين وهو صريح كلام البيان والتبيان والميزان من الخاصة وبعض مفسري العامة، بل ان احدهم وسع الدائرة صريحا الى كون الشعائر شاملة للأولياء والصالحين منا مر وسياتي في النقطة الاتية.

سادسا: ان اللغويين والمفسرين ذكروا مصاديق عديدة للشعائر غير الصفا والمروة والبدنة، وهذا يدل على عدم الانحصار بتلك المصاديق، فبعضهم ذكر كل اعمال الحج وبعضهم ذكر الدعاء وصلاة الجمعة، بل ذكر في البحر المديد ما نصه (أعظم شعائر الله التي يجب تعظيمها أولياء الله، الدالين على الله، ثم الفقراء المتوجهون إلى الله، ثم العلماء المعلمون أحكام الله، ثم الصالحون المنتسبون إلى الله، ثم عامة المؤمنين الذين هم من جملة عباد الله).^(١)

سابعا: المستفاد من كلام اللغويين والمفسرين ان الماخوذ في الشعائر الجنبية الاعلامية والاشهارية وهذا واضح في حاق كلمة شعيرة وشعائر واشتقاقاتها ومفهوم من حاق

لفظها بالاضافة الى الاشارة لذلك من بعض اللغويين كما مر: (و قيل المراد بها: ما يؤدي على سبيل الاشتهار كصلاة الجمعة، والعيدين، والخطبة).

ثامنا: ان الشعائر ما كان فيه جنبه طاعة فهو اما واجب او مستحب او تلبس بعنوان راجح وان كان مباحا في اصله او مكروها لكن اكتنفته طاعة فلا تكون الشعائر منطبقة على ما كان محرما.

تاسعا: الظاهر ان كلمة الشعائر باقية على حقيقتها اللغوية والعرفية والشارع انما حدد بعض مصاديقها وهو ما حوى على ظاهرة الاعلام والاشتهار واتي به على سبيل اعلاء كلمة الدين، ولذا الظاهر هو التوسعة مع ملاحظة القيود الالية في التعريف.

عاشرا: ان الشعائر اعم من كونها مرتبطة بالافعال بل هي شاملة للاماكن أيضا كبناء المساجد والحسينيات والمواكب بقيود تأتي.

المختار في تعريف الشعائر:

مما تقدم من كلمات اللغويين والمفسرين والفقهاء يمكن ان نعرف الشعائر الدينية بهذا التعريف:

تعريف الشعائر الدينية:

(هي كل عمل طاعاتي واجب او مستحب او مباح في اصله يؤتى به على سبيل الاعلام والاشتهار يرتبط بابرار ما كان مشعرا بطاعة الله او نشر شريعته او عبادته كصلاة الجمعة او تعظيم اولياءه كالانبياء والاولياء والملائكة (باعتبار اضافتهم الى الله).

بيان اوسع:

فتكون هناك شعائر الله (شعائر الهمية)، وشعائر الانبياء كشعائر النبي الاعظم (الشعائر المحمدية) كاحياء ذكرى مولده او مبعثه او وفاته، وشعائر تخص امير المومنين (الشعائر العلوية) كاحياء ذكرى مولده ووفاته وتنصبه بيوم الغدير وغيرها. وشعائر تخص السيدة الزهراء (الشعائر الفاطمية) كاحياء ذكرى فذك وولادتها ووفاتها ولعن اعدائها... وهكذا باقي الائمة عليهم السلام.

ومنه يتضح تعريف الشعائر الحسينية.

تعريف الشعائر الحسينية:

وهي كل عمل مرتبط بقضية الامام الحسين عليه السلام وكان مستحبا او مباحا في اصله واتي به على سبيل الاشتهار والاعلام العبادي كالزيارات المليونية ومجالس الوعظ والبكاء وانشاء الشعر والنثر وغيرها من المصاديق التي تناولها في البحث.

قيود الشعائر الحسينية:

الاول: ما كان مباحا في اصله او مستحبا.

الثاني: ما جئ به على سبيل الاعلام والاشتهار والاشعار.

الثالث: ما كان مرتبطا بالقضية الحسينية المباركة ومذكرا بها باعتبار ان الحسين من اولياء الله وثار الله ومذكر بدين الله فشعائره هي شعائر الله.

فائدة: نفي الشعيرية لا ينفي الشرعية:

ان نفي عنوان الشعيرية من ممارسة ما من الممارسات الدينية او الحسينية لا

يعني عدم شرعيتها كما تصور البعض الا اذا انطبق عليها احد العناوين الثلاثة المحرمة الاتية الذكر (البدعة - التشريع - القول بلا علم) اما مع عدم الانطباق فيمكن القول بشرعيتها اذا انطبق عليها عنوانا شرعيا او نقول برجاء مطلوبيتها او باصالة اباحتها، وهذا ما ياتي بحثه في عنوان البدعية ايضا فان نفي البدعية لا يعني الشرعية بالضرورة لاحتمال انطباق عناوين محرمة اخرى.

وسنقف على تفصيل الشعائر ومبانيها ومصاديقها في كتاب قادم ان شاء الله تعالى
والحمد لله اولا واخرا.

خاتمة الكتاب:

ان هذه البحوث قد كتبتها كباكورة في (فقه الشعائر المعاصرة) وهي ردود سريعة على بعض الشبهات والانتقادات والاستفهامات التي تصدر من داخل الوسط الشيعي وخارجه، وإيماناً مني بضرورة عرض الراي والراي الاخر وصولاً للحقيقة التي ينشدها الجميع بدأت بنشرها.

ولا تمثل تلك البحوث كما وكيفا الا قطرة من بحر متلاطم من بحوث يتحتم كتابتها في هذا المجال الواسع وهي بحوث معاصرة في الشعائر على مستوى الفقه والعقيدة والتاريخ والفكر وغيرها من المجالات.

وهذا يتحمله اهل العلم والفكر والبحث لإثراء المكتبة الاسلامية بل والعالمية بأفكار النهضة الحسينية وتأثيرها على الماضي والحاضر والمستقبل.

وأملي بالله كبير ان اكمل بعض ما يسد هذه المسيرة الحافلة خدمة للدين الحنيف وولاء وحبا بالحسين وثورته التي عشنا ونعيش ببركاتها.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم.

[٢] (الأبواب) رجال الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

[٣] الارشاد للشيخ المفيد قدس سره .

[٤] الشعائر الحسينية بين الاصاله والتجديد الشيخ الاستاذ محمد السند دام ظله بقلم السيد رياض الموسوي .

[٥] إقبال الأعمال (مضمار السبق في ميدان الصدق)، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ

[٦] أم البنين قدوة وجهاد، الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ)، مؤسسة الإمام الحسن - دار الماهر، الطبعة الرابعة ٢٠١٤م.

[٧] الأمالي، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المعروف بالشریف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تصحيح: سيّد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٣هـ ق.

[٨] الامثل في تفسير كتاب الله المنزل لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ مكارم الشيرازي .

[٩] المحجة البيضاء للمحدث الكاشاني قدس سره

[١٠] بحوث في علم الاصول السيد محمود الهاشمي ج٤ ص ٣٢٧: تقريبات بحث السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره .

[١١] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[١٢] تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[١٣] التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، ١٤١٧هـ

[١٤] تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، يوسف بن قزغلي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: الدكتور عامر النجار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- [١٥] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- [١٦] حقوق الإنسان في الفكر الهاشمي، عوض خلف أخورشيدة، وباسر طالب الخزاعلة، دار الخليج للنشر والتوزيع، عُمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- [١٧] الخصال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صحّحه وعَلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٣هـ.
- [١٨] سفينة البحار، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تحقيق: مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
- [١٩] شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي نعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجبالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- [٢٠] الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- [٢١] عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٠هـ/ ١٩١٦م.
- [٢٢] الغنية لطالبي طريق الحق (عزّ وجلّ) في الأخلاق والتصوّف والآداب الإسلامية، عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، وضع حواشيه: أبو عبد الرحمن

صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٢٣] فصل الكلام في حقوق الطفل والمرأة في الإسلام، حكمت عبد الكريم فريحات، دار أمواج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢م.

[٢٤] قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري (ت ١٤١٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ

[٢٥] الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٦٣ش.

[٢٦] كتاب التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية - مصر.

[٢٧] لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ

[٢٨] مصباح الاصول السيد محمد سرور تقاريرات بحث السيد الخوئي قدس سره

[٢٩] منهج الصالحين لجمع من الاعلام المعاصرين .

[٣٠] مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مرتضوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.

[٣١] المختصر النافع، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلبي (ت ٦٧٦هـ)، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، طهران - إيران، الطبعة الثانية،

[٣٢] مرآة العقول، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، قدّم له: العلم
الحجّة السيّد مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح: السيد هاشم الرّسولي، دار الكتب
الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ

[٣٣] المزار، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد
محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية،
١٤١٤هـ

[٣٤] المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني
(ت ٥٠٢هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ

[٣٥] مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تقديم:
كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية،
١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

[٣٦] المقبولة الحسينية، الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ)، مؤسسة كاشف
الغطاء، النجف الأشرف - العراق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

[٣٧] مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني
(ت ٥٨٨هـ)، تصحيح: لجنة من أسانذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف
- العراق، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

[٣٨] مثير الاحزان لابن نما الحلبي ص ٤٠.

[٣٩] مصباح الفقيه للمحقق الهمداني.

[٤٠] الميزان في تفسير القرآن للسيد العلامة الطباطبائي قدس سره

[٤١] الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

[٤٢] وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ

[٤٣] وسيلة النجاة، السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ)، تعليق: السيد الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

[٤٤] وقائع الأيام والشهور، محمد حسن البيرجندي.

[٤٥] ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ

[٤٦] المواقع الإلكترونية: موقع ويكيبيديا.

فهرس المحتويات

المقدمة	٥
البحث الأول: موازين التعامل مع روايات الشعائر الحسينية	٩
مدخل	١١
موازين ومناهج القبول والردّ في العلوم	١٣
الخلط بين المناهج في التعامل مع أحداث عاشوراء	١٣
الأول: المنهج المتشدّد	١٤
الثاني: المنهج المتساهل	١٤
موازين العلوم والرواية العاشورائية	١٤
أولاً: المنهج أو الميزان في البحث العقدي (الكلامي)	١٤
ثانياً: المنهج أو الميزان في البحث الفقهي	١٩
الأول: مبنى الوثيقة	٢١
الثاني: مبنى الوثوق بالصدور	٢١
ثالثاً: المنهج أو الميزان في البحث التاريخي	٢٦
النتيجة:	٢٧
النقل التاريخي بأسلوب أدبي	٢٧

البحث الثاني: مشروعية التعبير بلسان الحال..... ٢٩

مقدمة: ٣١

معنى لسان الحال ٣٢

لسان الحال في النصوص الشرعية ٣٥

المحور الأول: لسان الحال في القرآن الكريم ٣٥

المحور الثاني: لسان الحال في الروايات ٤١

النحو الأول: الروايات المصرحة بلسان الحال ٤١

النحو الثاني: الروايات المحمولة على لسان الحال ٤٢

المحور الثالث: لسان الحال في أشعار آل البيت ٤٤

لسان الحال في الميزان الفقهي ٤٧

أقوال الفقهاء في لسان الحال ٤٧

القول الأول: (المنع) ٤٧

أدلة المانعين ٤٨

القول الثاني: الجواز ٥١

تحليل فتوى السيّد الخوئي ٥١

فتوى السيّد السيستاني ٥٢

تحليل فتوى السيد السيستاني ٥٣

أدلة المجوّزين ٥٣

الرأي المختار في المسألة ٥٤

مثالان تطبيقان ٥٦

المثال الأول ٥٦

المثال الثاني ٥٧

البحث الثالث: مشروعية توسعة الحرم الحسيني ٥٩

مدخل: ٦١

٦١.....	مبررات توسعة الحرم الحسيني
٦٢.....	مبررات الخوض في بحث التوسعة:
٦٢.....	ضرورة إبراز دليلة التوسعة:
٦٢.....	استعراض الأدلة والمؤيدات لجواز التوسعة
٦٣.....	الدليل الأول: أن الأرض ملك للإمام عليه السلام
٦٦.....	الدليل الثاني: ان الإمام الحسين اشترى أرض كربلاء
٦٧.....	المحور الأول: متن الرواية
٦٨.....	تقريب الاستدلال:
٦٩.....	دفع إشكال:
٦٩.....	المحور الثاني: سند الرواية
٧٠.....	الدليل الثالث: أن أرض كربلاء ملك لعامة المسلمين
٧٢.....	تنقيح الصغرى: أن أرض العراق مفتوحة عنوة
٧٣.....	الدليل الرابع: تعميم علة توسعة مكة المعظمة الى حرم الحسين عليه السلام
٧٥.....	تقريب الاستدلال
٧٥.....	الدليل الخامس: الروايات المحددة لحرم الإمام الحسين عليه السلام
٧٦.....	الدليل السادس: تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة
٧٧.....	الدليل السابع: حقوق ال البيت
٧٨.....	الدليل الثامن: حاكمية العناوين الثانوية على الاولى
٧٨.....	الدليل التاسع: ولاية الفقيه
٧٩.....	تنمة: توسيع للحكم لكل المراقدين
٨١.....	البحث الرابع: حق الولاء في مثنى النساء إلى كربلاء
٨٣.....	حق الولاء في مثنى النساء الى كربلاء
٨٣.....	لماذا هذا البحث:
٨٥.....	توطئة

٨٧	تنوع البحث:
٨٧	المشي لغة مع الاستفادة من بعض الآيات:
٨٩	الحكم الشرعي واستحقاق الثواب عند بذل الجهد:
٩٠	حرص المسلمين على أحز الأعمال:
٩١	المشي في النصوص الشرعية:
٩١	أولاً: المشي في النصوص القرآنية:
٩٢	ثانياً: المشي في الروايات:
٩٤	المشي إلى الحج:
٩٤	الروايات الحاثية على المشي:
٩٥	الروايات الحاثية على الركوب:
٩٦	الجمع بين روايات المشي والركوب:
٩٧	تاريخية مشي النساء:
٩٨	نموذج من مشي النساء:
٩٨	السيدة مريم العذراء:
١٠٠	نموذج مستقبلي: النساء في زمن الحججة ع :
١٠٠	أدلة مشي النساء إلى كربلاء:
١٠١	الدليل الأول: قاعدة الاشتراك:
١٠١	الدليل الثاني: اطلاق الروايات:
١٠٤	الدليل الثالث: الروايات التي تخص النساء:
١٠٤	الأولى: روايات حاثية على الزيارة:
١٠٧	الثانية: روايات مفضية لزيارة النساء:
١٠٨	الدليل الرابع: سيرة الزهراء:
١١٠	الدليل الخامس: قاعدة الشعائر العامة:
١١٠	الدليل السادس: ما ورد من الحث على المشي إلى بعض المواطن مع اشتغالها على الاختلاط:
١١٠	أولاً: خروج المرأة إلى الحج لوحدها:
١١٣	ثانياً: تعاليم النبي ﷺ لكيفية مشي النساء:

١١٤	ثالثاً: الخروج لأجل طلب العلم
١١٤	رابعاً: الخروج لأداء الفرائض والواجبات الكفائية
١١٤	خامساً: ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١١٦	الدليل السابع: إجماع الفقهاء
١١٧	أدلة المانعين لخروج النساء مشياً للزيارة:
١١٧	الدليل الأول: ممنوعة خروج النساء مطلقاً
١١٧	تقريب الاستدلال:
١١٨	مناقشة الدليل الأول:
١٢٠	الدليل الثاني: المنع من الاختلاط
١٢٠	تقريب الاستدلال:
١٢١	مناقشة الدليل الثاني:
١٢٢	١- السيد أبو القاسم الخوئي
١٢٢	٢- السيد روح الله الحميني
١٢٣	فائدتان: قاعدة فقهية وفائدة رجالية
١٢٣	١- قاعدة فقهية:
١٢٤	مفاد القاعدة:
١٢٤	مدرك القاعدة:
١٢٥	بعض تطبيقاتها:
١٢٥	٢- فائدة رجالية:
١٢٦	أدلة توثيقه:
١٢٧	الدليل الثالث: الضرر على الزوج أو الأطفال بخروجها
١٢٧	مناقشة الدليل الثالث:
١٢٨	تتمة:
١٢٩	النتيجة:

البحث الخامس: دور الزيارة الاربعية في الاصلاح ١٣١

المقدمة: ١٣٣

توطئة: ١٣٥

المحور الأول: الاصلاح المعنوي والروحي ١٣٦

بعض روايات المشي واجرها: ١٣٧

المحور الثاني: الاصلاح الاقتصادي ١٣٨

المحور الثالث: الاصلاح التعبوي ١٣٩

المحور الرابع: الاصلاح الاجتماعي ١٤٠

المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي ١٤٣

المحور السادس: الاصلاح الامني ١٤٤

المحور السابع: الاصلاح الاخلاقي ١٤٦

المحور الثامن: الاصلاح العسكري ١٥٨

المحور التاسع: الاصلاح الاعلامي ١٥٩

المحور العاشر: المحور التكافلي ١٦١

المحور الحادي عشر: البناء السياسي: ١٦١

المحور الثاني عشر: الاصلاح التمريني والتدريبي ١٦٣

البحث السادس: الإمام العباس مدرسة الإيثار ١٦٥

مُقدِّمة: ١٦٧

المبحث الأول: الإيثار في اللغة ١٦٩

المبحث الثاني: الإيثار في القرآن والسنة: ١٧٣

أولاً: الآيات الكريمة منها: ١٧٣

ثانياً: الإيثار في السُّنة: ١٧٤

المبحث الثالث: أثر الإيثار في منظومة الأخلاق: ١٨١

١٨٤	المبحث الرابع: العباس عليه السلام مدرسة الإيثار في واقعة الطف:
١٨٩	تنمة:
١٨٩	إيثار العباس في بعض الأشعار:
١٨٩	النموذج الأول:
١٩٠	النموذج الثاني:
١٩٠	النموذج الثالث:
١٩٠	النموذج الرابع:
١٩١	والنتيجة:
١٩٣	البحث السابع: دور زيارة الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية
١٩٥	مقدمة:
١٩٩	المحور الأول: البناء المعنوي والروحي
٢٠١	بعض روايات المشي وأجرها:
٢٠٢	المحور الثاني: البناء الاقتصادي
٢٠٣	المحور الثالث: البناء التعبوي
٢٠٥	المحور الرابع: البناء الاجتماعي
٢٠٧	المحور الخامس: البناء الفكري والعلمي
٢١٠	المحور السادس: البناء الأمني
٢١١	المحور السابع: البناء الأخلاقي
٢٢٣	والخلاصة:
٢٢٤	المحور الثامن: المحور العسكري
٢٢٥	المحور التاسع: المحور الاعلامي
٢٢٦	المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي
٢٢٧	المحور الحادي عشر: المحور التكافلي
٢٢٧	المحور الثاني عشر: البناء السياسي
٢٢٩	النتيجة:

٢٣١	البحث الثامن: اشكالية اخذ الثأر من ذراري قتلة الحسين
٢٣٤	أسباب أخذ الثأر من المهدي عليه السلام دون غيره:
٢٣٤	السبب الأول: ولاية الدم:
٢٣٥	السبب الثاني: حاكميته الشرعية:
٢٣٥	السبب الثالث: محقق العدل العام:
٢٣٦	السبب الرابع: محقق أهداف الثورة:
٢٣٧	السبب الخامس: رفع مظلومية آل البيت عليهم السلام :
٢٣٧	السبب السادس: أنه وفاء للحسين عليه السلام :
٢٣٨	عرض صلب الموضوع:
٢٣٨	الرواية الأولى:
٢٣٩	المستوى الأول: الرضا بالأفعال - مجرد الرضا :-
٢٤٠	المستوى الثاني: العلم الإلهي بالسير العملي للذراري:
٢٤٠	المستوى الثالث: المداهنة:
٢٤١	المستوى الرابع: القصاص الاجتماعي - الجماعي:
٢٤١	المستوى الخامس: خاص بالإمام عليه السلام :
٢٤١	المستوى السادس: خاص بقتلة الإمام الحسين عليه السلام :
٢٤١	المستوى السابع: قضية غيبية:
٢٤٣	الرواية الثانية:
٢٤٣	الرواية الثالثة:
٢٤٤	الرواية الرابعة:
٢٤٥	الرواية الخامسة:
٢٤٦	الرواية السادسة:
٢٤٧	الرواية السابعة:
٢٥١	البحث التاسع: حضور السيدة الزهراء في مجالس سيد الشهداء
٢٥٣	توطئة:

٢٥٥	مقدمة: نبذة من مقام السيدة الزهراء عليها السلام
٢٥٥	المقام الاول: انها سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين
٢٥٥	المقام الثاني: انها سيدة نساء اهل الجنة
٢٥٦	المقام الثالث: مقامها فى الآخرة (انها تأمر وتنهى فى يوم القيامة)
٢٥٦	المقام الرابع: صلتها المباشرة بالسماء
٢٥٧	المقام الخامس: مقام الكفوية
٢٥٧	المقام السادس: مقام الغضب لغضبها والرضا لرضاها
٢٥٨	شواهد وادلة الحضور
٢٥٨	الشاهد الاول
٢٥٩	الشاهد الثاني
٢٦٠	الشاهد الثالث
٢٦١	الشاهد الرابع
٢٦٢	الشاهد الخامس
٢٦٢	الشاهد السادس
٢٦٣	الشاهد السابع
٢٦٥	الشاهد الثامن
٢٦٥	الرواية الأولى
٢٦٦	الرواية الثانية
٢٦٦	الرواية الثالثة
٢٦٧	الرواية الرابعة
٢٦٧	الرواية الخامسة
٢٦٧	الرواية السادسة
٢٦٨	الشاهد التاسع
٢٦٩	تمتان
٢٦٩	النتمة الأولى
٢٧١	النتمة الثانية

النتيجة: ٢٧٢

البحث العاشر: أثر النشأة الصالحة في بناء الفرد ٢٧٣

مقدمة ٢٧٥

المبحث الأول: نبذة من سيرة أم البنين ونشأتها ٢٧٧

اسمها ٢٧٧

الزوجة الرابعة ٢٧٩

أمها ٢٨٠

وفاتها ٢٨٠

اختيار أمير المؤمنين عليه السلام لأم البنين ٢٨١

اختيار الزوجة الصالحة ٢٨١

استشارة أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً في زواجه بأم البنين ٢٨٢

المبحث الثاني: التربية والنشأة وتأثيرهما في بناء الفرد ٢٨٣

النقطة الأولى: التربية والنشأة في اللغة والاصطلاح ٢٨٣

المستفاد مما تقدم: ٢٨٥

النقطة الثانية: أقسام التربية ٢٨٥

التربية غير التعليم ٢٨٧

النقطة الثالثة: مراحل التربية والنشأة ٢٨٧

١- اختيار الزوجة الصالحة: وقد مرّ بيانه ٢٨٨

٢- اختيار وقت الجماع ٢٨٨

٣- الاهتمام بالدعاء ٢٨٨

٤- الاهتمام بمرحلة الحمل ٢٨٩

المرحلة الثانية: ما بعد الولادة ٢٩٠

تفصيل مراحل التربية بعد الولادة ٢٩٠

المرحلة الأولى: (المرحلة المبكرة) ٢٩١

٢٩١	١- النفاس :
٢٩١	٢- الرضاعة :
٢٩٣	٣- مراسم الولادة والتسمية :
٢٩٤	٤. التربية العملية :
٢٩٤	أ: الأعمار من (١-٧)
٢٩٥	ب: مرحلة التعليم الأولى (٧-١٤)
٢٩٧	ج: مرحلة التعليم الثانية (١٤-٢١)
٢٩٩	المبحث الثالث: النشأة الصالحة تخلق نشأة صالحة (أم البنين والعباس عليهما السلام)
٣٠٠	انعكاس التربية
٣٠٠	٢- الجود والسخاء وطيب النفس
٣٠١	٣- الأدب والشعر
٣٠٢	العامل الوراثي
٣٠٣	العباس عليهما السلام ثمرة تربية أم البنين
٣٠٣	صفات العباس عليهما السلام وصفات أم البنين
٣٠٤	صور من إيثار أم البنين
٣٠٥	اللسان الأول: ما ورد فيه كلمة إيثار ومواساة نصاً:
٣٠٦	اللسان الثاني: ما ورد من تعابير دالة على الإيثار في الزيارة الواردة في حقه عليه السلام :
٣٠٧	الخاتمة
٣٠٧	كيف نستفيد من تلك التجربة؟
٣٠٨	دور الأسوة والقُدوة في البناء والإعداد
٣٠٩	المبحث الحادي عشر: نظرات في مباني الإصلاح واحكامه
٣١١	المقدمة:
٣١٣	المحور الاول: تنقيح موضوع الإصلاح والافساد:
٣١٣	الإصلاح في اللغة:

- ٣١٤ اقول: ان المحصل من كلامهم ما يلي:
- ٣١٥ المختار في تعريف الاصلاح:
- ٣١٥ الافساد في اللغة:
- ٣١٥ بعض كلمات اللغويين:
- ٣١٦ اقول: المحصل من كلمات اللغويين في معنى الافساد:
- ٣١٦ المختار في تعريف الافساد:
- ٣١٧ المحور الثاني: مباني الاصلاح:
- ٣١٧ اولاً: الادلة الخاصة:
- ٣١٧ الدليل الاول: المباني القرآنية للإصلاح والافساد:
- ٣١٨ ١ - الآيات الآمرة بالإصلاح المطلق والنهي عن الافساد المطلق:
- ٣٢٣ ٢ - الآيات الدالة على الاصلاح او الافساد بين الناس:
- ٣٢٦ ٣ - الآيات الدالة على الاصلاح والافساد الاسري:
- ٣٢٨ ٤ - الآيات الدالة على الاصلاح الديني:
- ٣٣٠ ٥ - الآيات الدالة على الاصلاح والافساد العسكري والقتالي:
- ٣٣٢ ٦ - الآيات الدالة على الاصلاح الاجتماعي:
- ٣٣٣ ٧ - الآيات الدالة على الاصلاح التربوي:
- ٣٣٤ ٨ - الآيات الحاثية على التوبة واصلاح ما مضى من ذنب:
- ٣٣٥ ٩ - الآيات الحاثية على الاصلاح الالهي للفرد والمجتمع:
- ٣٣٦ ١٠ - الآيات الحاثية على الاصلاح الذاتي:
- ٣٣٦ ١١ - الآيات الدالة على الاصلاح الطبقي او الاقتصادي:
- ٣٣٨ ١٢ - بعض الآيات التي فيها مدح الصلاح والاصلاح وذم الفساد والافساد:
- ٣٣٩ الدليل الثاني: المباني الروائية للإصلاح والافساد:
- ٣٣٩ ١ - ما دل على ضرورة الاصلاح العام في المجتمع:
- ٣٤٠ ٢ - ما دل على الاصلاح الاجتماعي:
- ٣٤١ ٣ - الروايات الحاثية على الاصلاح الاسري والعائلي:
- ٣٤٢ ثانياً: الادلة العامة (مباني عامة او مطلقة في الاصلاح والافساد):

٣٤٣.....	الدليل الاول: اطلاق ادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:
٣٤٣.....	الدليل الثاني: اطلاق ادلة التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الاثم والعدوان
٣٤٣.....	الدليل الثالث: اطلاق ادلة الاحكام كأدلة اقامة القضاء الاسلامي من قصاص وحدود وديات
٣٤٤.....	والسلم والحرب وغيرها من ابواب الاحكام والمعاملات.
٣٤٤.....	المحور الثالث: احكام الاصلاح والافساد:
٣٤٤.....	اربعون حكماً او مسألة في الاصلاح والافساد:
٣٥١.....	خاتمة: الحسين نموذج الاصلاح الاسمي:

٣٥٥ البحث الثاني عشر: مقارنة بين الشعيرة والشرعة

٣٥٧.....	جدلية انسجام الشعائر مع اهداف الشرعة
٣٥٩.....	ابرز اهداف الثورة:
٣٦٠.....	مقاربة الاهداف والشعائر: -
٣٦٠.....	الهدف الاول: الاصلاح
٣٦٠.....	فهل اصلاح الحسين كأى اصلاح؟
٣٦٢.....	ابرز مصاديق الشعائر المنسجمة مع هذا الهدف:
٣٦٤.....	الهدف الثاني: (هدف سياسي تغييرى)
٣٦٥.....	المصداق الاول:
٣٦٥.....	المصداق الثاني:
٣٦٥.....	المصداق الثالث:
٣٦٦.....	المصداق الرابع:
٣٦٦.....	المصداق الخامس:
٣٦٦.....	المصداق السادس:
٣٦٦.....	الهدف الثالث (الدفاع عن النفس):
٣٦٨.....	الهدف الرابع: الاستجابة للمظلومين والمستنصرين
٣٦٩.....	الهدف الخامس: (المثل الاعلى للتضحية)
٣٧٠.....	الهدف السادس: كسر الجبن والانهزام الذي في الامة

التائج:	٣٧١
ولعل اهم تلك الشعائر:	٣٧١
البحث الثالث عشر: مشروعية يا ليتنا كنا معكم في المجالس الحسينية	٣٧٥
مقدمة:	٣٧٧
المحور الاول: بيان مفردات هذا التركيب	٣٧٩
المفردة الاولى: (يا ليتنا)	٣٧٩
المفردة الثانية: (معكم)	٣٨١
المفردة الثالثة: (فنفوز)	٣٨١
المحصل من البحث اللغوي:	٣٨٢
المحور الثاني: ورود التمني بـ (ليت) في القران الكريم	٣٨٣
المستفاد من الآيات بما ينفع في المقام:	٣٨٥
المحور الثالث: ورود التمني بـ (ليت) في الروايات:	٣٨٦
الاولى: طائفة عامة:	٣٨٦
الثانية: طائفة خاصة:	٣٨٨
المحور الرابع: وجه الاشكال في عبارة يا ليتنا كنا معكم:	٣٩٢
ادلة المنع ودفعها:	٣٩٢
الاشكال الاول:	٣٩٢
وبالاحظ:	٣٩٣
الاشكال الثاني:	٣٩٣
يلاحظ:	٣٩٤
الاشكال الثالث:	٣٩٤
يلاحظ:	٣٩٥
المحور الخامس: ادة الجواز والاستحباب:	٣٩٥
اولا: استعمالها في القران	٣٩٥
ثانيا: استعمالها في الروايات	٣٩٦

٣٩٦.....	الثالث: السيرة والارتكاز:
٣٩٦.....	الرابع: التمسك باطلاقات ادلة استجاب الدعاء.....
٣٩٧.....	الخامس: عدم وجود الدليل على المانعية.....
٣٩٧.....	النتيجة:.....
٣٩٧.....	تتمة فيها فائدة: نية الاشرار بالعمل.....

البحث الرابع عشر: عموم عنوان الشعائر للشعائر الحسينية ٤٠١

٤٠٤.....	المستوى الأول: كلام اللغويين:
٤٠٦.....	المستوى الثاني: كلام المفسرين:
٤٠٧.....	كلام بعض المفسرين من الخاصة والعامة في معنى شعائر الله:
٤٠٧.....	المستوى الاول: بعض تفاسير اتباع اهل البيت عليه السلام :
٤١٣.....	المستوى الثاني: بعض تفاسير العامة:
٤١٥.....	المؤيد لكلام اللغويين والمفسرين: (مختار مشهور الفقهاء الاعلام):
٤٢٢.....	النتيجة من البحث اللغوي والقراني لمعنى الشعائر:
٤٢٥.....	المختار في تعريف الشعائر:
٤٢٥.....	تعريف الشعائر الدينية:
٤٢٦.....	بيان اوسع:
٤٢٦.....	تعريف الشعائر الحسينية:
٤٢٦.....	قيود الشعائر الحسينية:
٤٢٦.....	فائدة: نفي الشعرية لا ينفي الشرعية:
٤٢٨.....	خاتمة الكتاب:

المصادر والمراجع ٤٢٩

فهرس المحتويات ٤٤٠